الدولة الخوارزمية

نشأتها، علاقاتها مع الدول الاسلامية، نظمها العسكرية والادارية

٤٩٠-٦٢٨هـ / ١٠٩٧-١٢٣١م

رسالة تقدم بها

نافع توفيق العبود

الى

كلية الآداب وهيئة الدراسات العليا في جامعة بغداد

كجزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ .

تشرين الاول ١٩٧١

الدولة الخوارزمية

نشأتها . علاقاتها مع الدول الاسلامية . نظمها العسكرية والادارية

٤٩٠ - ٦٢٨ هـ / ١٠٩٧ - ١٢٣١ م

رسالة تقدم بها

نافع توفيق العبود

الى

كلية الآداب وهيئة الدراسات العليا في جامعة بغداد

كجزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ .

تشرين الاول ١٩٧١

أشهد بأن اعداد هذه الرسالة جرى تحت اشرافي في جامعة بغداد كجزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريـــــخ

المشرف
الدكتور جعفر حسين خصباك
/ تشرين الاول/ ١٩٧١

بناء على التوصيات المتوفرة ارشح هذه الرسالة للمناقشــة

١٦ / ١١ / ١٩٧١

الدكتور عبد الامير محمد امين
رئيس لجنة الدراسات العليا في قسم التاريخ
/ تشرين الثاني/ ١٩٧١

نشهد بأننا اعضاء هيئة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد بانها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة ماجستير آداب في التاريخ .

العضو   العضو

الرئيس

/ / ١٩٧

صدقت لهيئة الدراسات العليا في الجامعة

عميد الدراسات العليا
والبحث العلمي

١٩٧٢/٢/١٢

شكـــر وتقديـــر

اری لزامـا عليّ أن أزجي الشكر خالصا الـــــى استاذى الفاضل الدكتـور جعفر حسين خصباك لتفضلـه بالاشراف على هذه الرسالة ، ولما لمسته منه من فيـض التشجيع وغالي النصح وكريـم التوجيـه ، كما أتوجّـــه بالشكر الى الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي ، واتوجّـه بالدعاء للمرحوم الدكتور حسن ابراهيم حسن لمساهمتهما في اعدادى لهـذه المرحلـة .

واقدم وافر الشكـر الى موظفـي وموظفـات مكتبـة الدراسات العليا والمكتبة المركزيـة لجامعة بغـــــداد ومكتبـة كلية الاداب لما ابدوه من مساعدة لي اثنـاء البحـث . ولا يفوتني ان اتوجـه بالشكـر الجزيل الـى " مكتـب الجامعي " الذى تولى طبع واخراج هــذه الرسالــــة ، ومن اللـه العون والتوفيـق .

نافـع توفيـق العبود

محتويــات البحـــث

الصفحـــــــة

الصفحـــــــة

الصفحـــــة

الصفحــــــــة

الصفحة

الصفحــــــة

الصفحـــــة

المقدمة

المقدمـــــــة

من المعلوم ان سياسة الدولة العباسية كانت سياسة اسلامية لم تعتمد على العنصر العربي فحسب ، وانما استعانت بعناصر اخرى كالفرس والتـــرك وغيرهم . وقد كان لهذه العناصر اثر في خلق المتاعب والصعوبات للدولـــة واضعافها ، اذ وقعت تحت وطأة النفوذ التركي ، وتمادى الاتراك في ازدرائهم للخلفاء ، واوغلوا في العمل على اضعافهم . ثم ان استفحال امر هـــؤلاء الاتراك جعل الخلفاء يستعينون بالبويهيين عليهم ويتخلصون منهم ، ولكـــن البويهيين لم يكونوا احسن من سابقيهم في التحكم بالدولة واضعاف نفـــوذ الخلفاء ، وقد همّوا ان يزيلوا الخلافة العباسية لولا ان رأوا في ذلك ضـــررا عليهم ، واكتفوا بتجريد الخلفاء من بقايا سلطتهم الدنيوية ، وصار الخليفـــة رمـــزا دينيـــا فحســـب .

ثم جاء السلاجقة واكتسحوا البويهيين بحجة انقاذ الخليفة من غطرستهم ، ومع انهم اعادوا للخلافة العباسية شيئا من نفوذها وهيبتها بسبب سنّيتهـــم ، الا ان سلاطينهم طلبوا من الخليفة الّا يتدخل في غير امور الدين .

وقد اخذت الاسرة السلجوقية على عاتقها حكم المشرق الاسلامي نيابة عـــن الخلفاء العباسيين ، فاستطاعت ان تخضع اكثر الاقاليم الشرقية الى نفوذها ، وبذلك عادت وحدة هذا الجزء من العالم الاسلامي الى ماكانت عليه في العصـــر العباسي الاول الى حدّ ما ، وخاصة في عهد السلطان ملكشاه بن الب ارسلان اعظم سلاطين بني سلجوق (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م) . ولكـــن ما ان مات ملكشـــاه حتى عاد التفكك من جديـــد الـــى هذه الاجزاء ،

وقد كان نظام الاتابكة (١) الذي اوجده السلاجقة عاملا مهما في اضعافهم لان هؤلاء الاتابكة اصبحوا فيما بعد اصحاب النفوذ الفعلي في البلاد التي يحكمونها مستغلين بذلك الخلافات الكثيرة التي كانت تدب في الاسرة السلجوقية وادى الامر الى ظهور دول وامارات مستقلة انسلخت من الدولة السلجوقية ، وكان من اهمها الدولة الخوارزمية التركية الاصل التي اخذت في الظهور والتوسع حينما بدأت شمس السلاجقة بالغروب ، وساعدها على ذلك تلك الفوضى السياسية التي شهدها المشرق الاسلامي بعد ضعف السلاجقة ، وبلغ الحال الى ان صار صاحب كل وحدة سياسية صغيرة اوكبيرة يجد في نفسه المقدرة الحربية على التوسع لايتوانى في شن الحرب على المناطق المجاورة له والسيطرة عليها . وكذا كان حال الدولة الخوارزمية في التوسع حتى استطاعت ان تكوّن لها كيانا سياسيا امتد من حدود الهند الى حدود بغداد ، ومن بحر آرال الى الخليج العربي . واصبح سلطانها اكبر من اى سلطان آخر في العالم الاسلامي . واكتسبت هذه الدولة شهرة واسعة لطول المدة التي حكمت فيها ، واتساع رقعة املاكها بعد ان قضت على الدولة السلجوقية والدولة الغورية . ونازعت الخلافة العباسية والايوبيين لغرض الاستيلاء على املاكهم .

وقد اوليت في دراستي هذه اهمية كبيرة لعلاقات هذه الدولة مع

---

(١) أتابك : لفظ تركي ، وهو مكون من مقطعين (أتا) بمعنى اب و (بك) بمعنى امير . وكانوا يطلقونها على من يربي اولاد السلاجقة من الاتراك . انظر :
شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان ، وفيات الاعيان في انباء ابناء الزمان ، ج ١ (نشر مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨) ص ٣١٦ . و ابو العباس احمد القلقشندى ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ٤ (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩١٧) ص ١٨ .

الخلافة العباسية والدول الاسلامية المعاصرة لها . وبالنظر الى الصلـــة الوثيقة بين العلاقات السياسية والعسكرية ،فقد خصصت فصلا لتوضيـــح الاساس الذى كانت تستند اليه الدولة الخوارزمية في نظمها العسكرية التـــي ساعدت في تحقيق اهدافها السياسية .

واستكمالا لموضوع البحث افردت فصلا آخر لدراسة النظم الادارية لتلـــك الدولة .

اما الدوافع التي حملتني على اختيار موضوع هذا البحث ،فهي عدم وجود دراسة وافية عن الدولة الخوارزمية ،خاصة مايتعلق بعلاقاتها السياسيـــة والعسكرية مع الخلافة العباسية والدول الاسلامية الاخرى ،بالرغم من تناول عدد من الباحثين جوانب من الموضوع ، مثل : حافظ احمد حمدى في كتابـــه (الدولة الخوارزمية والمغول) ، والدكتور فؤاد عبدالمعطي الصياد في كتابـــه (المغول في التاريخ) ، والدكتورعبدالنعيم محمد حسنين في كتابه (سلاجقة ايران والعراق) ، والمرحوم الدكتور حسن ابراهيم حسن في كتابه (تاريـــخ الاسلام السياسي) ،ومحمد كرد علي في كتابه (خطط الشام) ، وكذلـــك المستشرق بارتولـــد في كتابيه (تاريخ الترك في آسيـــا الوسطى) و (تركمنتان حتـــى الغزوالمغولي Turkestan Down To The Mongol Invasion) يضـــاف الى هـــؤلاء ايضـــا ارمنيـــوس فامبـــرى (Arminius Vambry) في كتابه (تاريـــخ بخـــارى History of Bukhara) . وكـــذلـــك ادوارد بـــراون (Edward G. Browne) في كتابه (تاريخ الادب الفارسـي Aliterary History of Persia).

ومن الدوافع الاخرى ايضا ان الدولة الخوارزمية قامت في منطقة نائيـــة،

والاخبار عنها قليلة خاصة قبل ان تلعب دورا خطيرا في نزاعها مع الخلافة العباسية والمغول ، وهي فترة غامضة لا يزال جانب مهم من اخبارها مطويا لم يوله الباحثون عناية كبيرة ، لهذا اقدمت على اختيار هذا الموضوع ليكون رسالة اتقدم بها لنيل مرتبة الماجستير في التاريخ الاسلامي .

وقد جاءت هذه الرسالة في سبعة فصول ، يتناول الفصل الاول منها نشأة الدولة الخوارزمية ، والظروف التي ساعدت على توسعها وبلوغها أوج عظمتها .

وفي الفصل الثاني تناولت دراسة علاقاتها بالسلاجقة منذ ان كانت ولاية من ولاياتهم اخذت بالنمو حتى سقوطهم نهائيا على ايدى الخوارزميين سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م ، وهي فترة امتدت طوال قرن من الزمان اى من سنة ٤٩٠ - ٥٩٠ هـ / ١٠٩٧ - ١١٩٣ م . وتختص هذه الفترة بعلاقة محمد بن انوشتكين موسس الدولة الخوارزمية بالسلطان سنجر السلجوقي ، وعلاقة خوارزم شاه اتسز بالسلطان المذكور ، وقد بينت كيف ساءت العلاقة بينهما والمتاعب التي سببها خوارزم شاه اتسز للسلاجقة وظفره بالاستقلال عنهم . ويتضمن هذا الفصل ايضا دراسة علاقة ايل ارسلان بن اتسز بالسلاجقة وقد خصصت دراسة علاقة الدولة الخوارزمية في عهده بسلاجقة ايران والعراق . ثم تناولت بعد ذلك علاقة الدولة الخوارزمية بالسلاجقة في عهد خوارزم شاه علاء الدين تكش بن ايل ارسلان واخيه سلطان شاه ، واوضحت نتيجة تلك العلاقة التي كان من نتائجها سقوط السلاجقة على ايدى

الخوارزميين في سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م ٠

اما الفصل الثالث فيتناول دراسة علاقاتها بالخلافة العباسية طوال قرن من الزمان ،اى من سنة ٥٢٨ ـ ٦٢٨ هـ / ١١٣٣ ـ ١٢٣٠م ٠ وقد وجدت ان علاقاتها كانت تقوم على اعتراف حكام الدولة الخوارزمية بشرعية الخلافة العباسية والخطبة لها في بلادهم ،خلال حكم الخلفاء : المسترشد بالله ، والراشد بالله ، والمقتفي لامر الله ، والمستنجد بالله ،والمستضيء بامر الله ، وجزء من خلافة الناصر لدين الله ٠ اذ لم تلبث علاقتهم ان ساءت مع هذا الخليفة الى درجة كبيرة ، ولكنها عادت الى التحسن في عهد الخليفتين الظاهر بامر الله ،والمستنصر بالله ٠

وفي الفصل الرابع تناولت علاقاتها بالدولة الغورية ،وقد تبين لي انها كانت عدائية للخلافات الكثيرة بينهما على اقتسام مخلفات السلاجقة في خراسان ٠ اضافة الى تحريض الخلافة العباسية للغوريين على الخوارزميين ٠ وتوصلت الى ان ذلك الصراع انتهى اخيرا بزوال الدولة الغورية على يد الدولة الخوارزمية في سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥م ٠

وفي الفصل الخامس تناولت علاقاتها مع الايوبيين ، وبينت الدور الذى قام به السلطان جلال الدين منكبرتي في النزاع الذى نشب بين ابناء البيت الايوبي ، واستيلائه على املاك البعض منهم ٠ وتبين لي ان علاقته مع بعض الامراء الايوبيين كانت عدائية ٠ واستكمالا لهذا الفصل تتبعت علاقة الخوارزميين بالامراء الايوبيين حتى سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م ، اى بعد زوال الدولة الخوارزمية رسميا بمقتل آخر سلاطينها جلال الدين منكبرتي في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م ، وبينت الدور الذى لعبه الخوارزميون في مساعدة بعض

الامراء الايوبيين على البعض الاخر . كما اوضحت اثر الخوارزميين في اثـــارة الاضطرابات والقلاقل في بلاد الشام والجزيرة بسبب غاراتهم على دمشـــق وحلب ومناطق اخــرى .

اما الفصل السادس فقد شمل البحث فيه تنظيم الجيش ، وعناصـــره ، وموظفيــه ، واسلحته ، وتحصيناته ، واساليب الحرب ، والاستخبارات ، ومعاملـة الاسرى ، ومعسكرات الجيش ، وسياسة الخوارزميين مع اهالي البلاد التـــي خضعت لهم .

وفي الفصل السابع درست التنظيمات الادارية والقضائية ، المتمثلـة فـــي السلطنة ، والوزارة ، والحجابة ، والدواوين ، وغير ذلك من الوظائف الاخرى . وبيّنت طبيعة هذه الوظائف و اعمال الموظفين الاداريين الذين كانوا يساعدون في حل كثير من القضايا والمشاكل والامور المتعلقة بادارة الدولة . وكذلـــك تناولت وظيفة القضاة ، واختصاصاتهم ، وكذلك الاقطاع اعتمادا على الاشارات القليلة المشتتة في مراجع مختلفــــة .

هذه هي الموضوعات التي انصبت دراستي عليها ، واود ان اشير الـى ان هذه الدراسة قد اعترضتها صعوبات كثيرة بسبب قلة المراجع المعاصرة ، ولكن امكن التغلب عليها الـى حـدّ مـا . ومن الصعوبات التي واجهتني ايضـــا ، وجود عدد غير قليل من المصادر باللغة الفارسية التي لااجيد قراء تها ، ومـــع هذا فقد استطعت ان اطّلـع على المهم منها .

ان المراجع التي استخدمتها في هذا البحث عديدة ومتنوعة ، بينهـــا كتب تاريخية عامة ، وكتب طبقات ، وسير ، وتواريخ اشخاص ومدن ، وكتـــب سياحية وجغرافية ، وكل مايمكن القيام به في هذه المقدمة هو الاشارة الـــى

عدد مختار منها فقط لكثرتها وتنوعها .

لقد اهتمت المصادر المعاصرة التي توفرت لدينا بتسجيل اخبار الصراع العسكري ، والنزاع السياسي بين الدولة الخوارزمية والدول الاسلامية . ويأتي في مقدمتها كتاب (الكامل في التاريخ) لمؤلفه عزالدين بن الاثير ، و (اخبار الدولة السلجوقية) للحسيني ، و (تاريخ دولة آل سلجوق) للبنداري ، و (راحة الصدور وآية السرور) للراوندى ، و (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) لمحمد بن احمد النسوي ، و (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) لابي شامة ، و (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير) لابن الساعي ، والكتاب الموسوم بـ (الحوادث الجامعة) المنسوب خطأً لابن الفوطي . وقد قدمت لنا هذه المصادر معلومات مهمة عن تفاصيل الحروب التي خاضتها الدولة الخوارزمية وفتوحاتها ، واوضحت دورها السياسي والعسكري ايضاحا يكاد يكون كافيا .

وقد انفرد النسوي بكثير من المعلومات التي اوردها في كتابه (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) ، خاصة مايتعلق منها بالوظائف الادارية والعسكرية . ويمكن الاعتماد على اكثر اخباره في فترة السنوات الاخيرة من عمر الدولة الخوارزمية ، وقد تضمنت معلومات مهمة عن عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد وابنه جلال الدين منكبرتي .

اما ماأورده الراوندى في كتابه (راحة الصدور وآية السرور) فيعتبر اخبارا فريدة فيما يتعلق بعلاقة الخوارزميين بالسلاجقة .

واهتم ابو شامة بعلاقة الخوارزميين بالايوبيين ، وتتميز المعلومات التي اوردها بتنوعها وشمولها ، بالاضافة الى دقتها ووضوحها ، لمعايشته الاحداث

التي اودعها في كتابه (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) . كما انه تتبع اخبار الخوارزميين في بلاد الشام والجزيرة بعد سقوط دولتهم ، وفصّل في اعمالهم القائمة على النهب والسلب ، واقلاقهم مدن الشام والجزيرة كما افادني في هذه الناحية ايضا كتاب (زبدة الحلب في تاريخ حلب) لابن العديم .

وهناك مصادر اخرى لمؤرخين آخرين مقاربة لموضوع دراستنا منها : (المختصر في اخبار البشر) لابي الفدا ، الذى اختصر فيه كتاب (الكامل) لابن الاثير ، وزاد عليه الحوادث الى ايامه . كذلك كتاب (الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة) لابن شداد ، و (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) لابي المحاسن جمال الدين بن تغرى بردى ، و (تاريخ الاسلام) و (دول الاسلام) و (العبر في خبر من غبر) للذهبي ، و (تتمة المختصر في اخبار البشر) لزين الدين عمر بن الوردى ، و (البداية والنهاية) لعماد الدين بن كثير ، و كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) لابن خلدون ، و (السلوك) للمقريزى ، و (تاريخ الخلفاء) لجلال الدين السيوطي ، و (العسجد المسبوك) للخزرجي ، و (طبقات الشافعية الكبرى) للسبكي ، و (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي . وبعض هذه الكتب لايزال مخطوطا . وقد تضمنت معلومات متباينة عن الاحوال السياسية والعسكرية للدولة الخوارزمية .

واهتمت المصادر الفارسية التي اطلعت عليها بجوانب كثيرة من موضوع دراستي ، واهمها كتاب (تاريخ جهانكشاى) لعطا ملك الجويني ، وهو من المصادر الفارسية التي كتبت ايام المغول ، وكان مؤلفه عارفا بالامور ، ولكتابه

قيمة علمية كبيرة ،وفوائد كثيرة تخصّ موضوع البحث . وكذلك كتاب (روضة الصفا) لميرخواند . وكتاب (تاريخ كزيده) لحمد الله المستوفي القزويني . وكتاب (حبيب السير في اخبار ابناء البشر) لخواندمير ،الذى احتوى على معلومات مفصلة ومهمة .

وفي كتب التراجم التي وضعها بعض المؤرخين المعاصرين والقريبين من فترة دراستنا ، بعض المعلومات التاريخية المهمة ،منها كتاب (عيون الانباء في طبقات الاطباء) لابن ابي اصيبعة ،و (وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان) لابن خلكان ،و (تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب) لابن الفوطي ، و (الوافي بالوفيات) لصلاح الدين الصفدى ،و (فوات الوفيات) لابن شاكر الكتبي . وقد قدمت بعض التراجم للرجال الذين لعبوا دورا في الحياة السياسية والادارية في الدولة الخوارزمية .

واحتوى كتاب (صبح الاعشى في صناعة الانشا) للقلقشندى ، وكتاب (معيد النعم ومبيد النقم) للسبكي على معلومات مفيدة عن تفسير المصطلحات الادارية ،فاضافا بذلك الى معلوماتنا تفسيرات جيدة عن الوظائف الادارية والعسكرية ،وكان لهما مكانتهما في توضيح كثير من القضايا الناشئة عن صلاحيات الموظفين الاداريين والعسكريين .

وفي كتب الجغرافية معلومات ثمينة عن المدن والاقاليم التي سيطرت عليها الدولة الخوارزمية ،ونخص بالذكر منها كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموى ،و (مراصد الاطلاع) لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق .

ومن تواريخ المدن (تاريخ بخارى) الذى الفه ابو بكر النرشخي وانتهى من تأليفه سنة ٣٢٢ هـ . وقد لخص هذا الكتاب وزيد عليه اشياء كثيرة

لاحداث وقعت بعد ذلك في فترة امتدت الى ظهور المغول وفتح بخارى على يد جنكيزخان ، كما نرى فيه ذكرا لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش .

وفي كتب الادب مادة جيدة عن الاحوال السياسية والادارية ، منها (مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط) ، وكان رشيد الدين هذا يتولى رئاسة دار الانشاء طوال مدة حكم خوارزم شاه اتسز ، الواقعة بين سنتي (٥٢٢ — ٥٥١ هـ) . وكان في نفس الوقت يعتبر كاتبه الخاص . ودخل بعد وفاة اتسز في خدمة ابنه ايل ارسلان (٥٥١ — ٥٦٨ هـ) ، واشتغل بنفس العمل الذى كان له على ايام ابيه . وقد احتوت مجموعة رسائله على معلومات قيمة كشفت جوانب غامضة عن علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية .. ومن كتب الادب ايضا (ارشاد الاريب الى معرفة الاديب) لياقوت الحموى . و (رسائل ابن الاثير) لضياء الدين بن الاثير ، و (شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد . وفي هذه الكتب معلومات لها علاقة بموضوع دراستي .

وقبل ان اختتم هذه المقدمة آمل ان اكون قد وفيت البحث حقه ، واسأله تعالى ان يوفقنا لما فيه خير العلم وطالبيه .

———

الفصل الاول

نشأة الدولة الخوارزمية وتوسعها

تحديد اقليم خوارزم :-

اتفق الجغرافيون المسلمون في تحديدهم لاقليم خوارزم فذكروا ان حدوده ، من الغرب بلاد الترك الغزية ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ، ومن الشمال بلاد الترك ايضا[(١)].

واعتبر الاصطخري اقليم خوارزم من اقاليم ما وراء النهر[(٢)]، بينما عده جغرافي آخر من اهل القرن الخامس الهجري من مدائن خراسان[(٣)].

ولعل السبب في اضافته الى خراسان في القرن الخامس الهجري يرجع الى خضوعه للسلاجقة في سنة (٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م)[(٤)]، وهذا تحديد فرضه الواقع السياسي لا الواقع الجغرافي .

اما ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) فقد ذكر عن هذا الاقليم انه منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر[(٥)].

اما خوارزم في وقتنا الحاضر فتقع ضمن الاتحاد السوفييتي ووزعت بين

---

(١) انظر : ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري ، مسالك الممالك (مطبعة بريل ، ليدن ١٩٢٧) : ص ٢٩٩ . ابو القاسم بن حوقل النصيبي ، صورة الارض (مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٩) : ص ٤٧٧ . عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ابو الفدا ، تقويم البلدان (باريس ١٨٤٠): ص ٤٧٧ .

(٢) الاصطخري ، الاقاليم (مصور بالاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد): ص ١٠٥ .

(٣) ابو اسحق بن حسين المنجم ، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة بكل مكان : ص ١٤ .

(٤) صدر الدين ابو الحسن علي بن ناصر الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ، (لاهور ١٩٣٣) : ص ١٧ .

(٥) شهاب الدين ابوعبد الله ياقوت الحموي الرومي ، معجم البلدان : ٤/ ٤٠٠ (لايبزك ١٨٦٦) .

جمهوريتين هما اوزبكستان وتركمانستان السوفيتيتين[١]، وذلك بعد غزو الروس لها وخلعهم اميرها خان خيوة السيد عبد الله خان بهادر في سنة (١٩٢٤م) .

((ظهور اسرة انوشتكين وتوليها الحكم في اقليم خوارزم))

تعاقب على حكم اقليم خوارزم عدة أسر أهمها جميعا أسرة "انوشتكين" الذى كان أول امره عبدا تركيا اشتراه احد أمراء السلاجقة من بلاد غرجستان (بلاد الغور) [٢] وشغل في البلاط السلجوقي وظيفة " الطشت دار "[٣] أى أنه كان يقوم بغسل ادوات الوضوء وآلة الحمام والاباريق والطاسات والكراسي وغير ذلك من الاصناف التي تلائم بيت السلطان[٤].

ولما جرت عادة السلاجقة ان يكافئوا اتباعهم من السقاة والحجاب وحراس الملابس الخاصة وغيرهم باقطاعات من الأرض واخذ انوشتكين يتدرج

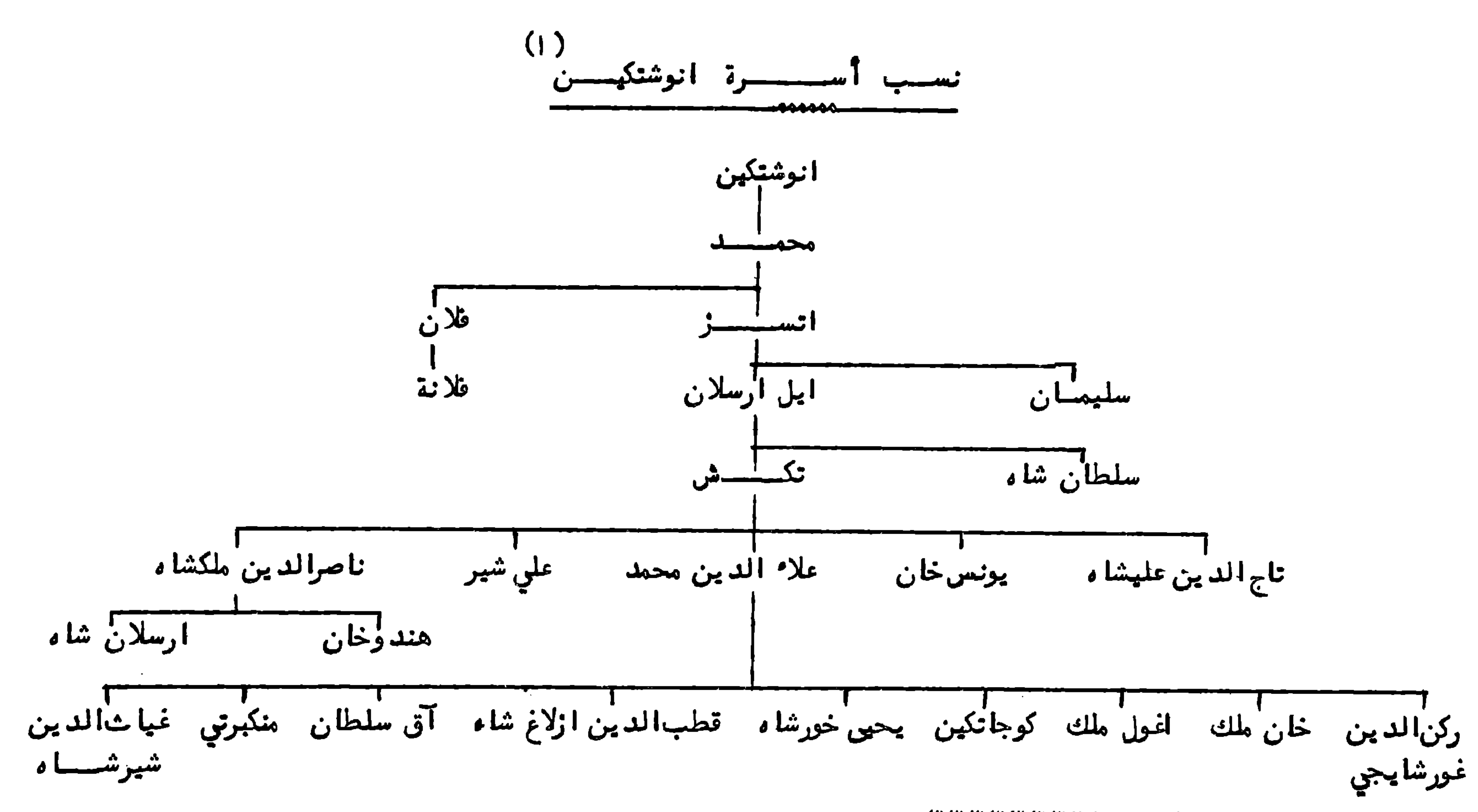
(١) انظر : بارانسكي ، جغرافية الاتحاد السوفييتي الاقتصادية (موسكو ١٩٦٠) الترجمة العربية : ص ٣٢٥ ، ٣٣٠ . هاري هازارد ، اطلس التاريخ الاسلامي ، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد (القاهرة ١٩٥٤) : ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) غرجستان (بلاد الغور على لسان اهل خراسان) : ولاية بين غزنة وكابل وهراة وبلخ . (ياقوت ، معجم البلدان : ٣ / ٧٨٥ - ٧٨٦) .

(٣) حمد الله بن ابي بكر احمد بن نصر المستوفي القزويني ، تاريخ كريده (تهران ، ١٣٣٩هـ) : ص ٤٨٠ . محمد بن خداوند شاه ميرخواند ، تاريخ روضة الصفاء جلد جهارم (تهران ١٣٣٩ هـ) : ص ٣٥٦ .

(٤) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى ، نهاية الارب في فنون الادب ، ٨ / ٢٢٥ ، دار الكتب المصرية .

نسب أسرة انوشتكين (١)



(١) انظر : ادوارد فون زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرجه الدكتور زكي محمد حسن وحسن احمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ١٩٥١ .

في الوظائف السلجوقية لما اظهره من الكفاية والقابلية ورجاحة العقل [١]، فقد عيّنه السلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) واليا على اقليم خوارزم في سنة (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م) ، وظل (انوشتكين) يشغل هذا المنصب مدة عشرين عاما حتى وفاته سنة (٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م) .

وبعد وفاة (انوشتكين) نشبت الاضطرابات في هذا الاقليم ، حيث عيّن السلطان بركيارق بن ملكشاه (٤٨٥ - ٤٩٨ هـ / ١٠٩٢ - ١١٠٤ م) أميرا من أمرائه يدعى (اكنجي) واليا عليه ، الا ان هذا لم يتمكن من القيام بامور الولاية ، فوثب عليه اثنان من امراء السلطان فقتلاه [٢]، ولما بلغ الخبر الى السلطان بركيارق استاء من فعلهما ، فارسل اليهما جيشا مع أمير آخر من امرائه يدعى (داذ حبشي بن التونتاق) تمكن منهما بعد جهود شاقة واعاد الامور الى نصابها [٣].

وبعد ان اخمد (داذ حبشي) تلك الفتنة نظر فيمن يصلح لولاية اقليم خوارزم ، فوقع اختياره على (قطب الدين محمد بن انوشتكين)

---

(١) ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٥٦ .

(٢) عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ١٠ / ٢٦٦ (دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ١٩٦٦) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مج ٥ ط ٢ (بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١) : ص ١٨٩ - ١٩٠ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

فولاه ولقبه " خوارزم شاه "[١]، ووافق السلطان بركيارق على توليته .

وهكذا خلف قطب الدين محمد ، والده انوشتكين في ولاية اقليم خوارزم سنة (٤٩٠ هـ/١٠٩٧م)[٢]، ثم اخذ يبذل جهودا كبيرة وسعيا متواصلا في ادارة شؤون الاقليم[٣]، "فقصر اوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها "[٤] فنال بذلك منزلة كبيرة لدى سلاطين السلاجقة ، وخاصة السلطان سنجر (٥١٣ هـ ٥٥٢ هـ/ ١١١٩ - ١١٥٧م) الذى شمله بعطفه ورعايته ، وسانده ضد منافسيه . ومما يروى في هذا الصدد ، ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم وكان " محمد ابن انوشتكين " غائبا عنها ، فلما سمع بذلك بادر الى خوارزم وبعث الى السلطان سنجر يطلب منه المساعدة على اعدائه ، فسار سنجر بالعساكر اليه من نيسابور ، الا ان محمدا لم ينتظره ، بل سار حتى قارب خوارزم ورجع الاتراك خائبين[٥] وقد ظل محمد بن انوشتكين تابعا مخلصا للسلطنة

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٢٦٨ .
شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز الذهبي ، دول الاسلام: ٢ / ١٤ .
ط ٢ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن) . عماد الدين اسماعيل ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر : ٤ / ١٢٤ . (دار الكتاب اللبناني ، بيروت . زين الدين عمر بن الوردى ، تتمة المختصر في اخبار البشر : ٢ / ١٤ (مطبعة النجف ١٩٦٩) . اسماعيل بن عمر ابن كثير ، البداية والنهاية في التاريخ : ١٢/ ١٥٤ (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢) .

Howorth, History of the Mongols, (London, 1876) P.7 .

(٢) الكامل : ١٠ / ٢٦٨ .
(٣) علاء الدين عطا ملك الجويني ، تاريخ جهانكشاى : ٢/ ٣ (مطبعة بريل ، ليدن ١٩١٦) .
(٤) الكامل : ١٠ / ٢٦٨ .... (٥) الكامل : ١٠/ ٢٦٨ .

السلجوقيـة حتى وفاته في سنة (٥٢١ هـ/ ١١٢٦ م) ولم تتوفر لدينـــا معلومات تدل على تغيّـر نيّتـه على اسياده السلاجقـة ٠

((كفاح الخوارزميين في سبيـل نيل الاستقـلال))

لم يخرج حكم أسـرة انوشتكيـن عن اقليم خوارزم بعد وفاة قطـب الدين محمد ، فقد عين السلطان سنجر السلجوقي ، علاء الدين أتسز بـن محمد بن انوشتكيـن خلفا لوالده ، وانصرف علاء الدين أتسز الى توطيـد دعائـم حكمـه فمدّ ظلال الأمـن وأفاض العدل ، واشتهر بالعلم والفضل[١]، واحسن السيرة في الرعيـة فأحبّـوه و" كانوا معه بيـن أمن غامر وعـدل شامـل "[٢]، فحظي لذلـك بتأييدهم لـه ،وسنجد فيما بعد وقوفهم الى جانبـه في تنفيذ ما كان يدور في ذهنـه من فكرة الاستقلال عـن السلاجقـة ٠

هذا ولما كانت كفاءة (أتسـز) قد ظهرت للسلطان سنجر ، فقـد قرّبـه السلطان اليـه واعتضـد به ، واستصحبـه معه في أسفاره وحروبـه وزاده تقدما وعلوا عنـده[٣].

وظل خوارزم شاه أتسز على وفاق دائـم مع السلطان سنجر مدة ثمانـي

---

(١) ميرخواند ، روضـة الصفا : ٤ / ٣٥٧ ٠
(٢) ابن الأثيـر ، الكامـل : ١١ / ٢٠٩ ٠
(٣) ن ٠ م ٠ : ١٠ / ٢٦٨ ٠

سنوات (٥٢٠ - ٥٢٩ هـ / ١١٢٦ - ١١٣٤ م) دون ان يفكر في محاربته او الخروج عليه ، وكان منصرفا خلال هذه المدة الى تثبيت مركزه وتنمية قوة اقليمه ، حتى صار له من القوة ما يضاهي قوة اسياده السلاجقة ، فصار الآخرون يحسبون له حسابا كبيرا .

ولما اطمأن اتسز الى قوته ، سعى الى ان يستقل استقلالا تاما عن السلاجقة ، متخذا سبيل التمرد والعصيان وسيلة للوصول الى هدفه ، فثار على السلطان سنجر في سنة (٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م) ، وشرع بمهاجمة ممتلكات السلاجقة الواقعة في اسفل جيحون وضمها الى منطقة نفوذه[١] فبدأ بذلك اول صدام عسكري خطير بين السلاجقة والخوارزميين .

لم يقف السلطان سنجر مكتوف اليدين امام تصرفات خوارزم شاه اتسز ، الذى كان في الاصل تابعا لسلطنة ، فجهز جيشا كبيرا لايقاف هذا التحدى والتخلص منه قبل ان يستفحل خطره ، فسار اليه في سنة (٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م)[٢] ، واشتبك الطرفان في معركة عنيفة قرب هزاراسب[٣] ، انتصر فيها السلطان سنجر انتصارا مؤزرا ، وولى اتسز الادبار ، وقد قدرت خسارة الخوارزميين في هذه المعركة بعشرة آلاف قتيل وجريح واسير[٤].

---

(١) عبد النعيم محمد حسنين ، سلاجقة ايران والعراق (مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩) : ص ١١٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٦٧ .

(٣) هزاراسب : قلعة حصينة ومدينة جيدة من نواحي خرارزم (ياقوت ، معجم البلدان : ٤ / ٩٧١) .

(٤) Bartold, Turkestan down to the Mongol invasion , 3 rd edition (london 1968) P. 325 .

وكان من بين القتلى ابنا لخوارزم شاه اتسز ، وقع اسيرا وجيء به الى السلطان سنجر فأمر بشق جسمه الى نصفين اثنين[١]، " فحزن عليه ابوه حزنا عظيما ووجد وجدا شديدا "[٢].

وبعد هذا النصر أقطع السلطان سنجر خوارزم لابن اخيه (غياث الدين سليمان بن محمد السلجوقي) ، ورتب له فيها وزيرا وأتابكا وحاجبا وعاد الى عاصمة ملكه (مرو) .

وما أن غادر السلطان سنجر خوارزم حتى عاد اتسز اليها ، وتمكن من طرد سليمان شاه السلجوقي منها بمساعدة الاهالي له[٣].

وهكذا يظهر لنا ان الخوارزميين كانوا يتحدون ويجمعون صفوفهم من اجل التخلص من النفوذ السلجوقي .

على ان اتسز خشي عودة السلطان سنجر الى خوارزم مرة ثانية ، فرأى ان من مصلحته الحصول على عطفه باظهار الطاعة له ، وقد سعى الى ذلك فعلا فحاز رضاه وصالحه . وتدل مصالحة خوارزم شاه للسلطان سنجر على سياسة حكيمة وبعد نظر ، لكي يحصل على الراحة والاستقرار فترة من الزمن يعيد بها تنظيم قواه ، ولم يمض سوى وقت قليل حتى نقض الصلح المعقود ، وشرع بمهاجمة ممتلكات السلاجقة من

---

(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاى : ٢ / ٥ . ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٥٨ .
(٢) الكامل : ١١ / ٦٧ .
(٣) المستوفي القزويني ، تاريخ كريده : ص ٤٨١ .

جديد ، فقاد قواته وهاجم بخارى في سنة (٥٣٤ هـ / ١١٣٩ م) واستولى عليها بعد ان قتل حاكمها زنكي بن علي[١].

ولم يكتف بذلك بل سعى لكسب حليف يقف الى جانبه لمقاومة السلطان سنجر ، فتحالف مع قبائل الخطا التركية[٢] ، التي كانت قد استقرت في ما وراء النهر خلال القرن السادس الهجرى ، ونجحت في تأسيس دولة هناك متخذة مدينة بلاساغون[٣] عاصمة لها ، وحثها على على مهاجمة ممتلكات السلاجقة في ما وراء النهر ، ونتيجة لذلك اخذت قبائل الخطا ، تشن غاراتها على البلاد الاسلامية وتمعن فيها سلبا ونهبا وتدميرا ، وحينذاك لم يجد السلطان سنجر بدا من التحرك لقتالها بعد ان شكا عماله في تلك النواحي من كثرة اعتداءاتها[٤] ، فسار على رأس جيش لمحاربتها ، فالتقى معها في معركة قطوان (قرب سمرقند) في سنة (٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) ، خسر فيها سنجر خسارة كبيرة وأسرت زوجته وابنه ونجا بنفسه فهرب الى ترمذ وبلخ[٥].

(١) Bartold, Turkestan down to the Mongol invasion, P 325.

(٢) الخطا : وهم جماعات لا حصر لها من البدو يعيشون في الصحراء ويعبدون الهواء وطعامهم اللحم النيئ ، ولا يأكلون الخبز ولا يعرفون الخمر .. وهم اذا اكلوا لحما لا يفرقون بين الطاهر وغير الطاهر . انظر : بنيامين بن يونه التطيلي ، رحلة بنيامين ، ترجمها عن الاصل العبري عزار حداد (المطبعة الشرقية ، بغداد ، ١٩٤٥) ص ١٦٠ .

(٣) بلاساغون : بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر (معجم البلدان ١٠ : / ٧٠٨) .

(٤) الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، (مطبعة الموسوعات ، مصر ، ١٩٠٠) ص ٢٥٣ .

(٥) الجويني ، تاريخ جهانكشاى : ٢ / ٦ . الذهبي ، دول الاسلام : ٢ / ٤٠ . ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٥٨ .

لقد كانت هزيمة السلطان سنجر أمام الخطا ضربة عنيفة لقوة الاسلام[١]، وفرصة مناسبة لخوارزم شاه اتسز لتوسيع ممتلكاته ، فأغار على ممتلكات السلاجقة في خراسان واستولى على خزانة السلطان سنجر في مرو[٢] وقطع الخطبة له[٣]، الا ان خوارزم شاه اتسز لم يتمكن من ضم أية مدينة من مدن خراسان الى ممتلكاته ، فاضطر الى تركها حين عاد السلطان سنجر الى خراسان بعد هزيمته امام الخطا .

لقد كان سلوك الخوارزميين هذا مع السلطان سنجر خطرا على الكيان السلجوقي الاسلامي لأن الاعمال التي ارتكبوها في خراسان ، بدافع من طيش خوارزم شاه أتسز ، مهّدت السبيل لكورخان صاحب الخطا الوثني ان يحقق اهدافه ، فاستولى على كل بلاد ما وراء النهر بعد ان هزم السلطان سنجر في قطوان[٤]، ثم ولى كورخان على بخارى (اتمتكين بن الأمير بياباني بن أخي اتسز) حاكما من قبله[٥]، الأمر الذى يؤيد تحالف خوارزم شاه أتسز مع الخطا ضد السلطان سنجر .

ولم يغفر السلطان سنجر لخوارزم شاه أتسز فعلته النكراء ، باغارته

---

(١) سيرت . و . ارنولد ، الدعوة الى الاسلام . ترجمة حسن ابراهيم حسن وجماعته : ٣ / ١٨٨ (القاهرة ، مكتبة النهضة) .
(٢) البندارى ، دولة آل سلجوق : ص ٢٥٦ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٨٨ . ابن خلدون : ٥ / ١٤١ .
(٤) النظام العروضي السمرقندى ، جهار مقاله (المقالات الاربع) الترجمة العربية (ط ١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٩) ص ٣١ . ارمنيوس فامبرى ، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، الترجمة العربية (شركة الاعلانات الشرقية ، القاهرة) ص ١٤٨ .
(٥) جهار مقاله : ص ٣١ .

على حاضره ملكه ، ونهب خزائنه ، فسعى الى الانتقام منه ، وجمع جنوده وقصد خوارزم في سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٢ م)[١] ولما سمع اتسز بذلك جدّ في حشد رجاله وتقوية جيشه واصلاح حصونه ، لانه كان يدرك ان السلطان سنجر عازم على ازالة ملكه .

ولما وصل سنجر الى خوارزم ، وجد أن اتسز قد تحصن فيها ولم يخرج لقتاله ، فحاصره وجرى بين الفريقين مناوشات من وراء الاسوار مدة عشرين يوما[٢]، حاول السلطان سنجر خلالها ان يستميل بعض الخوارزميين اليه ولكنه اخفق في ذلك[٣]، وظل مشددا الحصار على خوارزم حتى كاد ان يملكها لولا ان وقع خلاف بين امرائه عاد عليه بالضرر[٤].

ولما وجد خوارزم شاه اتسز ان الحصار حوله صار محكما وشديدا خشي على ضياع ملكه فاظهر ندمه لما بدر منه ، وارسل رسلا الى السلطان سنجر يبذل المال والطاعة والخدمة ليعود الى ما كان عليه[٥].

ولطيبة طوية السلطان سنجر سامحه وعفا عنه ورفع الحصار ، وعاد الى عاصمة ملكه (مرو) ، بعد ان وقع الصلح بينهما ، على ان يتخلى أتسز عن كل ما ملكه من البلاد الخراسانية اثناء انشغال السلطان سنجر

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٩٥ .
(٢) رشيد الدين محمد العمري ، المعروف بـ(رشيد الدين الوطواط)، مجموعة رسائل الوطواط : ١/ ٩ (مطبعة المعارف ، مصر ١٣١٥ هـ) .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ٩
(٤) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٩٦ ٠٠٠٠٠ (٥) ن ٠ م ٠ : ص ٩٦ .

بحرب الخطا في سنة (٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) . كما تعهد أتسز بارجاع ما استولى عليه من اموال وجواهر السلطان التي اخذها من الخزانة السلطانية في مدينة مرو سنة (٥٣٦ هـ / ١١٤١ م)[1].

((اعلان قيام الدولة الخوارزمية))

من الراجح ان يكون خوارزم شاه أتسز قد اعلن استقلاله نهائيا عن السلاجقة في سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ، بعد ان اخفق السلطان سنجر في القضاء عليه ، وصار للخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل .

وهكذا رتب الخوارزميون امورهم ، ووحدوا اهدافهم فنالوا الاستقلال ، ولم يبق امامهم الآ ان يعطوا دولتهم الصفة الرسمية ، ويصبغوها بالصبغة الشرعية بان يحصلوا على موافقة الخليفة العباسي على قيامها ، واعترافه بسيطرتها على المناطق التي تحت يدها ، والمناطق التي قد تسيطر عليها في المستقبل .

لذلك كان على خوارزم شاه أتسز بعد ان نال استقلاله ان يحصل على موافقة الخليفة العباسي بكونه حاكما شرعيا ، ولتحقيق هذا الغرض بعث الى الخليفة العباسي المقتفي لامر الله (٥٣٢-٥٥٥ هـ / ١١٣٧-١١٦٠ م)

---

(١) البنداري ، دولة آل سلجوق : ص ٢٥٧ .

رسالة مطولة اظهر فيها موالاته للخلافة ، واشار الى جهاد والده محمد ابن انوشتكين وفضله على السلاجقة ، كما ضمنها تحريضا للخليفة على السلطان سنجر . وذكر وصفا عن غزو السلطان المذكور لخوارزم في سنة (٥٣٨ هـ) واخفاقه في النيل منها . ومما جاء في هذه الرسالة ايضا ، طلبه من الخليفة " ان يصدر ... باسمه منشورا برسمه على ولاية خوارزم شرقيها وغربيها ، وما ينضاف اليها وينعطف من بلادها وديارها..."(١)

وقد بعث اليه الخليفة بالخلع والتشريفات(٢)، الامر الذى يدل دلالة واضحة على الاعتراف به حاكما شرعيا .

ولاجل ان يحقق خوارزم شاه اتسز استقلال بلاده الكلي عن السلاجقة اخذ يثير الاضطرابات والمشاكل امام السلطان سنجر بعد عودة الاخير من غزو خرارزم سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) .

ولكن السلطان سنجر لم يكن غافلا عن هذه الأعمال ، فتوجه الى خوارزم مرة اخرى في سنة (٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)(٣)، ولكنه اخفق هذه المرة ايضا في القضاء على خوارزم شاه اتسز كما اخفق من قبل .

وبعد ذلك سئم السلطان سنجر من تعاقب حملاته على خوارزم ، التي كلفته كثيرا من الجهود والمتاعب ، فاضطر الى الاعتراف بأتسز حاكما مستقلا عن السلاجقة ، فرسخت بذلك اركان الدولة الخرارزمية واخذت تظهر على

---

(١) الوطواط ، مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ١٣ .
(٢) ن . م . : ص ١٥ .
(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاى : ٢ / ٨ .

مسرح التأريخ في صورة دولة قوية وصار لها اثر كبير في توجيه سير الاحداث في القسم الشرقي من العالم الاسلامي والبلاد المجاورة لها .

((ضعف السلاجقة واثره في نمو الدولة الخوارزمية))

كانت الظروف المحيطة بالدولة السلجوقية مواتية للخوارزميين لتوسيع دولتهم ، فقد اخذ الضعف يدب في جسم الدولة السلجوقية بسبب عوامل كثيرة ، يأتي في مقدمتها انشغال سلاطينهم بالمنازعات والخصومات على السلطنة ، وقد اشتدت هذه المنازعات بعد وفاة السلطان ملكشاه بن الب ارسلان في سنة (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) [(١)] ، وظلت كذلك حتى سقوط السلاجقة نهائيا في سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) ، وكان من نتيجة هذه المنازعات ان شغل سلاطين السلاجقة بانفسهم عن اعدائهم الذين يحيطون بدولتهم من كل جانب ، وقد وصف ابن العبري حالهم بقوله " فكأنما سلّ طين السلاطين من جفن الجفاء وجبلت جبلتهم على الاغفال والاغفاء ، فالرحم عندهم مقطوعة ، والحزّة في خدمتهم مشفوعة ، والاغترار بهم غرر وصفوهم كدر "[(٢)] .

وكان لظهور جماعات وعناصر مناوئة للسلاجقة اثرها في اضعاف

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٢١٠ .

(٢) غريغورس ابو الفرج اهرون الطبيب بن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠) ص ٢٤٣ .

دولتهم ، فالاسماعيلية بحركاتها وقلاقلها استنزفت الكثير من جهود الدولة ، وكذلك قبائل الخطا التركية التي الحقت هزائم منكرة بجيش السلاجقة .

والى جانب ذلك فقد كان لاطماع الكثير من الاتابكة والوزراء وتدخلهم في شؤون السلطنة ومساهمتهم في الخصومات والمنازعات التي حدثت في العصر السلجوقي اثارها البالغة في زيادة ضعف السلاجقة .

وهكذا كانت الظروف المحيطة بدولة السلاجقة سيئة للغاية ، واصبحت القرائن جميعها توحي بان دولة كهذه لا يمكن ان تحتفظ بقوتها أو ان تصمد امام اعدائها وتستطيع المحافظة على حدودها .

واخيرا كان لفتنة الغز في سنة (٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ، اثرها المباشر في انهاء دولة سلاجقة خراسان ، وكان هؤلاء الغز من القبائل التركية التي تسكن في اقليم ما وراء النهر ، والتي اضطرت الى الهجرة من بلادها بعد استيلاء الخطا عليها في سنة (٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) [١]، فسكنت قرب بلخ ، ولكن اميرها اراد ابعادهم عنها ، فحاولوا استرضاءه بالمال ولكنه أبى ذلك ، فاضطروا الى محاربته والحاق الهزيمة به ، ولما وصل خبر هذه الحادثة الى السلطان سنجر سار لمحاربتهم ولكنه هزم امامهم ايضا هزيمة نكراء ،

---

(١) ابن الوردي ، تتمة المختصر في اخبار البشر : ٢ / ٧٥ . علي بن الحسن بن وهاس الخزرجي ، العسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك (نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا ، جامعة بغداد) ورقة ٦٠ .

ووقع أسيرا بايديهم [١]، وعاثوا في بلاد خراسان نهبا وقتلا [٢].

وقد ظل سنجر في الأسر مدة ثلاث سنوات وبضعة اشهر ، ثم تمكن من الهرب في رمضان سنة (٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) [٣]، ولما رأى ما حلّ ببلاده من خراب على ايدى الغز ، مرض ومات كمدا وحزنا في سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧م) [٤] وبوفاته لم يجد الخوارزميون منافسا قويا يقف امامهم ويعوق توسعهم ، لان الصراع السياسي بين الدول والامارات الاسلامية وصل حدا كان من المستحيل معه حل قضاياها بطريقة سلمية . وقد كان سلاطين الخوارزميين يدركون اهمية القوة في بناء الدول فاهتموا اهتماما جديا بتعزيز قواتهم العسكرية لتحقيق طموحهم وتوسيع رقعة ممتلكاتهم ، والى جانب ذلك فانهم اتبعوا سياسة تقوم على كسب حلفاء يقفون الى جانبهم في حروبهم مع اعدائهم ، ولهذا تحالفوا مع الخطا ضد السلطان سنجر السلجوقي في سنة (٥٣٦ هـ / ١١٤١ م) ، كما تحالفوا معهم ايضا في حربهم مع

---

(١) ابو يعلى حمزة بن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق (مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨) ص ٣٢٥ . عبد الرحمن بن علي بن الجوزى ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ١٠ / ط١ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٥٨ هـ) [illegible] ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن الوردى ، تتمة المختصر : ٢ / ٧٦ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٢١٠ .

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : ص ٣٤٥ . المنتظم : ١٠ / ١٧٨ . الكامل : ١١ / ٢٢٢ . شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي المعروف بابي شامة ، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية : ١ / ٢٨٥ ، ق ١ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦)

الغوريين في سنتي (٥٩٤ هـ/ ١١٩٧ م)[1]، و (٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م)[2].
وقد كان للاسباب المذكورة اثر في تثبيت الدولة الخوارزمية وتوسعها .

((أهداف الخوارزميين))

لقد رأينا كيف اسس خوارزم شاه اتسز دولة مستقلة عن السلاجقة وعمل على تثبيتها وتوسعها ، وقد رسم خلفاؤه من بعده لانفسهم سياسة معينة تحدد اهدافهم القريبة والبعيدة ،فجعلوا من اهدافهم القريبة تدعيم نفوذهم في خوارزم ، واهدافهم البعيدة بسط نفوذهم على مناطق جديدة ، حتى تتسع رقعة دولتهم ويعظم شأنها ،وقد كافحوا بثبات وعزيمة للوصول الى اهدافهم المذكورة .

ولا شك ان هذه السياسة تقوم على الاسس التي سار عليها اتسز ، ونلاحظ ان ايل ارسلان (٥٥١ - ٥٦٨ هـ/ ١١٥٦ -١١٧٣ م) الذى خلف اباه اتسز ، عمل على تثبيت حكمه والتخلص من مناوئيه ، فقتل بعض أعمامه وسمل عيني اخيه الذى توفي بعد ثلاثة ايام ،وقيل انه انتحر في رواية اخرى[3]، كما حرص ايل ارسلان الا يقتصر حكمه على اقليم خوارزم فقط ، بل رغب في ان يمده الى الاقاليم الاخرى المجاورة وخاصة

(١) الكامل : ١٢ / ١٣٥ - ١٣٦ .
(٢) ن ٠م ٠ : ص ١٨٦ .
(٣) ن ٠م ٠ : ١١ / ٢٠٩ . احمد بن يوسف الدمشقي القرماني ، اخبار الدول واثار الاول (بغداد ١٣٨٢ هـ) : ص ٢٧٦ .

خراسان[1]، فنجح فعلا في الاستيلاء على بعض مناطقها ، واقيمت له الخطبة في جرجان ودهستان[2].

وكان لاستيلاء الخوارزميين على هذه المناطق ودخولهم الى خراسان بداية لمرحلة جديدة في كفاحهم ، لانهم اخذوا يدعمون قواتهم وينتشرون في الارجاء المجاورة لهم ، كما اخذوا يتحينون الفرص للانقضاض على الممتلكات المجاورة ، ولا ادل على هذا من ان خوارزم شاه ايل ارسلان حاول ان يستغل النزاع الذى قام بين امراء السلاجقة للاستيلاء على العراق العجمي[3]، الا ان ظروفه لم تسمح له بذلك ، فتخلى عن اطماعه في الممتلكات السلجوقية ، وابدى رغبة للجهاد في سبيل الله ونصرة الدين ، وسار في سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م) ، لمحاربة الخطا الوثنيين الذين كثرت اعتداءاتهم على البلاد الاسلامية ، ولكنه مرض ومات في السنة نفسها[4].

---

(١) Howorth, History of the Mongols, P. 7 .

(٢) الكامل : ١١ / ٢٩٣ .

(٣) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٦٣ — ١٦٤ .
والمقصود بالعراق العجمي (اقليم الجبال) ، المنطقة التي تكون حدودها على النحو التالي :
" حدها الشرقي الى مفازة خراسان وفارس واصبهان وشرقي خوزستان ، وحدها الغربي أذربيجان ، والشمالي بلاد الديلم وقزوين والرى ، وحدها الجنوبي العراق وبعض خوزستان " .
انظر :
ابن حوقل ، خلاصة اخبار المسافر والعجم في معرفة بلاد عراق العجم (مخطوطة مصورة في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٣٣٥ عن نسخة فينّا ، اكاديمية نيبوكرافن) ورقة ١ .

(٤) الكامل : ١١ / ٣٧٧ .

وبعد وفاة ايل ارسلان فوجيء الخوارميون بفتنة شديدة قامت بين ولديه علاء الدين تكش ، وسلطان شاه بسبب ولاية العرش ، فقد عهد ايل ارسلان بالملك من بعده الى اصغر ابنائه سلطان شاه ، ولكن اخاه الاكبر تكش لم يوافق على ذلك ، واخيرا تمكن من اخراج اخيه سلطان شاه من خرارزم ، فولى الاخير وجهه شطر خراسان وأعانه الخطا ، فاستولى على مرو وسرخس ونسا وابيورد[١] وقد ظلت هذه الممتلكات بيده الى ان توفي في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م) ، حيث تمكن اخوه تكش من ضمها الى نفوذه[٢]

اما عن دور خوارزم شاه علاء الدين تكش (٥٦٨ — ٥٩٦ هـ/ ١١٧٣ — ١١٩٩ م) في توسيع الدولة الخوارزمية ، فانه استغل انقسام الامراء السلجوقيين على انفسهم ، واستولى على الري في سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩١ م)[٣]، كما واصل سياسته في التوسع نحو الغرب فاستولى على العراق العجمي في سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) بعد ان قتل السلطان طغرل بن ارسلان السلجوقي آخر سلاطين السلاجقة[٤]

وهكذا اخذت الدولة الخوارزمية تتسع شيئا فشيئا ، حتى تمكنت من ضم ممتلكات السلاجقة في خراسان والعراق العجمي اليها ، وصار نشاط

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣٧٨ — ٣٧٩ .
(٢) الكامل : ١٢ / ١٠٧ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ١٠٦ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ١٠٨ .

الخوارزميين السياسي والعسكري يغطي تلك المناطق ٠

اخذ العداء يدب في هذا الوقت بين الخوارزميين والخلافة العباسية حول اقتسام مخلفات الدولة السلجوقية ، وتطور الخلاف عندما بعث خوارزم شاه علاء الدين تكش الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله " يطلب السلطنة واعادة دار السلطنة الى ما كانت عليه زمن السلاجقة "[1] ، ولكن الخليفة رفض طلبه لانه لا يريد ان يعيد نفوذا اجنبيا آخر بعد ان تخلص من نفوذ السلاجقة ٠

وقد واصل خوارزم شاه علاء الدين تكش سياسته التوسعية فتمكن في سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧) ان ينتزع بخارى من الخطا بعد ان انتصر عليهم[2] وبعد ان ضم علاء الدين تكش هذه الممتلكات الى دولته ، التفت فوجد ان هناك خطرا يهدد ممتلكاته من قبل الاسماعيلية ، فحاربهم واجبرهم على البقاء في قلاعهم[3]

وهكذا استطاع علاء الدين تكش ان يوطد دعائم الدولة الخوارزمية ، وان يجعل لها كيانا شامخا ، واصبح مرهوب الجانب عند حكام المسلمين ، وتمكن

---

(١) الذهبي ، العبر في خبر من غبر : ٤/ ٢٧٨ (الكويت ، ١٩٦٣) جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تاريخ الخلفاء امير المؤمنين القائمين بامر الامة ، ط ٣ : ص ٤٥٤ - ٤٥٥ (القاهرة ١٩٦٤) ٠

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٣٧ - ١٣٨ ٠ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مخطوطة مصورة في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا ، جامعة بغداد ورقة ٩٥ ٠ ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب : ٤ / ٣١٦ (نشر مكتبة القدسي ، القاهرة ٥٠ - ١٣٥١ هـ) ٠

(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٥٣ ٠

من المحافظة على وحدة دولته الشاسعة حتى وفاته في سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م)[١].

((الدولة الخوارزمية في اوج اتساعها))

تولى عرش الدولة الخوارزمية ، بعد وفاة خوارزم شاه علاء الدين تكش، ابنه علاء الدين محمد ، وقد وجد هذا اخطارا خارجية تهدد ممتلكات دولته من جانب الغوريين والخطا والخلافة العباسية ،لان وفاة والده اطمعت حكام الدولة الغورية في ممتلكات الخوارزميين في خراسان ،وكان يعاصره من حكام هذه الدولة ،الاخوان غياث الدين وشهاب الدين ، اللذان ظنا انه ضعيف لا يقوى على مقاومتهما ،فاغارا على مرو وسرخس وطوس ونيسابور وغيرها من ممتلكات الخوارزميين[٢]، واستوليا عليها ، وارسلا حكاما من قبلهما ساموا الرعايا الخوارزميين سوء العذاب ونهبوا اموالهم[٣]،فاستاء خوارزم شاه علاء الدين من تصرفهما هذا ، وصمّم على اخراج الغوريين من المناطق التي استولوا عليها ،وساعدته الظروف المحيطة بالغوريين على تسهيل مهمته ،اذ توفي احد الاخوين الغوريين ،وهو غياث الدين في سنة (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م)[٤]،ولم يقو اخوه شهاب الدين

(١) ابن الاثير ،الكامل : ١٢ / ١٥٦ .
(٢) ن . م . : ص ١٦٥ . ابن الوردى ،تتمة المختصر : ٢ / ١٦٨ .
(٣) الكامل : ١٢ / ١٦٦ .
(٤) ن . م . : ص ١٨٠ . تتمة المختصر : ٢ / ١٧٣ .

على الاحتفاظ بما في يده من ممتلكات الخوارزميين ، فاستعاد خوارزم شاه علاء الدين محمد املاكه الخراسانية ، منهم في سنة (٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م) ، فأجهد شهاب الدين نفسه في مقاومة علاء الدين محمد ، ثم انه قاد حملة الى خوارزم في السنة نفسها منتهزا وجود علاء الدين محمد في خراسان ، ولكن حملته هذه باءت بالفشل لاستعانة علاء الدين محمد بالخطا على الغوريين ، اذ اطبقت قواتهم على قوات شهاب الدين المرتدة فكادت تسحقها سحقا[1] ، وكان من نتيجة هذه الهزيمة ان اصيب الحكم الغوري في الهند بأذى كبير[2].

وبعد ان تخلص خوارزم شاه علاء الدين محمد من خطر الغوريين ، واصل سياسة التوسع ، وواتته الفرصة في سنة (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥م) ، فاستولى على مازندران ، عندما توفي صاحبها اردشير الملقب (حسام الدين) في هذه السنة ، وترك عدة اولاد اختلفوا من بعده ، فسير علي شاه ابن تكش الذى كان بجرجان ، عسكرا مع بعض اولاد صاحب مازندران المذكور فملك البلد[3] ، وصار يعدّ من ممتلكات الدولة الخوارزمية .

وفي سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م) طلب (عثمان خان) صاحب سمرقند مساعدة علاء الدين محمد له على قتال الخطا الذين كانوا يغيرون على

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٨٦ - ١٨٧ .
(٢) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية (دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٥) الترجمة العربية : ص ٣٧٩ .
(٣) الكامل : ١٢ / ٢٥١ - ٢٥٢ . ابو طالب علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي ، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير : ٩ / ١٨٨ (المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٩٣٤) .

تركستان وبلاد ما وراء النهر ، فكتب اليه يقول :

" ان الله قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك ، وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدى الكفار وتخلصهم مما يجرى عليهم من التحكم في الأموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما نحمله اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة ".(١)

وقد اجابه خوارزم شاه الى ذلك ، فولّى اخاه علي شاه طبرستان بالاضافة الى جرجان وقلّد نوابا عنه في حكم اقاليم خراسان وسار الى قتال الخطا ، فالتقى معهم ولكن الدائرة دارت على الخوارزميين وقتل الخطا الكثير منهم ووقع خوارزم شاه نفسه اسيرا في ايديهم ومعه امير كبير من امراء دولته يقال له فلان بن شهاب الدين مسعود فاحتال هذا في اطلاق سراح مولاه وتمكن ان يخلصه من الأسر.(٢)

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٥٩ . الخزرجي ، العسجد المسبوك: ورقة١١٦ .

(٢) ذكر المؤرخون ان ابن مسعود عرض على خوارزم شاه علاء الدين محمد ان يتظاهر بخدمته فقام خوارزم شاه بخدمته ، وكان يعظمه ويقدم الطعام له ويخلعه ثيابه وخفه فقال الخطائي الذى اسره : اري هذا الرجل يعظمك فمن انت ؟ فقال انا فلان وهذا غلامي . فقام اليه الخطائي واكرمه . وقال لولا ان القوم عرفوا بمكانك عندى لاطلقتك ، ثم تركه اياما ، فقال ابن مسعود : اني اخاف ان يرجع المنهزمون فلا يراني اهلي معهم فيظنون اني قتلت فيعملون العزاء والمآتم وتضيق صدورهم لذلك ثم يقتسمون مالي فاهلك واحب ان تقرر عليّ شيئا من المال حتى احمله اليك ، فقرر عليه مالا . وقال اريد ان تأمر رجلا عاقلا ليذهب بكتابي الى اهلي ويخبرهم بعافيتي ويحضر معه من يحمل المال . ثم قال ان اصحابكم لا يعرفون اهلنا ولكن هذا غلامي اثق به ويصدقه اهلي فاذن له الخطائي بانفاذه فسيره ، ووصل خوارزم شاه فاستبشر به الناس وضربت البشائر .
الكامل : ١٢ / ٢٦٣ — ٢٦٤ . ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ٢٣٨ — ٢٣٩ .

وبعد ان تخلص خوارزم شاه من أسره ، قاد عدة حملات لمحاربة الخطا حتى تمكن من ازالة دولتهم . وهنا اعتقد بعض المؤرخين أن خوارزم شاه علاء الدين محمد ارتكب خطأ كبيرا بازالته الدولة الخطائية ، لانها كانت سدا منيعا بين بلاد المسلمين وغيرهم من بلاد الكفار كالمغول[1]، وقد ظهرت نتيجة ذلك فيما بعد ، اذ اصبح الاحتكاك بين الدولة الخوارزمية والمغول مباشرا .

ولم يقف خوارزم شاه علاء الدين عند هذا الحدّ في فتوحاته ، بل ظل يواصل سياسته في التوسع وضم ما يمكن الاستيلاء عليه من الاقاليم المجاورة ، فتمكن من الاستيلاء على كرمان ومكران وساحل المحيط الهندي والاقاليم الواقعة غرب نهر السند[2]. وبعد استيلائه على هذه الاقاليم صار الطريق مفتوحا أمامه للاستيلاء على مدينة غزنة حاضرة الدولة الغورية ، فحاصرها حتى سقطت بيده في سنة(٦١٢هـ/ ١٢١٥م) .

وهكذا وصلت الدولة الخوارزمية ذروة اتساعها على عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد ، اذ اصبحت حدودها تمتد من العراق غربا الى حدود الهند شرقا ، وبحر ارال وقزوين شمالا ، والخليج العربي والمحيط

---

(١) عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٣/ ٧٠ (دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣) .
احمد بن محمد بن عربشاه ، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٩٠ هـ) : ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٣٠٣ . الذهبي ، تاريخ الاسلام: ورقة ٢١٤ .

الهندى جنوبـــا[1]

ولما كانت هذه الممتلكات واسعة جدا فانه لم يكن من اليسير ان يتمكـن علاء الدين محمد من السيطـرة عليها بسهولـة ، لذلك فانه عني بعـــد فتوحاتـه بتنظيـم شؤون الادارة والحكم ،فقسـم دولتـه الى أربع ولايـات كبيرة على رأس كل منها أحد اولاده الاربعـــة ، وكان اولاده جميعهـم مسؤوليـن امامه مسؤوليـة مباشرة ،لذلك انقسمت الدولة الى اقسام اربعـــة هـــــي :-

١- القسـم الشرقي الذى يضـم غزنة وباميان والغور وبست وتكياباذ وزميـن دارر وما يليها من الهند ،وكان هذا القسم من نصيب الابن الاكبـــر جلال الديـن منكبرتـــي .

٢- القسم الشمالي ويضـم خوارزم وخراسان ومازندران ، وكان من نصيـب ابنه وولـي عهده قطب الدين أزلاغ شـــاه .

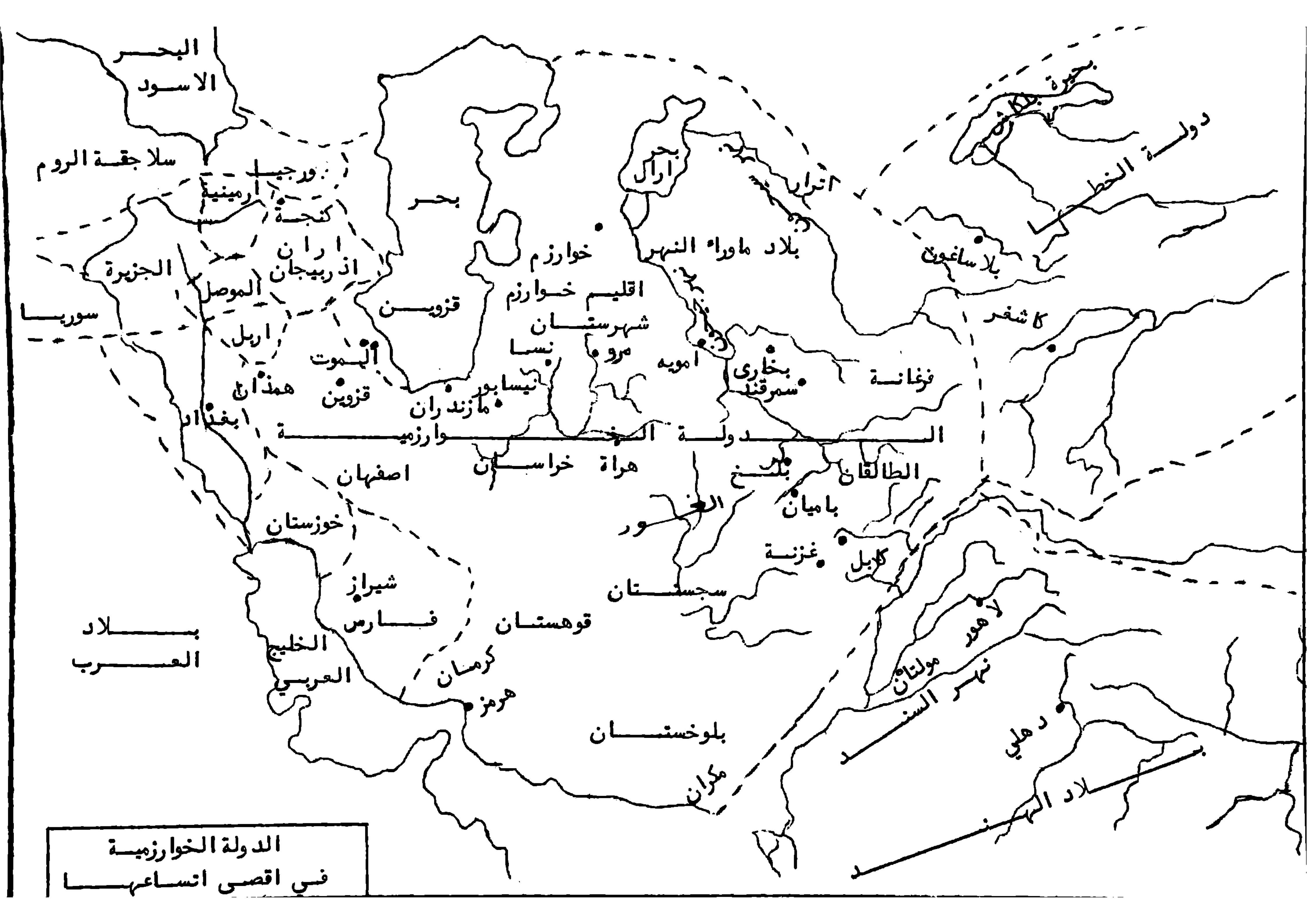
٣- القسم الجنوبي ،ويشمل كرمان ومكران وكيش ، كان من نصيب غيـــات الدين بيرشـــــاه .

٤- القسم الغربـي ،ويشمل العراق العجمي ، كان من نصيب ركن الديـــن غور شايجـــي[2]

ولم تشا الحوادث ان تمهل الدولة الخوارزميـة طويلا ، ليجني حكامهـا

---

(١) انظر خارطة الدولة الخوارزميـة في ابج اتساعهـا .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتـي : ص ٧١ - ٧٢ .



الدولة الخوارزمية
في اقصى اتساعها

ثمار انتصاراتهم العظيمة ، بل سرعان ما ظهر الخطر المغولي ، ولم يستطع خوارزم شاه علاء الدين محمد ان ينصرف الى شؤون دولته الداخلية ، ومجابهة المشاكل الكثيرة التي واجهته ، حتى تمكن المغول في سنة (٦١٧ هـ/ ١٢٢٠ م) ، اجتياح اقليم خوارزم ، دون ان يقوى على صدهم ، وفرّ امامهم الى احدى جزر بحر قزوين وهناك انتابه المرض والهمّ ، فمات في نفس السنة [١] تاركا بلاده لعدوه يدمرها تدميرا .

والامر الذى يستحق الاهتمام ان خوارزم شاه علاء الدين محمد ، عندما أحسّ بدنو اجله ، كان يقدر ان موته سيترك فراغا يستلزم ان يملأه رجل تجمع القلوب على محبته ، وان يصل السلسلة المقطوعة بمملكته ، والاّ انفرط العقد كله ، وتصبح البلاد فوضى ، وتفتح ابوابها لدخول المغول يستصفونها كلها ، لذلك استدعى اولاده ، وأعلن خلع ابنه الاصغر (قطب الدين ازلاغ شاه) عن ولاية العهد التي سبق وان خصه بها ، والبيعة بها لابنه الاكبر (جلال الدين منكبرتي) ، لانه كان يأمل فيه الرجل الوحيد الذى يستطيع مقاومة المغول واستعادة ممتلكات الدولة الخوارزمية [٢] .

وقد بذل السلطان جلال الدين منكبرتي جهودا كبيرة في المحافظة على مملكة آبائه واجداده ، وابلى بلاءً حسنا في محاربة المغول ،

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٠٨ . ابن الاثير ، الكامل : ١٢/ ٣٧٠ . ابن الشحنة ، روض المناظر ، بهامش الكامل : ٩/ ٧٣ .

(٢) سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٢٠ .

ثم ركز جهوده في توسيع نفوذه على حساب القوى المتعددة القائمة في ذلك الوقت ، فحارب الخلافة العباسية ، واتجه الى ضم بعض المناطق الواقعة شمال الدولة الخوارزمية ، فاستولى في سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) على اذربيجان[1] ، وفي سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) ، حارب الكرج في جورجيا وسقطت بيده عاصمتها تفليس[2] ، ثم طمع في ممتلكات الايوبيين ، فانتزع خلاطا[3] من يد صاحبها الملك الاشرف موسى بن الملك العادل الايوبي في سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)[4] .

ومع ان السلطان جلال الدين منكبرتي ، تمكن من ضم هذه المناطق الى نفوذه ، الا أنه لم يتمكن من الوقوف بوجه المغول ، فأخذ يواصل الفرار امام قواتهم التي كانت تتعقبه ، حتى ادى به المطاف الى قرية من قرى ميافارقين ، واحتمى اخيرا بجبال كردستان حيث لقي مصرعه على يد احد الاكراد في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م)[5] وبمقتله سقطت الدولة الخوارزمية ، وانهار السور الامامي للجبهة الاسلامية الشرقية ، لما كان لها من موقع حربي مهم على مشارف العالم الاسلامي .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٣٢ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٤٥٠ .
(٣) خلاط : وهي قصبة ارمينية (ياقوت ، معجم البلدان : ٢/ ٤٥٧- ٤٥٨) .
(٤) الكامل : ١٢ / ٤٨٨ ٠ ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ٤/ ٤١٤ ٠ الذهبي - العبر في خبر من غبر : ٥ / ١٠٧ .
(٥) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول : ص ٤٣٢ ٠ المستوفي القزويني ، تاريخ كريده : ص ٥٠٠ ٠ محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني ، ط ١ ، ١/ ١٥٢- ١٥٣ ، (مطبعة صلاح الدين ، بغداد ، ١٩٦١) .

الفصل الثاني

علاقة الخوارزميين بالسلاجقة

* علاقة الخوارزميين بالسلاجقة في عهد خوارزم شاه قطب الدين محمد بن انوشتكين *

٤٩٠ - ٥٢١ هـ / ١٠٩٦ - ١١٢٧ م .

رأينا في الفصل الاول كيف اقر السلطان بركيارق بن ملكشاه السلجوقي ، قطب الدين محمد بن أنوشتكين واليا على اقليم خوارزم في سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م . وقد ظل قطب الدين محمد يدين بولائه وتبعيته للسلطنة السلجوقية مدة تنيف على الثلاثين عاما ، اخذ يزاول خلالها بعض النشاط السياسي الذي يهدف الى حفظ وحدة السلاجقة (١) .

وعندما اصبح السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي سلطان سلاجقة خراسان في سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩م (٢) ، ووقع اقليم خوارزم ضمن منطقة نفوذه ، قرّب

---

(١) ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٠٧ هـ : ان محمد خان بن سليمان بن داود صاحب ماوراء النهر قد مدّ يده الى اموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا ، وصار يستخف بامر سنجر ، فتجهز سنجر لمحاربته ، فخاف محمد خان وارسل الى الامير قماج وهو اكبر امراء سنجر ، والى خوارزم شاه محمد بن انوشتكين يسألهما ان يصلحا الحال بينه وبين سنجر واعترف انه اخطأ . فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه . فامتنع محمد خان ثم اجاب وسكنت الفتنة (الكامل جـ ١٠ ، ص ٤٩٧ - ٤٩٨) .

(٢) قبل وفاة السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي في سنة ٥١١ هـ كان قد امر باسناد السلطنة الى ابنه محمود فاسندت اليه بعد وفاة والده ، وكان في الرابعة من عمره ، ولكن عمه سنجر والي خراسان وماوراء النهر استنكف ان يكون تابعا لابن اخيه فاعلن نفسه سلطانا على السلاجقة ، مما ادى الى انقسام دولة السلاجقة الى قسمين : سلاجقة خراسان وسلاجقة العراق .

اليه قطب الدين محمد ، لما لمسه منه من كفاية وشهامة وحسن سيرة[١] وظـل معه على وفاق دائم حتى وفاة محمد بن انوشتكين في سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م .

علاقة الخوارزميين بالسلاجقة في عهد خوارزم شاه أتسز
٥٢١ ـ ٥٥١ هـ / ١١٢٧ ـ ١١٥٦ م

أقـرّ السلطان سنجر بعد وفاة محمد بن أنوشتكين ، ابنه علاء الدين أتسز تقديـرا لفضل والده ، وقد اظهر اتسز كفاية وقابلية في ادارة شؤون الاقليم ، وتوثقـت علاقته بالسلطان سنجر حتى صار يعدّ من ابرز رجاله . ومما يروى عن اخلاصه لـه ، ان السلطان سنجر توجه على رأس جيشه في سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ، الى بـلاد ماوراء النهر لقمع التمرد الذي قام به والي سمرقند محمد خان ، وقد صحب فـي حملته هذه خوارزم شاه أتسز ، وقد حدث ان كان مع جيش السلطان جماعـة التحقوا بخدمته وعددهم اثنا عشر رجلا ارسلهم والي سمرقند محمد خان ليقتلـوا السلطان سنجر[٢] ، الا انه قبض عليهم فقتلهم ، ويقال ان خوارزم شاه اتسـز هو الذي هجم عليهم وانقذ السلطان من شرهم[٣] .

وقد استطاع سنجر بعد ان تحققت سلامته من الوصول الى سمرقند وحاصرها مدة اربعة أشهر حتى ملكها وأسر صاحبها المتمرّد . واعتمد السلطان سنجر علـى خوارزم شاه اتسز في حروبه الأخرى ، فنجده يستعين به ويجعله على ميسرة جيشـه

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٢٦٨ .
(٢) ن . م . ص ٦٦١ .
(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي : ٢ / ٤ .

في حربه لابن اخيه الملك مسعود ابن محمد الذي تحرك لطلب السلطنة بعد وفاة اخيه السلطان محمود في سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣٠م [(١)] ، واشتبك معه في حرب عنيفة قرب الدينور [(٢)] في سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣١م تمت فيها الهزيمة على مسعود [(٣)] .

وبلغ اعتماد السلطان سنجر على خوارزم شاه اتسز الى أبعد الحدود ، فجعله نائبا عنه في بلخ سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م ، عندما توجه الى غزنة لقتال بهرام شاه الغزنوي الذي خرج عن طاعته ، وقد قام أتسز بواجباته خير قيام حتى عاد السلطان .

وبالنظر للثقة التي منحها السلطان سنجر لخوارزم شاه أتسز ، اصبح الاخير موضع حسد الامراء وأركان الدولة له [(٤)] ، فأخذوا يناوئونه ويدبرون له المكائد ، فاستطاعوا ان يوغروا صدر السلطان عليه ، فخشي على نفسه ، وتمكن من استحصال اذن سيده السلطان بالسماح له بالعودة الى خوارزم . ويبدو ان خلافا وقع بينهما ، كما يفهم من قول السلطان لخواصه ومقربيه عندما ودعه أتسز " ان هذا ادبار لا سبيل الى رؤية وجهه ثانية " [(٥)] .

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص١٠٠ . ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٦٧٧ .

(٢) الدينور : مدينة من أعمال الجبل ، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخا " الفرسخ = حوالي ٥كم " (ياقوت / معجم البلدان : ٢ / ٧١٤) .

(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١٠ / ٦٧٧ — ٦٧٨ . وانظر ايضا : للمؤلف نفسه ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٣٦) ص ٤٤ — ٤٥ .

(٤) غياث الدين بن همام الدين الحسيني المدعو خواند مير ، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر ج٢ (تهران ١٣٣٣ هجري شمسي) ص٦٣٠ .

(٥) ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٥٨ .

وقد اشار بعض خواص السلطان عليه بمنع اتسز من الذهاب الى خوارزم والتخلص منه قبل استفحال امره . الا انه رفض ذلك وقال لهم :

" ان لاتسز علينا حقوقا جمّة ، فليس من شرعة الكرم وسنة المروءة الحاق الاذى به "(١) .

وبعد ان عاد أتسز الى خوارزم شرع بعد العدّة لجعل اقليمه مستقلا استقلالا تاما عن السلاجقة ، واخذ يبدي لسيده السلطان سنجر من البغضاء والعداء ، بقدر ماكان يظهره له من الولاء والاخلاص ، واخذت الجفوة تزداد بين الجانبين يوما بعد يوم ، حتى انتهى الأمر اخيرا الى اعلان اتسز الثورة على السلطان سنجر في سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٤م .

وقد ذكرنا في الفصل الاول ، ان السلطان سنجر اضطر لمحاربة أتسز في سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ ، وطرده من خوارزم ، ولكنه عاد اليها على اثر عودة السلطان سنجر الى عاصمة ملكه مرو .

وظلّ العداء يزداد بين الجانبين ، خاصة عندما تحالف خوارزم شاه أتسز مع قبائل الخطا التركية ، واتفق معها على محاربة السلاجقة . وعندما تمكنت هذه القبائل من احلال الهزيمة النكراء بجيش السلاجقة في (قطوان) سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١م ، انتهز أتسز ضعف السلطان سنجر ، فدخل الى خراسان وعاث فيها فسادا . فقد توجه اول الأمر الى سرخس(٢) ، فاوقع الرعب في قلوب اهلها ، ودخلوا في طاعته بعد ان شفع لهم الامام أبو محمد الزيادي(٣) ،

---

(١) ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٥٨ .
(٢) سرخس: مدينة من نواحي خراسان بين نيسابور ومرو في وسط الطريق . ياقوت / معجم البلدان : ٣ / ٧١ .
(٣) ابن الأثير ، الكامل : ١١ / ٨٧ .

ثم تقدم الى (مرو) حاضرة السلطان سنجر ، ونزل بظاهرها ، فخرج اليه الامام أحمد الباخرزي مستشفعا لاهلها ، فاجابه الى طلبه ، ثم استدعى اليه ابا الفضل الكرماني (١) الفقيه الحنفي واعيان اهلها للتفاوض معهم (٢) ، ودخل بعض جنوده الى البلد ، فاستاء الاهالي منهم ، وقاوموهم وقتلوا بعضهم ، ولما علم اتسز بقتل جماعة من جنوده ، هاجم المدينة بشدة ودخلها وقتل كثيرا من اعيان اهلها وعلمائها ، نذكر منهم : ابراهيم المروزي الفقيه الشافعي ، وعلي بن محمد بن ارسلان ، الذي كان ذا فنون كثيرة من العلم (٣) . كما انه استولى على خزانة وجواهر السلطان سنجر . (٤)

وبالاضافة الى ذلك فقد كان من نتيجة اغارة الخوارزميين على مرو أن حلّت مصيبة كبيرة بالعلم والمعرفة ، حيث ضاعت الكثير من كتب العلم اثناء هذه الغارة ، نخصّ بالذكر منها مكتبة "حكيم حسن قطان" . الذي اتهم رشيد الدين الوطواط الشاعر الخاص لخوارزم شاه اتسز وكاتب انشائه ، بنهب كتبه . وقد دافع رشيد الدين عن نفسه دفاعا قويا في خطاب طويل ، وانكر هذه التهمة وقال : " وها أنا أتاني الله من الوجه الحلال قريبا من الف مجلدة من الكتب النفسية والدفاتر

---

(١) ترجمته عند ابن قطلوبغا : " عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه بن محمد ابن ابراهيم ركن الدين ابو الفضل الكرماني ، ولد بكرمان في شوال سنة ٤٥٧ هـ وقدم مرو ، فتفقه وبرع حتى صار امام الحنفية بخراسان وله كتاب شرح الجامع الكبير ، وكتاب التجريد وشرحه بكتاب سماه الايضاح ، ومات بمرو في العشرين من ذي القعدة سنة ٥٤٣ هـ . " . انظر : زين الدين قاسم بن قطلوبغا ، تاج التراجم في طبقات الحنفية (مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٢) ص ٣٣ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٨٧ .

(٣) ن . م . : ص ٨٧ .

(٤) البنداري ، دولة آل سلجوق ص ٢٥٦ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ٩٥ .

الشريفة ، وانا وقفت الكل على خزائن الكتب المبنيّة في بلاد الاسلام عمّرها الله تعالى لينتفع المسلمون بها ، ومن كان عقيدته هذه كيف يستجيز من نفسه ان يغير على كتب امام من شيوخ العلم انفق جميع عمره حتى حصل اوراقا يسيرة ، لو بيعت في الاسواق مع أجلاد أديم ماأحضرت بثمنها مائدة لئيم "[1].

وعندما رجع خوارزم شاه أتسز الى بلاده أخذ معه عددا من علماء مرو لينتفع منهم ، ومن بينهم الفقيه الحنفي ابو الفضل الكرماني ، وأبو منصور العبادي ، والقاضي الحسين بن محمد الأرسابندي ، وابو محمد الخرقي الفيلسوف وغيرهم[2].

على ان خوارزم شاه أتسز لم يكتف بما فعله في مرو من قتل ونهب ، بل سار الى مدينة نيسابور ، فخرج اليه جماعة من فقهائها وعلمائها وزهادها وطلبوا منه ألاّ يفعل باهلها مثل مافعل بأهل مرو ، فأجابهم الى ذلك ، ولم يبدوا اية مقاومة ضده ، على ان ذلك لم يمنعه من البحث عن اموال اصحاب السلطان سنجر في هذه المدينة واغتصابها لنفسه[3].

وبعد ان سيطر أتسز على هذه المناطق أمر بقطع خطبة السلطان سنجر في هذه البلاد ، وكان ذلك في أول ذي القعدة سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م[4]، فأقدم بهذا على عمل سياسي خطير ، لان قطع الخطبة كان يعني عدم الاعتراف بشرعية سلطنة سنجر ولاحق له في المناطق المذكورة .

---

(١) انظر النص الكامل لهذا الخطاب في مجموعة رسائل الوطواط ، ٢ / ١٨ . كما اورد الجويني في تاريخ جهانكشاي نص هذا الخطاب بالعربية ، ٢ / ٦ — ٧ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل . ٨٨ .

(٣) ن . م . ص ٨٨ .

(٤) ن . م . ص ٨٨ .

ولم تقتصر أعمال اتسز على ذلك بل سيّر جنوده للاستيلاء على بيهق واعمالها فلاقوا مقاومة شديدة ، ثم انتشروا في انحاء خراسان ينهبون ويرتكبون الاعمال الشنيعة من السلب والنهب [١] .

وهكذا كانت اعمال الخوارزميين في خراسان ، اعمالا تخريبية تستهدف زعزعة الكيان السلجوقي والقاء الرعب في قلوب الناس الآمنين واجبارهم على التسليم والطاعة لهم . ولم يدم حكمهم للمناطق التي استولوا عليها طويلا ، اذ لم يكد السلطان سنجر يعود الى خراسان منهزما أمام الخطا ، حتى عرف خوارزم شاه أتسز ان القدر لا يواتيه ، فرجع الى خوارزم [٢] . ولكن السلطان سنجر لم يغفر له فعلته النكراء في خراسان ، فجمع جيشه وسار الى خوارزم في سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، ولما رأى أتسز ان قوة السلطان هي الارجح بادر الى طلب العفو منه ، على ان ينزل له عن كل ما ملكه من البلاد الخراسانية ، وان يعيد له ما استولى عليه من الاموال والجواهر التي اخذها من الخزانة السلطانية في مدينة مرو سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م [٣] ، فقبل السلطان سنجر بذلك ، فتحقق الصلح من جديد بين الجانبين .

لقد كان لهذا الصلح أثره الكبير في خلق فترة سلام استطاع خلالها أتسز ان يوطد حكمه ويعدّ قوة كبيرة . وبعد ان اطمأن الى قوته أخذ يثير

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٨٨ .
(٢) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ٩٥ .
(٣) البنداري ، دولة آل سلجوق ص ٢٥٧ . الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ٩٦ .

القلاقل ، ولم يقم وزنا للعهد والميثاق فنقض الصلح . ولما سمع سنجر بتغيّر نيته عليه وميله الى التمرد من جديد ، اوفد اليه شخصا اسمه (اديب صابر) وحمّله رسالة تتضمن النصيحة له ، لعلّه يرعوي عن غيّه ويعود الى الولاء والطاعة فلا تسفك الدماء وتهلك الرعية[1] . وعندما وصل (اديب صابر) الى خوارزم ، اعتقد خوارزم شاه أتسز ان مهمته تجسّسية[2] ، فاحتجزه ولم يسمح له بالعودة الى مرسله السلطان سنجر . ثم اراد أتسز تدبير قتل السلطان ، فاستأجر فدائيين اثنين من الاسماعيلية وارسلهما الى مرو لتحقيق هذا الغرض .

ويبدو ان (أديب صابر) علم بذلك التدبير ، فكتب رسالة الى مولاه السلطان ضمنها وصفا دقيقا لهذين الفدائيين وهدفهما ، وارسل هذه الرسالة صحبة امرأة عجوز أخفتها في حذائها وسارت الى مرو حتى اوصلتها الى السلطان سنجر . ولما اطلع سنجر على مضمون الرسالة أمر بالبحث عن الرجلين الفدائيين ، فعثر عليهما في احدى الخربات وأعدمهما[3] ، فبطل بهذا ما كان أتسز قد دبره .

ولما علم اتسز بما حدث للرجلين الفدائيين ، اراد ان يغيض سنجر ، فأمر رجاله ان يقيدوا (اديب صابر) فربطوا يديه وقدميه ، ثم أغرقوه في نهر جيحون[4] . وقد وقعت هذه الحادثة قبيل سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م .

---

(١) ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٥٩ .
(٢) الدكتور رضا زاده شفق ، تاريخ الادب الفارسي ، الترجمة العربية (دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧) ص ١١١ . ادوارد جرانفيل براون ، تاريخ الادب في ايران ، الترجمة العربية (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٤) ص ٣٨٥ .
(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي : ٢ / ٨ .
(٤) المستوفي القزويني ، تاريخ كزيده ص ٤٨٣ .

لقد غضب السلطان سنجر غضبا شديدا عندما بلغه خبر مقتل رسوله بهذه الحال ، فجهز جيشه مرة أخرى وسار الى خوارزم في جمادي الآخرة سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م [١] . ولم يخرج اتسز للقائه بل تحصن في هزاراسب ، فحاصره السلطان وجرت المناوشات بينهما بالسهام والنبال .

ومن الطريف ان الشعر دخل ميدان هذه المعركة ، فقد كان لكلا الطرفين شاعره الخاص اختص بمدح صاحبه وهجو عدوه ، فكان مع السلطان سنجر شاعره " الانوري " ، ومع اتسز شاعره رشيد الدين الوطواط ، وقد أمر سنجر شاعره ان ينشىء بضعة ابيات لكي يكتبها على سهم يقذف به الى داخل المدينة المحاصرة ، فكتب الانوري هذه الرباعية :

ايها المليك ان ملك العالمين رهن لاشارتك

والعالم كسب لك بفضل اقبال حظك ودولتك

فخذ اليوم بحملة واحدة قلعة هزاراسب

وغدا تكون لك خوارزم ومائة هزاراسب [٢]

وقد اجاب على هذه الابيات رشيد الدين الوطواط شاعر خوارزم شاه بالبيت

---

(١) تاريخ جهانكشاي : ٢ / ٨ . روضة الصفا : ٤ / ٣٥٩ .

(٢) براون ، تاريخ الادب في ايران . الترجمة العربية ص ٣٨٧ . اما نص هذه الابيات بالفارسية فهي :

اي شاه همه ملك زمين حسب تراست

وز دولت واقبال جهان كسب تراست

امروز بيك حمله هزاراسف بكير

فردا خوارزم وصد هزاراسب تراست

(انظر الجويني / تاريخ جهانكشاي : ٢ / ٨) (تاريخ كزيدة ص ٤٨٣) .

التالـي :

فلو قدر وصار خصمك هو البطل المعروف رستم

فانه لن يستطيع ان يأخذ حمارا واحدا من جيادك الالف هزاراسب [١] .

وقد كتب هذا البيت على سهم والقي به الى عسكر السلطان سنجر ، فغضب غضبا شديدا ، فشدد الحصار حتى استولى على هزاراسب بعد حصار دام شهرين [٢] .

وتراجع اتسز امامه . ثم واصل سنجر زحفه حتى ظهر امام الجرجانية (كركانج) قصبة اقليم خوارزم ، فخيّم حولها ونصب المجانيق والقاذفات لضربها ، وبينما كان سنجر يشدد الحصار عليها ، تقدم اليه احد الزهاد ، ويعرف بالزاهد الغزالي وشرع في توجيه النصائح والارشادات له ، ملتمسا منه الشفاعة لاهلها [٣] .

والراجح ان خوارزم شاه اتسز هو الذي ارسله الى السلطان ، لانه خشي على ضياع ملكه ، كما اتبع ذلك بايفاد الرسل متوسلا بطلب العفو لنفسه ، فاشترط عليه السلطان ان يحضر بنفسه الى شاطئ جيحون ويقبل الارض بين يديه [٤] ، فوافق اتسز في بادئ الأمر ، ولكنه وجد ان طلب العفو من السلطان بهذا الشكل ، يحط من قدره ، فخرج عن حدود الادب اثناء مقابلته له في المحرم من سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م [٥] ، حيث انه عندما حضر في اليوم المقرر لتقديم خضوعه ،

---

(١) وهذا النص بالفارسية : گر خصم تواي شاه شود رستم كرد
يك خر زهر اراسب تونتواند بـرد

(٢) دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ١ / ٤٢٧ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ٢ / ١٠ . ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ١ ٣٦ .

(٤) تاريخ جهانكشاي ٢ / ١٠ . روضة الصفا ٤ / ١ ٣٦ .

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ١ / ٤٢٧ .

أحنى رأسه ولم يترجل عن فرسه . ولما اراد السلطان ان يلوي عنان فرسه ، طفق راجعا ، فتأثر السلطان سنجر من عمله هذا الذي دل على سوء التصرف وقلة الاحترام ،[١] غير ان عفو السلطان كان قد سبق لهذا لم يترتب اي اثر عسكري على ذلك .

وبعد هذا آثر السلطان سنجر العودة الى مرو عاصمة ملكه ، بعد ان تاكد له عدم اخلاص نية خوارزم شاه أتسز في الصلح الذي ينشده معه . وبعد عودته رأى من الافضل له مصالحته ووضع حدّ للعداء المستحكم معه ، ليتجنب المشاكل والمتاعب الكثيرة التي سببها له ، والتي كلفته الكثير من الجهد والمال ، لذلك ارسل رسله اليه ليطمئنوه بثقة السلطان به ورعايته له ، وتناسي الحوادث الماضية . ولما وصل هؤلاء الرسل الى خوارزم شاه أتسز اكرم وفادتهم عليه ، لان مهمتهم كانت تعني اعتراف السلطان سنجر به حاكما مستقلا على المناطق التي بيده ، ولهذا ابدى اتسز تقديره للسلطان فارسل اليه الهدايا النفيسة صحبة أولئك الرسل[٢].

وهكذا نال خوارزم شاه اتسز ، اعتراف السلطان سنجر به حاكما مستقلا للدولة الخوارزمية ، بعد حروب طويلة بينهما ، ثم اخذ بعد هذا يتحين الفرص التي يزداد فيها ضعف السلاجقة ليتمكن من ضم بعض ممتلكاتهم اليه . ومن ذلك انه استغل الاضطرابات التي أثارتها قبائل الغز التركية ضد السلاجقة في خراسان ، فحاول ان يتفق مع السلطان سنجر على محاربتها ، وطلب منه

---

(١) روضة الصفا : ٤ / ٣٦١ .

(٢) ن . م . ص ٣٦١ .

نظير ذلك مدينة آمّـويه [١] ، ولكن السلطان رفض طلبه [٢] ، وعلى اثر ذلك جهز أتسـز جيشه وسار اليها ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها ، فاستغل السلطان سنجر اخفاقه فشرط عليه ان يمّـده بجيش يقوده ابنه ايـل ارسلان (ابن أتسز) لمحاربـة الغـز مقابل اعطائه المدينة المذكورة وبعض المناطق الاخرى [٣] . وقد تـرددت الرسل بينهما في هذا الشأن دون ان يسفر اي اتفاق ، فظل سنجر وحده في الميدان امام قبائل الغز التركية التي أحلّـت الـهزيمة المنكرة به في سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ووقع اسيرا بايديهم ، فانحل نظام ملكه ، واضطربت احوال خراسان . واجتمع أمـراء السلاجقة حول سليمان شاه بن السلطان محمود ونصبوه سلطانا [٤] ، غير ان هـذا كان قبيح السيرة سـيء التدبير [٥] ، لم يتمكن من السيطرة على الامور ، وترك أمـر السلطنة في صفر سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م [٦] . ثم اجتمع الامراء حول الخان محمـود بن محمد بن بغراخان ، وهو ابن اخت السلطان سنجر ، وخطبوا له بالسلطنة فـي شوال سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م [٧] . فاراد هذا ان يحارب الغز ، وحاول ان يكسب له حليفا يقف الى جانبه في محاربتهم ، فبدأ مراسلته لخوارزم شاه أتسـز حيـث كانت تربطه به روابط الود والصداقة ، وطلب منه العون لدفع شر الغز [٨] . ولم يتردد

---

(١) أمّـويه ، ويقال لها آمل زم وآمل جيحون وآمل الشط وآمل المفازة ، وهي مدينـة مشهورة في غربي جيحون على طريق القاصد الى بخارى من مرو انظر : ياقـوت ، معجم البلدان : ١ / ٦٩ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية : ١ / ٤٢٧ .

(٣) ميرخواند ، روضة الصفا : ٤ / ٣٦٢ .

(٤) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ١٨٠ .

(٥) ن . م . : ص ١٨٢ .

(٦) ن . م . ص ١٨٣ .

(٧) ن . م . ص ١٨٣ .

(٨) الخزرجي ، العسجد المسبوك ورقة ٧٠ .

خوارزم شاه أتسز في اجابته ، فاناب عنه في خوارزم ابنه (ختاي خان) وتوجه على راس جيش كبير الى شهرستان [١] ، فوصل الى مدينة نسا . ومن هناك اخذ يراسل امراء الاطراف والنواحي طالبا منهم السير معه لقتال الغز واجتثاث جذور الفساد .

وبينما كان خوارزم شاه اتسز يعد العدة لقتال الغز ، تواترت الانباء ان السلطان هرب من أسره (في رمضان سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) ، فلما سمع بخلاص السلطان ظل في مدينة نسا ، بانتظار وصول الخان محمود بن محمد وامراء خراسان ، غير ان هؤلاء لم يقدموا اليه ، وحينذاك عاد الى خوارزم ، فاشتد به المرض وتوفي في نفس السنة (٥٥١ هـ / ١١٥٦ م) [٢] .

علاقة الخوارزميين بالسلاجقة في عهد خوارزم شاه ايل ارسلان ابن اتسز (٥٥١-٥٦٨ هـ / ١١٥٦ - ١١٧٣ م)

جلس على عرش الدولة الخوارزمية بعد وفاة خوارزم شاه اتسز ، ابنه ايل ارسلان ، وقد رغب هذا في تحسين علاقته بالسلطان سنجر السلجوقي ، فبعث اليه يبذل الطاعة والانقياد ، وابدى السلطان سنجر تجاوبا معه فارسل اليه الخلع [٣] .

ويبدو ان ارسال السلطان هذه الخلع كان بمثابة اعتراف منه بخوارزم شاه ايل ارسلان ، ورغبته في توثيق اواصر الصداقة معه ، وقد ظلت العلاقة بينهما حسنة حتى

---

(١) شهرستان : - بليدة بخراسان قرب نيسابور بينهما ثلاثة أميال ، وهي بين نيسابور وخوارزم (معجم البلدان : ٣ / ٣٤٣) .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٢٠٩ .

(٣) ن . م . ص ٢٠٩ .

وفاة السلطان سنجر في سنة ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م [(١)] .

وبعد وفاة السلطان سنجر ساءت علاقة خوارزم شاه ايل ارسلان مع خلفائه ، بسبب اطماعه التوسعية في الممتلكات السلجوقية ، وبالامكان دراسة تلك العلاقة من ناحيتين :

الاولى . علاقته مع خلفاء السلطان سنجر في خراسان ، والثانية علاقته مع سلاجقة العراق .

ففيما يتعلق بالناحية الاولى ، نجد ان خوارزم شاه ايل ارسلان قد طمع في ممتلكاتهم بعد وفاة محمود بن محمد الخان في سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م [(٢)] ، حيث خلف هذا السلطان أحد مماليك السلطان سنجر ، وكان اسمه (المؤيد اي ابه) الذي تمكن ان يحتفظ بما بقي للسلاجقة من ممتلكات في خراسان ، كما خطب للسلطان ارسلان بن طغرل في سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م [(٣)] ، وقد اراد خوارزم شاه انتزاع ما كان بيد المؤيد من ممتلكات ، بينما لم يحاول صرف جهوده للاستيلاء على ما كان بيد الغز من المدن الخراسانية كمرو ونسا وبلخ وهراة وسرخس [(٤)] . فلما عزم (المؤيد اي ابه) على استرجاع تلك المدن من ايدي الغز وسيّر جيشا الى مدينة (نسا) لاخذها منهم في سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م ، سيّر خوارزم شاه هو الآخر جيشا اليها ، فلما قارب الجيش الخوارزمي المدينة المذكورة ، اضطر جيش المؤيد الى العودة الى نيسابور ، بينما دخل صاحب (نسا) في طاعة خوارزم شاه

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم جـ ١٠ ص ١٧٨ . الكامل : ١١ / ٢٢٢ .
(٢) الكامـل : ١١ / ٢٧٣ .
(٣) ن . م . ص ٢٩٢ .
(٤) ن . م . ص ٢٩٣ .

واقام له الخطبة [١] . ثم توجه الخوارزميون الى نيسابور ، فتقدّم الجيش المؤيدي لصدّهم ، فعادوا عنها ، ثم ساروا الى دهستان فطلب صاحبها (الأمير ايثاق) النجدة من (المؤيد اي ابه) فسير اليه جيشا كبيرا ، ولكنه لم يقو على رد الخوارزميين عنها ، فاستولوا عليها وصار لهم شحنة فيها [٢] .

وقد جدّد خوارزم شاه ايل ارسلان عزيمته للاستيلاء على نيسابور في سنة ٥٦٢ هـ / ١١٦٧ م وانتزاعها من (المؤيد اي ابه) ، وهنا ارسل المؤيد الى الاتابك شمس الدين الدكز (اتابك آران واكثر بلاد اذربيجان) وكان حينذاك بهمذان يقول له :

" ان خوارزم شاه ايل ارسلان قد عزم على النزول على نيسابور واستخلاصها ، ومتى تم له مايرومه من نيسابور فهو لا يقنع بها وتحدثه نفسه بقصد العراق ، ولئن لم تتحركوا حركة تمنعه مما خطر في نفسه لينفجرنّ عليكم سيل شقاء لاتطيقون سدّه ويهيج بحر عناء لايجزر مدّه " [٣] .

ولمّا وصل هذا الى الاتابك الدكز ، رحل من همذان الى الري وارسل الى خوارزم شاه يقول :

" ان هذا المؤيد أي ابه مملوك السلطان ، وخراسان بلاد السلطان وملك آبائه واجداده ، وكذلك خوارزم التي أنت فيها ، ومتى قصدت نيسابور كان الجواب قصدي اياك والمحاربة والملاقاة بيننا وأنت من وراء النظر لنفسك " [٤] .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣١١ .
(٢) ن . م . : ص ٣١٦ .
(٣) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٦٢ .
(٤) ن . م . : ص ١٦٢ — ١٦٣ .

امتعض خوارزم شاه ايل ارسلان من هذه الرسالة وماتحمله من تهديد له ، فقصد نيسابور وقاتلها لمدة شهرين دون ان يتمكن من الاستيلاء عليها ، وفي اثناء ذلك كان الاتابك الدكز وعساكر العراق قد ساروا للقائه ، فاضطر الى الرحيل عنها خائبا " (١) . ويبدو ان (المؤيد اى ابه) كان يخشى عودته مرة اخرى الى نيسابور بعد عودة الاتابك الدكز عنها ، لذلك مال الى مصالحة خوارزم شاه ، فأوفد اليه القاضي الامام فخر الدين الكوفي رسولا يعلمه حيث انه رجع الى خوارزم ، فان المؤيد اى ابه قد دخل في طاعته ، وانه يخطب له ويضرب السكة والدنانير والدراهم باسمه ويتصرف في البلاد عن أمره ونهيه (٢) فسرّ خوارزم شاه غاية السرور ووافق على الصلح ، وخلع على القاضي فخر الدين الكوفي خلعا سنيّة واعطاه هدايا جليلة واعاده الى نيسابور صحبة رسول من عنده الى المؤيد اى ابه " بتشريفات فاخرة وهدايا وافرة وخيل محلّاة بالذهب والفضة وخيل من العتاق الجياد مجلّلة بالبراقع والجلال ، ومن سائر الطرائف المجموعة في خزائنه " (٣) . وبعد ان تحقق الصلح بين خوارزم شاه والمؤيد عاد الاتابك الدكز الى الري واذربيجان (٤) .

هذا هو مايتعلق بعلاقة خوارزم شاه ايل ارسلان مع بقايا السلاجقة في خراسان .

اما فيما يتعلق بعلاقته مع سلاجقة العراق فنجد انه قد تطلع الى السيطرة على ممتلكاتهم ايضا ، مستغلا انقسام حكامهم المعاصرين له ، لتحقيق اغراضه التوسعية ، فبعد

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ١٦٣ .
(٢) ن م ١٦٣ .
(٣) ن م ١٦٣/ ١٦٤ .
(٤) ن م . ١٦٤ .

وفاة السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩م [١]، انقسم سلاجقة العراق الى ثلاثة أحزاب ، حزب يريد تولية اخيه ملكشاه ، وحزب يرغب في تولية عمه سليمان شاه ابن محمد بن ملكشاه ، وكان اكثرعددا ، وحزب يميل الى تولية ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه [٢]. وكان نفوذ ملكشاه يتركز في اصفهان ، بينما تقام الخطبة في بغداد لسليمان شاه ، اما ارسلان بن طغرل فكان مع اتابكه شمس الدين الدكز أتابك أرّان واكثر بلاد اربيجان .

لقد انتهت حياة ملكشاه في اصفهان بمؤامرة دبرها له اعداؤه وتخلصوا منه بدسّ السم فمات في سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م [٣]، واستقر حكم سليمان شاه في اكثر اجزاء دولة سلاجقة العراق ، غير انه لم يكن قادرا على ادارة دفة الحكم بحكمه ، بل شغل وقته باللهو والمجون ، مما جعل الأمراء يفكرون في تولية غيره ، وانتهى الامر بتدبير مؤامرة ضده فقبض عليه في همذان سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م، وحبس في قلعة ، ثم دسّ السم له ومات في ربيع الآخر سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م [٤]، وارسل الأمراء الى الاتابك الدكز يطلبون منه الحضور ، ومعه ابن زوجته أرسلان ابن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار اليهم على رأس جيش كبير يرافقه أرسلان، ونزلا بدار المملكة وخطب لارسلان بالسلطنة في تلك البلاد [٥].

وهنا برز دور الاتابكة وحكام الاقاليم وامراء الجيش بقوة ، فتحالف الامير اينانج حاكم الري مع بعض الأمراء على عدم موافقة الدكز والسلطان ارسلان ، وقصدوا خدمة الملك محمد بن طغرل الذى كان في اصفهان ، ولكن الاتابك الدكز توجه لمحاربة اينانج في سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦١م ، فأضطر الاخير الى

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٢٥٠

(٢) ن ٠م ٠ : ص ٢٥١ .

(٣) ن ٠م ٠ : ص ٢٦٣ ....

(٤) ن ٠م ٠ : ص٢٦٦ .

(٥) ن ٠م ٠ : ص ٢٦٧ ...

اخلاء الري وسار عنها الى بسطام [1] ، واخذ من هناك يكاتب خوارزم شاه ايل ارسلان ، واظهر له التجاءه اليه ، وطلب المعونة منه لاخذ العراق العجمي وضمه الى ممتلكات خوارزم شاه " يجري فيها أمره وينفذ فيها حكمه " [2] .

اعتقد خوارزم شاه ايل ارسلان ان الفرصة مواتية له لضم العراق العجمي الى ممتلكاته ، فارسل الى والي دهستان يأمره ان يدفع الى اينانج حال وصوله اليه ثلاثين الف دينار يرم " بها شعثه [3] ، وقد توجه اينانج الى دهستان ، فانفذ اليه ايل ارسلان معظم عسكره ، وأمرهم بالخروج الى العراق فخرجوا [4] . ولما علم الاتابك الدكز بهم خرج للقائهم ، فاظهر أمراء العراق في قتال اينانج والعسكر الخوارزمي مقاومة كبيرة ، وفر " الخوارزميون من أمامهم . أما (اينانج) فانه تحصن في قلعة طبرك [5] فحاصره الدكز فيها مدة أربعة أشهر [6] ، تمكن خلالها من استمالة جماعة من مماليك اينانج ، أطمعهم بالاقطاعات والمال فقتلوا صاحبهم [7] ، وكان ذلك في سنة ٥٦٤ هـ / ١١٦٩ م [8] .

غير ان الدكز لم يف بوعده للمماليك الذين قتلوا اينانج ، بل أبعدهم عنه ، فهاموا على وجوههم في البلاد ، والتجأ بعضهم الى خوارزم شاه ايل ارسلان ، ولكنه قبض عليهم وصلبهم نكالا بما فعلوا بصاحبه اينانج [9] .

---

(١) بسطام : بلدة كبيرة بقومس على جادة الطريق الى نيسابور بعد دامغان انظر (ياقوت ، معجم البلدان : ١ / ٦٢٣) .
(٢) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٤٧ .
(٣) ن م . ص ١٤٧ .
(٤) ن م . ص ١٤٨ .
(٥) طبرك : قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري (ياقوت / معجم البلدان ٣ / ٥٠٧) .
(٦) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٤٩ .
(٧) ن م . ص ١٥٢ . الكامل : ١١ / ٣٤٨ .
(٨) الكامل : ١١ / ٣٤٨ .
(٩) ن م . ص ٣٤٨ .

وهكذا بمقتل اينانج ضاعت الفرصة التي كان خوارزم شاه ايل ارسلان ، يأمل فيها أن يبسط نفوذه على العراق العجمي والري فخابت آماله ، وتمكن الاتابك الدكز من الهيمنة على جميع مرافق الدولة السلجوقية ، واستطاع بكفاءته وحسن تدبيره ان يرد كيد الأعداء وينتصر عليهم . وبعد ان صفت له الأمور وملك العراق واذربيجان وأران راسل دار الخلافة العباسية بانواع اللطائف وقال :

" اني مملوك الدولة العباسية أفترض طاعتها واجتنب معصيتها ، وكل ما تم لي من الاستظهار والنصر على الاعداء هو ببركات انتمائي الى الدولة العباسية ثبتها الله تعالى "(١) .

ومن الجدير بالذكر ان خوارزم شاه ايل ارسلان لم يحاول اعادة محاولته مرة اخرى للاستيلاء على ممتلكات السلاجقة في العراق العجمي والري ، بل انصرف الى محاربة الخطا وسعيه للتخلص من دفع الجزية لهم (٢) ، وقد سار الى محاربتهم في سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م ، ولكنه هزم أمامهم ورجع الى خوارزم مريضا وتوفي في نفس السنة (٣) .

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ١٥٣ .

(٢) Bosworth : The Political and the Dynastic history of the Iranian, (Cambridge history of Persia vol. 5) P.188.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ١١ / ٣٧٧ . احمد بن عبد الله القلقشندي ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ٢ / ٥٥ (الكويت ١٩٦٤) . الحنبلي ، شذرات الذهب ٤ / ٢٢٦ .

علاقة الخوارزميين بالسلاجقة في عهد خوارزم شاه علاء الدين تكش

٥٦٨ - ٥٩٦ هـ / ١١٧٣ - ١١٩٩ م

كان خوارزم شاه ايل ارسلان قد عهد بالملك من بعده الى أصغر ابنائه سلطان شاه ، ولكن اخاه الاكبر علاء الدين تكش أخرجه من خوارزم بمساعدة الخطا له ، فاعتلى عرش الدولة الخوارزمية في سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م . ثم انصرف الى تثبيت مركزه .

وبعد ان وطد تكش حكمه اخذ يسعى للاستيلاء على المناطق الخراسانية ، فصار يرقب احداث خراسان ، حيث استولى اخوه الطريد سلطان شاه ، على مرو ونسا وابيورد ، بعد ان أعانه الخطا في انتزاعها من ايدي الغز ، فقصد مدينة نسا في سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م الا انه اخفق في الاستيلاء عليها وعاد الى خوارزم [1] . وفي السنة التالية (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) رجع اليها مرة أخرى فتمكن من الاستيلاء عليها [2] .

وهكذا استولى الخوارزميون على معظم الممتلكات الخراسانية التي كانت للسلاجقة ، وان كانت مقسمة بين خوارزم شاه علاء الدين تكش واخيه سلطان شاه [3] .

اما عن موقف سلاجقة العراق من استيلاء الخوارزميين على تلك الممتلكات ، فليس هناك مايدل على اتخاذهم اي عمل ضدهم ، وهذا يعود بلا شك الى اضطراب

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣٧٩ .

(٢) ن . م . ص ٣٧٩ .

(٣) استطاع خوارزم شاه علاء الدين تكش ان يضم اليه ماكان بيد اخيه سلطان شاه من الممتلكات الخراسانية في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م . عند وفاة الاخير في هذه السنة (انظر : ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٠٧) . الذهبي ، العبر في خبر من غبر : ٤ / ٢٦٨ .

الامور في بلاط السلطان طغرل بن ارسلان (٥٨٢ هـ — ٥٩٠ هـ / ١١٨٧ — ١١٩٣ م) ، حتى اننا لنجد هذا السلطان قد تودّد لخوارزم شاه تكش فراسله وصادقه وصافاه [١] .

سقوط السلاجقة على ايدي الخوارزميين

سعى خوارزم شاه علاء الدين تكش الى التوسع نحو الغرب ، فكان لابد له ان يصطدم مع سلاجقة العراق الذين اخذوا بالضعف ، بسبب النزاع الذي نشب بينهم على السلطة ، ولابد لنا من الاشارة هنا بصورة سريعة الى ذلك النزاع واثره في ضعفهم .

في سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ، توفي السلطان ارسلان بن طغرل فخلفه ابنه الصغير طغرل ، وكان في السابعة من عمره ، وتركزّت السلطة في يد عمه جهان بهلوان ابن الدكز الذي احتل مكانة ابيه في السلطة . وظل جهان بهلوان متنفذا حتى توفي سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م . ثم خلفه عثمان قزل ارسلان بن الدكز الذي طمع في السلطة ، فنشب النزاع بينه وبين السلطان طغرل ، وكتب (قزل) الى الخليفة يخوفه من طغرل ، فأمّده الخليفة بجيش ، ووقعت الحرب بينه وبين طغرل ، فهزم الأخير ووقع اسيرا بيد قزل ، فاعتقله في قلعة دزمار قرب تبريز [٢] . ومن الجدير بالذكر ان السلطان طغرل استنجد بالسلطان صلاح الدين الايوبي على عمه قزل

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٧٢ .

(٢) ن . م . ، ص ١٨٠ . الراوندي ، راحة الصدور ، ص ٥٠٠ .

ارسلان ، فاعتذر صلاح الدين " بما هو فيه من شغل الجهاد مع الكفـــار[١] .

وهكذا خلا الجو لقزل ارسلان واستولى على املاك السلطان طغرل ، غير انه مال الى شرب الخمرة وانصرف الى اللهو ، مما أغضب زوجته (اينانج خاتون) فدبـرت مع ابنها (قتلغ اينانج) والامراء مؤامرة لقتله ، فقتلوه وهو نائم في فراشه ســنة ٥٨٧ هـ / ١١٩٠ م[٢] . وبمقتله طمع الامراء في السلطة ، ولكن السلطان طغـرل تمكن من الهرب من سجنه في سنة ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م ، واستطاع ان يجمع جيشـا فخافه (قتلغ اينانج) وهرب الى الري وتحصن بها[٣] ، وراسل من هناك خـوارزم شاه علاء الدين تكش ، طالبا منه العون والمساعدة ، فأمدّه تكش بجيش سيره اليـه في سنة ٥٨٨ هـ/ ١١٩١م واستولى على قلعة طبرك[٤] .

والغريب في الأمر ان (قتلـغ اينانج) ندم على استدعاء الخوارزميـين ، فاراد ان يتخلص منهم بعد ان كانوا قد أستولوا على الري ووصل خوارزم شاه تكـش اليها ، غير ان اينانج لم يتمكن من ذلك فهرب من خوارزم شاه وتحصن في احـدى القلاع[٥] ، وعاد تكش الى خوارزم بعد ان رتب (طمغاج الخوارزمي) حاكما فـي الري من قبله وترك معه حامية لحفظها[٦] .

استاء السلطان طغرل من استيلاء الخوارزميين على الري ، فعزم على اخراجهـم

---

(١) جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني أيـوب ، ٢/ ٣٠٦ (المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٩٥٧) .

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢ / ١٠٦ . ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشـر ٥ / ١١٧ . ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٥ / ٢٠١ .

(٣) الكامل ، ١٢ / ١٠٦ .

(٤) ن . م ، ص ١٠٦ . ابن الوردي ، تتمة المختصر ، ٢ / ١٥٦ .

(٥) الراوندي ، راحة الصدور ص ٥٠٦ .

(٦) ن . م ، ص ٥٠٦ .

منها ،وتوجه اليها في سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٢م ، وتمكن من الاستيلاء عليها . ثم حاصر قلعة طبرك التي اعتصم فيها الخوارزميون ، واستنزلهم بأمان طلبوه منه ، فلمّا نزلوا واذن لهم بالخروج من الري غدر بهم ،واتهمهم بمن أخذ جميع ما كان معهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون (١) . وكان من بين القتلى (طمغاج الخوارزمي) نائب خوارزم شاه في الري ،كما وقع كبار الامراء الخوارزميين أسرى بيد السلطان طغرل ، وبعد ان أخمد طغرل هذه الفتنة عاد الى عاصمته همذان (٢) .

وقد عاود الجيش الخوارزمي مهاجمة الري ودارت بينه وبين جيش السلطان طغرل معركة عنيفة في الرابع من المحرم سنة ٥٩٠ هـ /١١٩٣م ،انتصر فيها جيش طغرل وهزم جيش خوارزم شاه تكش هزيمة نكراء وقتل كثير من قواده (٣) .

وبعد ان ثبّت السلطان طغرل نفوذه في الري وردّ الخوارزميين عنها ،تزوج من الخاتون والدة (قتلغ اينانج) ،ولكن رجاله لم يلبثوا ان خوّفوه منها ،وقالوا له انها تدبّر موامرة لقتله كما فعلت مع عمّه قزل ارسلان ،بغية التخلص منه وتهيئة الفرصة لابنها (قتلغ اينانج بن جهان بهلوان) ،فدبر طغرل لها وسيلة فقتلها وتخلص منها (٤) ،فاثار بذلك حميّة ابنها قتلغ اينانج ،الذي استعان بخوارزم شاه علاء الدين تكش مرة أخرى (٥) ،ويقال انه سار بنفسه الى خدمته ،فالتقى

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٩٠ .
(٢) الراوندي ،راحة الصدور ص ٥٠٦ .
(٣) ن م ،ص ٥٠٦.
(٤) ن . م . ، ص ٥٠٧ .
(٥) ذكرنا سابقا انه استعان به في سنة ٥٨٨ هـ .

به في دامغان[١] ومثل امام سريره وقبل الأرض بين يديه وعرّفه حاله وما دفعه اليه[٢] ، وقدّم اعتذاره وسأله النجدة مرة ثانية[٣] . ولما رأى خوارزم شاه حاله لم يتردد في اجابته الى ماطلب ، تدفعه الى ذلك أطماعه التوسعية في الاستيلاء على ممتلكات سلاجقة العراق . كما انه اراد ان يثأر من السلطان طغرل الذي اعتدى على اصحابه في الري وقتله (طمغاج الخوارزمي) نائبه فيها .

وهكذا وجد خوارزم شاه علاء الدين تكش من التجاء قتلغ اينانج اليه وطلبه النجدة منه ، مايبرر دخوله الحرب مع السلطان طغرل السلجوقي ، وقد وافق كل ذلك وصول رسول الخليفة العباسي الناصر لدين الله اليه يشكو من السلطان طغرل ، ويطلب منه قصد بلاده ، ومعه منشور باقطاعه البلاد[٤] .

كل هذه الاسباب دفعت خوارزم شاه علاء الدين تكش الى تجهيز جيشه لمحاربة السلطان طغرل ، فسار الى الري ، وتلقاه قتلغ اينانج ومن معه بالطاعة وساروا معه . ولما سمع السلطان طغرل بوصوله أخذ يعدّ العدّة للقائه . وحاول البعض ان يمنع وقوع الحرب بين الجانبين ، فقد ذكر الحسيني نقلا عن رجل بالري يقال له أمين الدين محمد الزنجاني ، ان حاجب خوارزم شاه واسمه شهاب الدين مسعود بن الحسين راسل السلطان طغرل بالخفية ينصحه بالخروج عن الري الى ساوة ومراسلة خوارزم شاه حتى يتم الصلح معه[٥] ، وكان مما قال الحاجب شهاب

---

(١) دامغان : بلد كبير بين الري ونيسابور ، (ياقوت / معجم البلدان : ٢/ ٥٣٩) .
(٢) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٩٠ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٠٧ .
(٤) ن . م . : ص ١٠٧ . وأنظر : ظهير الدين بن نصير الدين مرعشي ، تاريخ طبرستان ورويان ومازندران ، (تهران ١٩٥٤) ص ١٨٥ .
(٥) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٩١ .

الدين مسعود للسلطان طغرل :

" .. وقصارى مايطلب (خوارزم شاه) منك ان تنزل له عن الري حتى يتبين للناس انه أقام حرمته وناموسه عند ملوك الكفار ... ، وليس له مقصود غير هذا ، فان انت نزلت عن الري رضي بذلك وعاد الى خوارزم وترك ولده بالري ، واذا كان ولده بالري يكون تحت حكمك يأتمر لأمرك وينتهي لنهيك ، ويكون اذا عاد السلطان بالاختيار تحفظ الدماء وتبقى الوجوه بمائها " (١) .

ولما وقف السلطان طغرل على رسالة الحاجب شهاب الدين مسعود ، أحضر امراءه وعرض عليهم ذلك ، فأشار عليه بعضهم ان ذلك الرأي هو الصواب (٢) غير ان نفسه لم تسمح له بالموافقة لكي لا يعد هذا ضعفا منه أمام الناس ، كما انه خشي ان يدخل الخوارزميون الى الري فيتحكمون في اهلها الذين اظهروا محبّتهم له وبالغوا في مشايعته ومتابعته (٣) .

لهذا كله سار السلطان طغرل بجيشه الذي لم يكن يتميز بوحدة الصف ، فالتقى بجيش الخوارزميين ، ودارت بين الجانبين معركة عنيفة بالقرب من الري في سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م (٤) ، وحمل طغرل بنفسه وسط عسكر خوارزم شاه فأحاطوا به وألقوه عن فرسه وقتلوه ، وقيل ان ابن عمه (قتلغ اينانج) هو الذي قام بقتله وقطع رأسه (٥) ، وحمله الى خوارزم شاه علاء الدين تكش الذي انفذه بدوره الى بغداد

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية ص ١٩١ — ١٩٢ .
(٢) ن م . ص ١٩٢ .
(٣) ن م . ص ١٩٢ .
(٤) الراوندي ، راحة الصدور ص ١٢ ٥ — ١٣ ٥ .
(٥) ن م . ؛ ص ٥١٣ — ٥١٤ . الكامل : ١٢ / ١٠٨ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ق ٢ ، ٤ / ١٠٠٧ .

حيث علق بباب النوبي [1] عدة ايام [2] .

لقد كانت نتيجة انتصار خوارزم شاه تكش على السلطان ، ايذانا بانهيار سلاجقة العراق ، واستيلاء الخوارزميين على منطقة العراق العجمي ، حيث سار خوارزم شاه تكش بعد مقتل السلطان طغرل الى همذان واستولى عليها وجلس على عرش السلاجقة [3] . ثم اقطع كثيرا من تلك البلاد لمماليكه وجعل المقدم عليهم شمس الدين مياجق وعاد الى خوارزم [4] .

وهكذا استولت الدولة الخوارزمية على سائر ممتلكات السلاجقة في ايران والعراق العجمي .

---

(١) باب النوبي : وهو احد ابواب بغداد وكان فيه العتبة التي يقبلها الرسل والامراء والملوك ورؤساء الحجاج اذا قدموا بغداد . انظر (الدكتور مصطفى جواد . والدكتور احمد سوسه ، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٨) ص ١٥٨ .

(٢) الكامل — ١٢ / ١٠٨ .

(٣) الراوندي ، راحة الصدور ص ١٩ ٥ .

(٤) ن م . ص ١٩ ٥ .

الفصل الثالث

علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية

((بدء العلاقات بين الخوارزميين والخلافة العباسية))
"في عهد الخليفة المسترشد بالله"

بدأت العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والخوارزميين لاول مرة في عهد الخليفة المسترشد بالله (٥١٣ - ٥٢٩ هـ/ ١١١٩ - ١١٣٤م) عندما بعث هذا الخليفة في سنة (٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م) خلعا الى خوارزم شاه أتسز بن محمد بن انوشتكين[١]، ويدل ارسال هذا الخلع على رغبة الخليفة المسترشد بالله لاقامة علاقة ودية مع الخوارزميين وان كانوا لم يستقلوا بعد عن السلاجقة في هذا التاريخ ، ويحتمل ايضا ان الخليفة المسترشد بالله الذى كان يعمل على التخلص من السلاجقة ، اراد ان يستغل قوة الخوارزميين في مناهضتهم[٢]، وربما يعتبر ارساله الخلع لخوارزم شاه اتسز تشجيعا له على التمرد ضد السلطان سنجر السلجوقي ،حيث مال خوارزم شاه اتسز الى التمرد فعلا على السلطان سنجر في سنة (٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م) ، وهي السنة التي سار فيها الخليفة المسترشد بالله لقتال السلطان مسعود ،ولكنه هزم ووقع أسيرا وانزل في خيمة ، فانتهز الباطنية فرصة وجوده دون حراسة قوية فهجموا عليه

---

(١) ابن الجوزى ، المنتظم ، ١٠ / ٣٥ .
(٢) شهد النصف الاول من القرن السادس الهجرى صراعا عنيفا بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة ، بسبب رغبة الخلفاء في التخلص من السيطرة السلجوقية ، وقد ذهب ضحية ذلك الصراع كل من الخليفة المسترشد بالله ، وابنه الخليفة الراشد بالله .

وقتلوه ، وتتهم بعض المصادر ، السلطان سنجر بتدبير قتل الخليفـة[1]

((علاقـة الخوارزميـين بالخليفـة الراشد باللـــه))

اما عن علاقـة الخوارزميـين بالخلافـة العباسيـة في عهد الخليفة الراشـد باللـه (٥٢٩ — ٥٣٢ هـ/ ١١٣٤ — ١١٣٧ م) ، فهناك اشارات عن اسهـام خوارزم شـاه اتسز في النزاع الذى نشـب بيـن الخليفـة الراشد باللــه والسلطان مسعود ، وسواء أكان سبـب ذلك النزاع مطالبـة مسعود للراشـد بضريبـة كبيـرة[2] ، أم رغبـة الراشد باللـه في الاخذ بثأر ابيه[3] ، فـان الحرب قامت فعلا بيـن الطرفيـن في سنة (٥٣٠ هـ/ ١١٣٥ م) ، واجتمـع كثير من الأمراء وحكام الاقاليـم حول الخليفـة فأمر بحذف اسم مسعود مـن الخطبـة ، واستقر رأيـه على احلال الملـك داود بن السلطان محمـود (ابن اخ مسعود) محلـه[4] ، فسار مسعود الى بغداد وحاصرها نيفـا وخمسيـن يوما[5] ، ودب اليأس الى قلوب انصار الخليفـة فتفرقوا ، واضطـر الخليفـة نفسه الى الفرار الى الموصل ، فدخل مسعود بغداد وعزل الخليفـة

---

(١) البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق : ص ١٦٢ · الوطواط ، مجموعـة رسائل الوطواط : ١ / ٧ · ابن دحية ، النبراس في تاريخ بني العبـاس (مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٤٦) ص ١٥١ · السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣٣ ·

(٢) الكامل : ١١ / ٢٥ ·

(٣) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقيـة : ص ١٠٨ ·

(٤) الكامل : ١١ / ٣٦ ·

(٥) ن · م · : ص ٤١ ·

الراشد بالله وعين مكانه المقتفي لأمر الله.[1]

غير ان الراشد بالله لم يقف مكتوف اليدين ازاء ما فعله السلطان مسعود ، فسار من الموصل الى اذربيجان ودخل مراغة ، فاستقبله اهلها بالطاعة[2] ، ثم ارتحل الى الري وتطلع للعودة الى بغداد مركز الخلافة ، فسار الى همذان ، واستولى عليها وكان بها الملك داود ، ثم غادرها الى خوزستان وصحبه الملك داود ، وكان معهما خوارزم شاه أتسز ، فلما قاربوا الحويزه[3] ، سار السلطان مسعود الى بغداد[4] ، فلما سمعوا بقدومه عاد خوارزم شاه أتسز الى بلاده ، وبقي الخليفة الراشد بالله وحده ، ولما ادرك انه لم تكن له مقدرة الوقوف بوجه مسعود قصد اصفهان ، وهناك انتهت حياته بقتله على ايدى نفر من الباطنية[5].

يتبين لنا مما تقدم ، مساهمة خوارزم شاه اتسز الى جانب الخليفة الراشد بالله في كفاحه ضد السلطان مسعود ، الأمر الذى يدل على تطور العلاقات السياسية بين الخلافة العباسية والخوارزميين ، وتعاونهما على مقاومة السلاجقة وتخليص الخلافة منهم .

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٠٨ — ١٠٩ . البنداري ، دولة آل سلجوق : ص ١٦٧ .
(٢) مراغة : بلدة مشهورة من اعظم بلاد اذربيجان (ياقوت ، معجم البلدان : ٤/ ٤٧٩) .
(٣) الحويزة : موضع بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطايح (معجم البلدان : ٢ / ٣٧١ — ٣٧٢) .
(٤) كان السلطان مسعود قد خرج الى اذربيجان لمحاربة الامراء الذين التفوا حول الخليفة الراشد بالله ووافقوه على الاجتماع (انظر : ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٦٠ .
(٥) ن . م . : ص ٦٢ .

((علاقة الخوارزميين بالخليفة المقتفي لامر الله))

" ٥٣٢ - ٥٥٥ هـ/ ١١٣٧ - ١١٦٠ م "

سعى خوارزم شاه أتسز الى توثيق علاقته مع الخليفة المقتفي لامر الله ، ويتبين ذلك من رسائله التي بعث بها الى الخليفة المذكور ، والتي عثرنا على خمس رسائل منها ، كتبها بالعربية رشيد الدين الوطواط كاتب الانشاء في الدولة الخوارزمية ، وقد كشفت هذه الرسائل جانبا مهما مما كان قائما من علاقات ودية بين الجانبين متمثلة باعتراف الخوارزميين بسلطان الخليفة الشرعي ، كما يتضح من الصيغة التي خاطب بها خوارزم شاه أتسز الخليفة المقتفي في رسائله بـ" سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين المقتفي لامر الله "[1]

واظهر خوارزم شاه اتسز في احدى رسائله[2] ولاءه وخدمته للخليفة المقتفي وقال " ... فهو اليوم خليفة الله عزوجل في ارضه ، والامام المقتدى به في سنة الدين وفرضه ، تهتز بوصفه اعطاف المفاخر ، وتختال بذكره اعواد المنابر ، ساعة خدمته اشرف الساعات للمؤمنين وطاعة حضرته انفع الطاعات للمسلمين ، من اعتصم بحبل مشايعته وانتظم في سلك مبايعته ، نال في الدارين مناه ، وحاز في المحلين مبتغاه ، وصار من القوم الذين

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط ١/ ٤ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ .
(٢) وهي الرسالة الاولى في مجموعة رسائل الوطواط . (انظر ملحق رقم - ١ -).

لا خوف عليهم ولا هم يحزنـون "[1]

وحاول خوارزم شاه أتسز في هذه الرسالـة ان يلفت نظر الخليفة الـى اهميـة الدولة الخوارزميـة " وهي في دور نشوئها " في حماية خراسـان وخوارزم من مواطـن الشرك المتأتيـة من بلاد الترك[2] ، كما تضمنت تحريضـا للخليفـة المقتفي لامر الله ، ضد السلطان السلجوقي ، واتهمه بتسليـط الاسماعيليـة على الخليفتيـن المسترشد بالله والراشد بالله[3] ، ومما جاء فـي تحريض خوارزم شاه اتسز للخليفـة على السلطان سنجر السلجوقي قولـه :
" فأي خير يرجى من جانبه واي صلاح يتوقع منه لمصاحبه ومجانبه "[4] ,واختتم (أتسز) هذه الرسالـة بتأكيد ولائـه للخليفـة وطلب منه ان يصدر لـه " باسمـه منشورا برسمـه على خوارزم شرقيها وغربيها وما ينضاف اليهـا وينعطف من بلادها وديارها ... وان يوشح ذلك العهد ويطلى بالتوقيـع الاشرف الاعلى ليكون ذلك مرغمـة لانوف الحاسدين وتنقطع بيمـن ذلـك العهد اطماع العدو من ديار العبد وبلاده وتندفـع عنها اسباب شـره وفساده ويبقـى ذلك العبد واخلافـه فخر مؤبد وذخر مخلد ويزداد لأيـام أمير المؤمنيـن وامام المسلميـن اعلى اللـه كلمته وضاعف عظمته به ثناء فاتـح يدوم على امتداد الدهور والأيام ودعاء صالح يطرد على اختلاف الشهـور والاعـوام "[5]

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١/ ٤ ـ ٥ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٥ ....   (٣) ن ٠ م ٠ : ص ٧ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ٧ .
(٥) ن ٠ م ٠ : ص ١٣ .

استمر خوارزم شاه اتسز على مراسلة الخليفة المقتفي لامر الله ، فبعث اليه رسالة اخرى تتضمن تأكيد ولائه له، ومما ورد في الرسالة الثانية قوله : " والعبد مذ عرف الحق من الباطل وميّز بين الحالي والعاطل كانت ازمة عزماته مصروفه ، وهوادى رغباته معطوفة الى ان يكون منخرطا في سلك الملازمين للمواقف المقدسة النبوية قدسها الله تعالى ، منظما في عقد المجاورين للمقارّ المعظمة الامامية عظمها الله ، لاثما لبساطها ماثلا في سماطها .. مستفرغا جهده في نصر اوليائها الحامين لبيضتها الذابين عن حوزتها مستنفذا وسعه في قهر أعدائها الخالعين لطاعتها ... "(١) كما أكدت هذه الرسالة على اقامة الخطبة للخليفة المقتفي في خوارزم ، " ... ولم يبق أحد من أئمة خوارزم وعلمائها وبلغائها وخطبائها الا دعا للمواقف المقدسة على ذرى الأعواد ، وشكر صنائعها الزهر ، ومواهبها الغر على رؤوس الاشهاد "(٢)

وتضمنت الرسالة الثالثة التي بعثها خوارزم شاه اتسز للخليفة المقتفي لامر الله استمرار ولائه له وطلب من الخليفة ان يقبل عذره لعدم تمكنه من الحضور بنفسه الى دار الخلافة لاظهار الطاعة ، بسبب انشغاله في محاربة الكفار ، ومع ذلك فليتيقّن الخليفة " انه اصح عبيد المواقف المقدسة نيّة واخلصهم في موالاتها طوية "(٣)

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١/ ١٤ .
(٢) ن . م . : ص ١٥ .
(٣) ن . م . : ص ١٨ .

اما الرسالة الرابعة التي بعثها خوارزم شاه اتسز الى الخليفة المقتفي فهي لا تكاد تخرج في مضمونها عن الرسالة السابقة في تأكيد ولائه للخلافة(١).

اما الرسالة الخامسة فيستشف منها حدوث بعض ما يعكر صفو العلاقات بينهما فقد جاء فيها : " وقد وصل الى العبد في هذه المدة ان الآراء المشرفة النبوية الامامية المقتفية زادها الله اشراقا قد عدلت في حقه عن لطفها المعهود وصفائها المألوف حتى تنسمت منها رائحة تغير وتوسمت فيها شائبة تكدر والعبد ليس يعرف سبب ذلك "(٢) وتساءل خوارزم شاه اتسز عن السبب بقوله : " فان كان منشأ هذه الحادثة الكارثة من جهة السلطان الاعظم (يعني محمد بن محمود بن ملكشاه السلجوقي) فالعبد في ضمان طي صحائف استزادته واعادته الى ما حمد من لطائف عادته .. ورده في طاعة المواقف المقدسة المكرمة قدسها الله وكرمها ... وان كان منشؤها من جهة اصحاب الاغراض الذين اوجدوا عند خدم المواقف المقدسة قدسها الله مجال التخليط والتضريب ، تمكنوا من اختراع الاباطيل وابتداع الاكاذيب ، فذاك امر يرجى من عواطف سيدنا ومولانا الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين اعلى الله كلمته وعقد بالخلود دولته دفع آفته واستئصال شأفته "(٣)

وقد اظهر خوارزم شاه اتسز استياءه من خروج السلطان محمد بن محمود

---

(١) انظر نص هذه الرسالة في مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ١٨ - ١٩ .
(٢) ن . م . : ص ٢٢ .
(٣) ن . م . . ص ٢٢ - ٢٣ .

اين ملكشاه عن طاعة الخليفة المقتفي لامر الله ، بقوله : " ... أن تنفر مثل ذلك السلطان من طاعة المواقف المقدسة قدسها الله ليس بامر يحمل ان يتساهل فيه او يتقاعد عن تداركه وتلافيه "[1] واختتم رسالته هذه باظهار الولاء والطاعة للخليفة قائلا : " والعبد متطلع لورود الامثلة العالية ووصول الاوامر السامية لا زالت في مشارق الارض ومغاربها نافذة وباعراف الاماني ونواصيها آخذة ليجعلها امام خاطره وقدام ناظره ويظهر في امتثال الكل اثار صدق النية ونتائج فرط العبودية وللآراء المشرقة النبوية الامامية المقتفية زادها الله اشراقا في تشريف العبد بها مزيد العلو والسمو "[2].

(((علاقة الخوارزميين بالخليفة المستنجد بالله)))

اما علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية في عهد الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥ - ٥٦٦ هـ / ١١٦٠ - ١١٧٠ م) فهي لا تختلف عن علاقتهم مع سلفه المقتفي لأمر الله من اعترافهم بسلطانه الشرعي عليهم ، ويتبين ذلك من رسالة بعث بها خوارزم شاه ايل ارسلان (٥٥١ - ٥٦٨هـ / ١156 - ١١٧٢م) الى الخليفة المستنجد بالله على اثر توليته الخلافة ، تضمنت اظهار عمق الاسى في نفوس الخوارزميين على وفاة الخليفة المقتفي

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ٢٣ .
(٢) ن . م . : ص ٢٣ - ٢٤ .

لامر الله واقامتهم العزاء مدة ثلاثة أيام[1] كما اعتذر خوارزم شاه ايل ارسلان من الحضور الى دار الخلافة لاقامة رسم التعزية والتهنئة بنفسه[2].

واظهر للمستنجد ولاءه واستبشار الناس بتنصيبه خليفة للمسلمين ، وقال : " واصبح الناس يتباشرون بجلوس مولانا وسيدنا الامام المستنجد بالله امير المؤمنين رخليفة رب العالمين . ادام الله ايامه ونصر الويته واعلامه فزينت الخطبة بميامن اسمه وحليت السكة بمحاسن رسمه واقام المسلمون رسم النثار واعلنوا من صدق النيّة وفرط العبودية احسن الآثار ، هذا والعبد مع تنازح الديار وتباعد المزار منتظر لوصول الاوامر العالية متطلع الى ورود الاشارات السامية نفذها الله في اقطار الارض شرقا وغربا ليظهر في امتثالها شعار الاخلاص ويبرز في الجرى على مقتضياتها شواهد الاختصاص ، وللآراء الامامية النبوية زادها الله اشراقا في ذلك مزيد العلو والسلام "[3].

وورد ايضا في مجموعة رسائل الوطواط رسالة اخرى بعث بها خوارزم شاه ايل ارسلان الى احد وزراء المستنجد بالله ، تتضمن تأكيد ولائه للخليفة بعد اخذه البيعة له ، وقد جاء في تلك الرسالة " اجبت تلك الدعوة المرشدة واحييت تلك البيعة السعيدة من آبائي الصالحين واسلافي الناصحين تغمدهم الله بغفرانه وكساهم ملابس رضوانه وانا في حلل المهد

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ٢٦ .
(٢) ن . م . : ص ٢٥ .
(٣) ن . م . : ص ٢٦ – ٢٧ .

مكفوف ومهدى بأباب الحاضنات محفوف ، وهذه سنة أتسزيـة (نسبة الــى والده خوارزم شاه اتسز) عليها غرس نبعي وأس طبعي وبها شد ديني وأبدّ يقيني لا يغيرها تغير الأزمنة ولا يبدلها تبدل الامكنـة "(١)

((علاقة الخوارزميين بالخليفة المستضيء بامر اللـه))

اما عن علاقـة الخوارزمييـن بالخلافة العباسية في عهد الخليفة المستضيء بامر الله (٥٦٦ - ٥٧٥ هـ / ١١٧٠ - ١١٧٩ م) فقد اغفلت المصـــادر التي توفـرت بين ايدينـــا التحدث عنها ، ولم تزودنا بمعلومات تلقي ضـوءًا على طبيعة تلك العلاقـة ، والراجح ان الخوارزميين ظلوا يقيمون الخطبـــة للخليفة المستضيء بامر الله ، اعترافا منهم بسلطان الخليفـة الشرعـي .

((علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية في عهد الناصرلدين الله))
" ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٥ م "

خوارزم شاه علاء الدين تكش والخليفة الناصر لدين الله :-

عندما وصلـت الخلافـة العباسية الى الناصر لدين الله في سنــــة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م ، كانت كبيرة الاسـم قليلـة البلاد ، ليس في حكمهـا الآ العراق العربي وخوزستان ، وكان الخليفـة الناصر لدين الله قد ظن انـه يستطيع النهوض بدولتـه والعمل على توسيـع رقعتها عندما شعر بضعــف

---

(١) مجموعـة رسائـل الوطواط : ١ / ٣٢ .

السلاجقة وانقسام دولتهم ، فعمل على قطع دابر سلاطينهم[1]، فلما ارسل السلطان طغرل بن ارسلان رسوله في سنة (٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م) الى بغداد يطلب ان يتقدم الديوان بعمارة دار السلطنة ليسكنها اذا وصل بغداد ، ردّ الخليفة رسوله بغير جواب ، وامر بنقض دار السلطنة فهدّمت الى الارض وعفي اثرها[2]، فقضى بذلك على كل امل للسلاجقة في العودة الى بغداد ٠

ثم اتبع الخليفة عمله بنقض دار السلطنة ، بارسال وزيره جلال الدين ابي المظفر عبيد الله في سنة (٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) بجيش كبير لمحاربة السلطان طغرل ، فالتقى معه قرب همذان ، فكانت الغلبة لعسكر السلطان وهزيمة عسكر الخليفة[3]، ولكن هذا لم يثن عزم الخليفة الناصر لدين الله ، بل جهز جيشه مرة ثانية في نفس السنة وجعل المقدم عليه مجاهد الدين خالص الخالص ، فانضم الى (قزل ارسلان) اتابك اذربيجان الذي طمع في السلطنة وحارب السلطان طغرل فأسره وسجنه في قلعة دزمار قرب تبريز ، الا ان السلطان طغرل تمكن ان يهرب من السجن واستعاد

(١) ظهير الدين علي بن محمد بن الكازروني ، مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس، (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٧٠) ص٢٤٥٠ عبد الرحمن سنبط قنيتو الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ط ٢ (مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٤) ص ٢٨١ ٠

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٥٦٠ ٠ الذهبي ، دول الاسلام : ٢ / ٦٨ ٠

(٣) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٧٧ ٠ ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٤ ــ ٢٥ ٠ محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، (مطبعة محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة ١٩٦٢) ص ٢٥٩ ٠ الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك : ص ٢٨٣ ٠

نفوذه في همذان والري[١].

واخيرا ارتأى الخليفة الناصر لدين الله ،الاتصال بالخوارزميين الذين اخذوا يظهرون على المسرح السياسي في تلك المناطق ، والذين تزايد نفوذهم بعد اشتباكهم في حروب مستمرة مع السلاجقة ،وقرر الاستعانة بهم للقضاء على السلطان طغرل السلجوقي ، فسار خوارزم شاه علاء الدين تكش بجيشه للقاء طغرل وانتهى الأمر بقتل الأخير في سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م)، فسر الخليفة الناصر لدين الله بذلك وسيّر الخلع السلطانية الى خوارزم شاه تكش مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب[٢].

وهكذا اتفقت مصلحة الخلافة العباسية مع مصلحة الخوارزميين في القضاء على نفوذ السلاجقة ،ولكن ذلك الاتفاق لم يدم وقتا طويلا ، فبينما اعتقد الخليفة الناصر لدين الله انه بلغ غايته بتخلصه من السلاجقة ، وتصور ان بامكانه اقامة ملك شاسع على انقاضهم ، الاّ انه اساء التقدير ، اذ سرعان ما تكشفت له الحقيقة المرّة ، وهي ان للخوارزميين مطامع في املاكه ، وانهم لا يقلون خطرا على دولته من السلاجقة ، فقد اخذ حكام الدولة الخوارزمية يطلبون اقامة الخطبة لهم في بغداد وذكر اسمائهم الى جانب اسم الخليفة ، بينما كانت ميول الخليفة الناصر لدين الله التوسعية تهدف

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٩٠ . كان الخليفة الناصر لدين الله قد وافق على ان يلي قزل ارسلان عرش السلطنة في سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م ، ولكن حياته أنتهت بعد مدة قليلة بمؤامرة دبرتها له زوجته مع ابنها قتلغ اينانج ،مما سهل على السلطان طغرل استعادة سلطنته .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٠٨ .

الى بسط نفوذه من بغداد في اتجاه الشرق وخاصة منطقة العراق العجمي التي استولى عليها الخوارزميون ، فتعارضت مصلحته مع مصلحتهم ، فاشتد الخلاف بينهما ، ولعل هذا يفسّر لنا السبب الذى جعل الخوارزميين لا يعملون على تقوية مركز الخلافة العباسية بعد تخلصها من السلاجقة .

ميول الخليفة الناصر لدين الله التوسعية واثرها في تدهور العلاقات مع الخوارزميين

عوّل الخليفة الناصر لدين الله على ان تكون له السيادة على المناطق التي اصبحت بايدى الخوارزميين بعد سقوط السلاجقة في سنة (٥٩٠ هـ / ١١٩٣ م) ، فكان ذلك سببا مهما في تدهور العلاقات بين الخليفة والخوارزميين ، وسرعان ما ظهرت الخلافات بين الجانبين بعد مدة قصيرة وقبل ان يستلم خوارزم شاه علاء الدين تكش خلع الخليفة التي بعثها له تقديرا لجهوده في القضاء على السلطان طغرل السلجوقي في سنة (٥٩١ هـ) فقد ذكر ابن الاثير ان الخليفة الناصر لدين الله ، بعث بتلك الخلع بيد وزيره ابن القصاب الى تكش الذى كان بهمذان آنذاك ، لكن الوزير لم يدخل همذان ، بل نزل على فرسخ منها ، وطلب من خوارزم شاه الحضور امامه ليلبس الخلعة ، الا ان خوارزم شاه امتنع عن ذلك حيث " قيل له انها حيلة عليك حتى تحضر عنده ويقبض عليك "(١)

(١) الكامل : ١٢ / ١٠٨ .

ان ما اورده ابن الاثير يبعث الشك ، فاذا كان الخليفة الناصر لدين الله قد وضع في تقديره تدبير مثل هذه الحيلة للقبض على خوارزم شاه ، فانه اخطأ في ذلك ، اذ ان خوارزم شاه تكش كان قويا جدا في هذه الفترة ، وليس بالامكان القبض عليه والتخلص منه بهذه السهولة ، والذى حدث هو أن خوارزم شاه تأهب للقبض على الوزير المذكور " فاندفع من بين يديه والتجأ الى بعض الجبال وامتنع بها ، ورجع خوارزم شاه الى همذان وعاد الى خوارزم بعد ان اقطع تلك البلاد لمماليكه[1] دون ان يلبس خلعة الخلافة .[2]

والواقع ان الخليفة الناصر لدين الله لم يكن ينظر بعين الرضا والارتياح الى وجود الخوارزميين في العراق العجمي ، وتوجس منهم خيفة ، سيما وانهم كانوا قاب قوسين او ادنى من بغداد ، وقد حرص كل الحرص على فرض نفوذه في العراق العجمي رمزا لرغبته الكامنة الآ يصبح خوارزم شاه علاء الدين تكش قوة تطغى على النفوذ الخليفي ، وليظل العراق العجمي خطا دفاعيا منيعا عن بغداد ، وستكشف الحوادث القادمة بوضوح ما كان بين الخلافة والخوارزميين من شعور غير ودّى ولدته عوامل الحقد بسبب النزاع على تلك المناطق .

ولهذا لم يكد خوارزم شاه تكش يعود الى خوارزم ، حتى جهّز

---

(١) الكامل : ١٢ / ١٠٨ .
(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ق ٢ ، ٤ / ١٠٠٧ .

الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٥٩١ هـ/ ١١٩٤م) جيشا بقيادة سيف الدين طغرل مقطع بلد اللحف[1] من العراق ، وسيّره الى أصفهان التي كان فيها يونس خان بن خوارزم شاه تكش ، وكان اهل اصفهان يكرهون الخوارزميين[2] ، وقيل ان صدر الدين الخجندى رئيس الشافعية فيها وهو الذى كاتب الديوان ببغداد يبذل من نفسه تسليم البلد الى من يصل اليه[3] ، وعندما وصل عسكر الخليفة " الى ظاهر اصفهان فارقها الخوارزميون وعادوا الى خراسان وتبعهم بعض عسكر الخليفة فتخطفوا منهم وأخذوا من ساقة العسكر الخوارزمي من قدروا عليه ، ودخل عسكر الخليفة الى اصفهان وملكها "[4]

وفي نفس السنة (٥٩١ هـ/ ١١٩٤م) ، بعث الخليفة الناصر لدين الله جيشا آخر بقيادة وزيره مؤ الدين بن القصاب ، تمكن من الاستيلاء على خوزستان وهمذان[5] واضطر الخوارزميون الى مغادرة همذان وتوجهوا الى الري فتعقبهم جيش الخلافة ، فغادروها الى دامغان وبسطام وجرجان[6].

وهكذا تمكن الخليفة الناصر لدين الله من بسط نفوذه على ما كان

---

(١) بلد اللحف : وهو صقع معروف من نواحي بغداد ، سمي بذلك لانه في لحف جبال همذان ونهاوند وتلك النواحي وهو دونها مما يلي العراق ومنه البندنيجين (مندلي الحالية) وفيه عدة قلاع حصينة (ياقوت ، معجم البلدان، ٤ / ٣٥٣) .
(٢) الكامل : ١٢ / ١١٧ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ١١٧ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ١١٧ .
(٥) ن ٠ م ٠ : ص ١٠٩ ، الاربلي ، خلاصة الذهب المسبوك : ص ٢٨٣ .
(٦) الكامل : ١٢/١١١ - ١١٢ ، العسجد المسبوك : ٢ / ورقة ٩٩ .

بيد الخوارزميين من املاك في العراق العجمي والري وساعده على ذلك ان ملك الخوارزميين لم يكن ثابتا في تلك المناطق اضافة الى كراهية اهلها لهم ٠

غير ان الخليفة لم يتمكن من بسط نفوذه الآ لفترة قصيرة ، اذ لم يكد خوارزم شاه تكش يسمع بما فعله الخليفة حتى ارسل رسوله الى الوزير مؤ الدين بن القصاب منكرا أخذ البلاد من عسكره ، ويطلب اعادتها وتقرير قواعد الصلح ، ولكن الوزير لم يجبه الى طلبه ، فسار مجدّا الى همذان ، وبينما هو في طريقه اليها توفي الوزير ابن القصاب في اوائل شعبان سنة (٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م)[1]، ودارت بينه وبين جيش الخلافة معركة عنيفة في منتصف شعبان من السنة المذكورة قتل فيها كثير من الجانبين ، وانتهت المعركة بهزيمة جيش الخلافة[2] واعادة سيطرة الخوارزميين على همذان والري واصفهان ٠

اراد خوارزم شاه تكش بعد استعادة نفوذه على تلك المناطق احلال التفاهم بينه وبين الخليفة الناصر لدين الله ، وتظاهر بولائه للخليفة بعد ان هزم جيشه[3]٠

واجه خوارزم شاه تكش صعوبة كبيرة في فرض سيطرته على العراق العجمي ، بسبب روح المعارضة والمقاومة الشديدة التي ابداها اهل همذان ضده حيث كانوا يتنكرون بزي الخوارزميين ويهاجمونهم بدعوى انهم منهم ،

ـــــــــــــــــــــــ

(١) الكامل : ١١٢/١٢ ٠
(٢) ن ٠م ٠ : ص ١١٢ ٠
(٣) الراوندي ، راحة الصدور : ص ٥٣٣ ٠

ممّا اضطر خوارزم شاه ان يصدر أمره بقتل كل عراقي يلبس قلنسوة خوارزمي[١]،
وهكذا انزل الخوارزميون باهل العراق العجمي نكبات شديدة اشار الى
طرف منها مؤرخ السلاجقة محمد بن سليمان الراوندى بقوله "وشرع
جند مياجق (قائد الجيش الخوارزمي) في النهب والاغارة واتوا على كل
ما في ولاية همذان وامتدت غاراتهم الى كرمنشاه وحدود ابهر وزنجان
وحملوا كل ما وجدوه من متاع ولم يتركوا شيئا قط ، فصارت تلك البلاد خاوية
على عروشها وتجاوز ظلمهم كل حد واسلموا الناس للهم والغم .... وان
المظالم التي ارتكبها جند مياجق لم تحدث على ايدى الكفار الأبخازيين[٢]
والترك الخطائيين والصليبيين ، وقد نزعت من قلوبهم رحمة الاسلام ،
فكانوا يريقون دم الانسان كما يريقون الماء ، وكانوا يغلقون المدارس بصورة
لا يجيز للمجوس والنصارى واليهود والوثنيين ان تصيب بيوت النار
والكنائس ، ومعابد اليهود وبيوت الاصنام ، وسنّ هؤلاء الظالمون قانونا في
العراق بمصادرة المدارس والمساجد واموال العلماء "[٣].

وقد بالغ خوارزم شاه في استعمال الشدة لفرض سيطرته ، فلم يتردد في
قتل نقيب بلاد العجم عز الدين المرتضى القمي الذى كان من اماجد العلماء
وعظماء السادات[٤]، فلما قتله هرب ولده شرف الدين محمد ، وقصد بغداد

---

(١) الراوندي ، راحة الصدور : ص ٥٣٢ .
(٢) يقصد بهم المسيحيين في القوقاز وجورجيا .
(٣) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٥٢ - ٥٥٣ .
(٤) الفخري في الاداب السلطانية : ص ٢٦٠ .

مستجيرا بالخليفة الناصر لدين الله[1].

ولما عجز الخليفة الناصر لدين الله عن السيطرة على العراق العجمي وطرد الخوارزميين منه ، واظهرت جيوشه القصور في الوقوف أمامهم ، لجأ الى مصالحة خوارزم شاه تكش ووضع حد للنزاع معه ، ولتحقيق هذا الغرض بعث اليه رسوله مجير الدين أبا القاسم محمود بن المبارك البغدادى ، مدرس المدرسة النظامية ببغداد[2] برسالة جاء فيها : " ان ملك ابيك وجدّك كان منحه منا ، ونحن الآن نسلّمه اليك فاقنع به كما كان فيما سبق ، ولا تطمع في اكثر منه ، والاّ فسأكتب الى الأمصار انك خارج عليّ فينهض الناس في سائر البلاد لغزوك وتراق الدماء "[3].

يتبين من هذه الرسالة ان الخليفة الناصر لدين الله اراد ان يدفع عن نفسه خطر الخوارزميين ، وطلب من خوارزم شاه تكش ان يقنع بما امتلكه ، وعند عدم اقتناعه بذلك ، اظهر التهديد له ، واعتقد انه سيتمكن بسلطته الشرعية ان يثير الناس ضده ، ولكن خوارزم شاه تكش كان يدرك ضعف الخليفة امامه ، فأظهر لرسول الخلافة طاعته ، دون ان يتخلى عن اطماعه فقد طلب من الخليفة ان يمنحه ولاية خوزستان حتى يكون في ذلك كفاية لاتباعه الذين لا يقوون على العمل بالقليل من الخبز[4] واكثر

---

(١) الفخري في الاداب السلطانية : ص ٤٢٧ .
(٢) الكامل : ١٢ / ١٢٤ .
(٣) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٣٤ .
(٤) ن . م . : ص ٥٣٤ .

من هذا فانه بعث الى الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٥٩٢ هـ / ١١٩٥م) يطلب السلطنة واعادة دار السلطنة الى ما كانت عليه في عهد السلاجقة ، ويجيء الى بغداد ويكون الخليفة من تحت يده فانزعج الخليفة من طلبه[1]. ورد رسوله بلا جواب[2]، وسخط اهل بغداد وغلت الأسعار[3].

سعى الخليفة الناصر لدين الله الى ايقاف اطماع خوارزم شاه ، فامتنع عن اجابة طلبه ، وفكّر باثارة مشاكل له تشغله عن الخلافة العباسية ، فحاول استمالة شمس الدين مياجق نائب خوارزم شاه في العراق العجمي الى جانبه ، فأرسل اليه يتودّده ويقول : " ان خوارزم شاه ليس الاّ حاكما من قبلنا ، اما شمس الدين مياجق فهو نائب امير المؤمنين على الاطلاق ، وهو محافظ الثغور وملك الآفاق ، اسكندر الزمان ، وبطل العالم الذى يشبه رستم في الفتح والظفر على الأعداء "[4].

وظل الخليفة يتطلع الى بسط سيطرته على همذان فبعث اليها ابا الهيجاء السمين الكردى الملقب حسام الدين فلم يتم له أمر ، وتفرّق عنه اصحابه ، فخاف من خوارزم شاه واستحيا ان يعود الى بغداد ، فسار يطلب الشام على دقوقا ، فلما وصل اليها مرض وأقام بها اياما فتوفي في أواخر سنة (٥٩٣ هـ / ١١٩٦م)[5].

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء : ص ٤٥٤ ـ ٤٥٥ . ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص٨ . الذهبي ، دول الاسلام : ٢ / ٧٦ . العبر في خبر من غبر : ٤/ ٢٧٨ .
(٢) الذهبي ، تاريخ الاسلام (مخطوط مصور) ورقة ٩٢ . دول الاسلام : ٢ / ٧٦ . العبر : ٤ / ٢٧٨ .
(٣) السيوطي ، تاريخ الخلفاء : ص٤٥٥ .... (٤) راحة الصدور : ص ٥٥٠ .
(٥) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٤ ـ ١٥ .

واخيرا اراد الخليفة الناصر لدين الله ضرب الخوارزميين عن طريق خفي ، فابتكر طريقا آخر في رأيه كان سليما وصحيحا للوصول الى هدفه ، فبعث الى السلطان غياث الدين الغوري سلطان الدولة الغورية ، يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليعود عن قصد العراق ، ولم يتردد غياث الدين الغوري باجابة الخليفة الى طلبه ، خاصة وانه وجد ان الظروف مواتية أمامه للاستيلاء على بعض املاك الخوارزميين ، فارسل الى خوارزم شاه تكش يتهدده بقصد بلاده.(١)

وهنا ادرك خوارزم شاه تكش الخطر الذى يتهدده من جراء تحالف الغوريين مع الخلافة العباسية ، فهداه تفكيره الى التحالف مع الخطا ، فكتب اليهم يستنجدهم على السلطان غياث الدين الغوري ، فساروا الى خراسان في سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) وعاثوا فيها فسادا ، ولكن الغوريين حاربوهم وهزموهم هزيمة منكرة ، فعظم ذلك على ملك الخطا ، واخذ يطالب خوارزم شاه بتعويض كبير عن دية القتلى(٢)، ولكن خوارزم شاه امتنع عن دفع دية القتلى الخطائيين لأنه أحسّ بانه يحط من قدره اذا خضع لمشيئة ملك بوذى ودفع له الديّة ، لهذا آثر مصالحة الغوريين ، وحينذاك لم يجبه الغوريون الى طلبه الا بشرط ان يتخلّى عن اعماله العدائية ضد الخليفة.(٣)

---

(١) الكامل : ١٢ / ١٣٥ . العسجد المسبوك : ٢ / ورقة ١٠٢ .
(٢) ن . م . : ص ١٣٧ .
(٣) ن . م . : ص ١٣٧ .

وهكذا اضطر الخوارزميون الى تحسين علاقاتهم مع الخلافة العباسية وكان للغوريين الدور الكبير في ذلك ، وبعد هذا بعث الخليفة الناصر لدين الله بخلع السلطنة الى خوارزم شاه في سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) (١).

وتحسنت علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية وازدادت وثوقا خاصة عند وصول ابن اخي خوارزم شاه الى بغداد في المحرم من سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) (٢)، للطاعة " واظهار العبودية والاعتذار عما طلبه عمّه من الخطبة له ببغداد وتلقي بالموكب الشريف الديواني ودخل وقبّل العتبة الشريفة بباب النوبي المحروس وخلع عليه واكرم مثواه" (٣).
وعند عودته ومعه الرسل المتقدمين من عمه ، كان قد شرف بالتشريفات اللائقة واعطي الكوسات (٤) والعلم واذن له بالعود الى عمه فخرج متوجها ومات بخانقين في اواخر محرم سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) ، وذبح له حصان كان يحبه وسلخ جلده وادرج فيه وحمل الى عمّه ودفن بمدينة خوارزم (٥)، وهذه الحادثة غاية في البشاعة ، ويرجح الاستاذ

---

(١) الذهبي ، العبر في خبر من غبر : ٤ / ٢٨٥ .
(٢) يرى الدكتور مصطفى جواد ، ان الصحيح ان يقال في وفياته سنة (٥٩٥ هـ)، ويعتقد ان الخطأ من سبق القلم وعدم المراجعة للمنقول او من غلط الطبع . مقالة بعنوان : مؤرخ العراق بن الفوطي في مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٦ ، ١٩٥٩ : ص ٤٢٣ .

(٣) ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ١٩ .
(٤) الكوسات : وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يدق باحدها على الآخر بايقاع مخصوص (القلقشندي ، صبح الاعشى : ٤ / ٩) .
(٥) الجامع المختصر : ٩ / ٢٤ - ٢٥ .

محمد رضا الشبيبي ، ان الباعث على هذا العمل هو دفع الشك الذى قد يساور ذلك الملك الجبّار الذى اشتهر ببطشه وتنكيله ، من تخلّف ابن اخيه عن رفاقه فاضطروا الى نقله بهذه الطريقة الغريبة[1].

وبعد ان ارسل الخليفة الناصر لدين الله بالخلع الى خوارزم شاه سادت فترة هدوء بين الجانبين ، واشتغل خوارزم شاه بقتال الاسماعيلية فافتتح قلعة ارسلان شاه القريبة من قزوين ، وانتقل الى حصار قلعة ألموت من قلاع الاسماعيلية ، وقد دافع الاسماعيلية عن انفسهم ، فقتلوا صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية في الري الذى اشترك في الحصار ، ثم عاد خوارزم شاه الى خوارزم ، وبعد عودته وثب الاسماعيلية على وزيره نظام الملك مسعود بن علي فقتلوه في سنة (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩ م)[2]، وحينذاك جهز خوارزم شاه ابنه قطب الدين محمد لقتالهم ، فسار الى قلعة ترشيش من قلاعهم فحاصرها ، وصالحوه على مائة الف دينار وعاد عندما بلغه مرض ابيه[3].

وقد تغيّرت نيّة خوارزم شاه تكش تجاه الخليفة في اواخر حياته[4]، بعد احرازه بعض الانتصارات على الاسماعيلية ، فجمع وحشد وسار من

---

(١) محمد رضا الشبيبي ، مؤرخ العراق ابن الفوطي : ٢ / ٩٦ (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٨) .

(٢) الكامل : ١٢ / ١٥٣ . زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذرى ، التكملة لوفيات النقلة ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٢ (طبع بالآلة الكاتبة — الرونيو —) .

(٣) الكامل : ١٢ / ١٥٣ .

(٤) الذهبي ، العبر في خبر من غبر : ٤ / ٢٩٢ .

خوارزم الى خراسان ، وكان ينوى قصد بغداد ، ولكنه توفي في شهرستانة في العشرين من شهر رمضان سنة (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م) فحمل الى خوارزم وقام بعده ولده قطب الدين محمد الذى تلقب بلقب ابيه(١).

((خوارزم شاه علاء الدين محمد والخليفة الناصر لدين الله))
"٥٩٦ - ٦١٧ هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م"

جلس على عرش الدولة الخوارزمية بعد وفاة خوارزم شاه علاء الدين تكش ، ابنه علاء الدين محمد ، الذى حكم ما ينيف على احدى وعشرين سنة (٥٩٦ - ٦١٧ هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م) وكانت علاقته بالخلافة العباسية خلال النصف الاول من مدة حكمه ، حسنة على وجه العموم ، ولعل السبب في ذلك يعود الى انشغاله بمشاكله الكثيرة داخل دولته ، وحروبه مع الغوريين والخطا ، فلم يرغب الدخول في عداء سافر مع الخلافة العباسية ، بل على العكس من ذلك نجد ان الجانبين تبادلا الرسل بهدف تحسين علاقتهما .

فمن الرسل الذين قدموا من عند خوارزم شاه علاء الدين محمد الى الخلافة العباسية مرارا ، وزيره ابن الاصباغي المتوفى في ذى الحجة سنة (٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م) ، "وكان يحترم ويبالغ في الانعام عليه ، لما

---

(١) الكامل : ١٢ / ١٥٦ . المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، مجلد ٣، ص ٣٧٢ . شذرات الذهب : ٤ / ٣٢٤ .

كان يعلم من فضله وموالاته للدولة العباسية "[1].

كما أنفذ الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ ـ ١٢٢٥ م) من جانبه الى خوارزم شاه علاء الدين محمد ، في المحرم من سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م) فخر الدين بن الشيخ مجد الدين يحيى بن الربيع مدرس المدرسة النظامية[2]، كذلك ارسل الخليفة الناصر لدين الله الى خوارزم شاه ، رسولا آخر هو نصر بن أسعد الخرافي المعروف بابن الأصيل المتوفى سنة (٦٠٣ هـ) ـ الذى كان قد تولى ديوان العرض ـ في رسائل الى خوارزم مرارا[3].

وفي رمضان سنة (٦٠٢ هـ) ، وصل الى بغداد نظام الدين محمد بن عبد الكريم السمعاني رسولا من خوارزم شاه علاء الدين محمد ، وتلقي بموكب الديوان العزيز ، ولكنه " لما انزل بباب النوبي الشريف ، ليقبل العتبة ، امتنع من ذلك ، فأهين والزم بتقبيلها مكرها "[4]، وقد بقي نظام الدين المذكور في بغداد ، وطلب في العشرين من ذى القعدة من السنة المذكورة أن يؤذن له في الجلوس للوعظ بباب بدر الشريف ، فأذن له ، فجلس وحضره الخلق الكثير وأحسن الكلام واجاد الوعظ ،

---

(١) ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ١٣٩ .

(٢) ن ٠م ٠ : ص ١٤٣ ٠ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ق٣ ، ج٤ ص ٢٠٩ .

(٣) ابو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي الواسطي ، التاريخ المذيل به على تاريخ ابن السمعاني ، مجلد ٢ (مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا في جامعة بغداد تحت رقم ٤٤٦ ، ورقة ٧٢ أ) .

(٤) الجامع المختصر : ٩ / ١٦٧ ـ ١٦٨ .

وبالغ في الثناء على البيت الشريف العباسي وأكثر من الدعاء للخدمة الشريفة الناصرية "[1].

كما ارسل الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) العماد جبريل المصري[2] الى خوارزم شاه وعاد الى بغداد في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة (٦٠٥ هـ)[3].

وفي نفس السنة (٦٠٥ هـ) وصل رسول من خوارزم شاه الى بغداد " وتلقاه الموكب الشريف الديواني ، وفي ثاني جمادى الاولى جلس نائب الوزارة ابن امسينا[4] بالديوان العزيز وأحضر الرسول المذكور ، فأدّى رسالته وعرض ما صحبه ، وسأل قبوله ، فقبل منه ، وانزل بالمدرسة الثقتية[5] بباب الأزج[6]، وفي عاشره خلع عليه ، واذن له في العود الى مرسله "[7].

---

(١) الجامع المختصر : ٩ / ١٦٨ .

(٢) ترجمته في تاريخ ابن الدبيثي ، جبريل بن صارم بن احمد الصعبي ، ابو الأمانة من اهل مصر قدم بغداد واقام بها الى أن توفي ، وكان فيه فضل وله شعر وله مدايح في مولانا الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين خلّد الله ملكه واستخدم بالديوان العزيز مجّده الله ونفذ في رسائل الى خوارزم وغيرها فحسنت حاله ونمي ماله وصار مشهورا بعد ان كان مخمولا (ورقة ٣٠١ - ٣٠٢) .

(٣) الجامع المختصر : ٩ / ٢٦٢ .

(٤) واسمه عند ابن الاثير : (فخر الدين ابن امسينا) . الكامل : ١٢ / ٢٨٧ . واورد الكازروني اسمه : (ابا البدر محمد بن احمد بن علي ابن امسينا)، (مختصر التاريخ : ص ٢٥١) .

(٥) وهي احدى مدارس بغداد ، انشأها ثقة الدولة ابو الحسن علي بن محمد المديني المعروف بابن الابري المتوفى سنة (٥٤٩ هـ) . والمدرسة خاصة بالشافعية . (ابن الجوزي ، المنتظم : ١٠ / ١٦٠ . الكامل : ١١ / ٢٠٠) .

(٦) باب الازج : محلة كبيرة ذات اسواق كثيرة في شرقي بغداد (ياقوت ، معجم البلدان : ١ / ٢٣٢) .

(٧) الجامع المختصر : ٩ / ٢٦٢ .

غير ان علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية ، لم تلبث ان تدهورت بعد ذلك ، عندما طمح خوارزم شاه علاء الدين محمد الى اقامة الخطبة له ببغداد ، ورفض الخليفة الناصر لدين الله طلبه ، مما تسبب في تفاقم الجفوة والعداوة بين الجانبين ، وهذا ما سنفصله في الصفحات القادمة .

سعي خوارزم شاه علاء الدين محمد لازالة الخلافة العباسية

كان اكبر الخطر الذى هدد الخلافة العباسية من جانب الخوارزميين قد تمثل بوضوح في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد (٥٩٦ — ٦١٧ هـ / ١١٩٩ — ١٢٢٠ م) الذى كان يطمح في تحقيق ما عجز عنه ابوه من اقامة الخطبة له ببغداد[١].

وقد تصور علاء الدين محمد بعد تخلصه من مشاكله في الشرق وازالته دولة الخطا في سنة (٦٠٧ هـ) ، ان بامكانه تحقيق ذلك فبعث الى الخليفة الناصر لدين الله يقول له : " كن معي كما كانت الخلفاء قبلك مع سلاطين السلجوقية كألب ارسلان وملكشاه ، واقربهم لنا عهدا السلطان سنجر ، فيكون أمر بغداد والعراق لي ولا يكون لك الا الخطبة "[٢].

---

(١) محمد بن علي الحموى ، التاريخ المنصوري المعروف بـ(تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ، (دار النشر للاداب الشرقية ، موسكو ١٩٦٠) ص٢٧٢ .

(٢) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : ١ / ٣٣٠ .

ولكن الخليفة أبى ذلك وانكر عليه الأمر غاية الانكار ، وبعد ذاك أخذ خوارزم شاه يتذرع بشتى الوسائل لمعاداة الخليفة الناصر لدين الله وازالة الخلافة العباسية • ومن تلك الوسائل ، ان الخليفة الناصر لدين الله كان قد خطب لولده الظاهر بامر الله بولاية العهد في صفر سنة (٥٨٥ هـ/ ١١٨٩ م) [(١)] ، ولكنه اسقط الخطبة له في جمادى الآخرة سنة (٦٠١ هـ) بحجة عجزه عن القيام بولاية العهد [(٢)] ، فلما اسقطت خطبته في سائر الآفاق رفض خوارزم شاه اسقاطها وقال " قد صحّ عندى توليته — اى الظاهر — ولم يثبت عندى موجب عزله • وجعل — ذلك — حجة لطروق العراق بالعساكر ، ليرد خطبته " [(٣)].

ومن المحتمل ان يكون الخليفة الناصر لدين الله قد لمس من ولده الظاهر خطرا عليه فعزله عن ولاية العهد [(٤)] ، كما يستشف ذلك من شعر الخليفة الناصر لدين الله نفسه وهو يشير الى ولده الظاهر ، في شعره :

ان طال عمرى فما قصرّت في كرم ولا حراسة ملكي من اعاديه

عرب وعجم وروم كلهم طمعوا فلم يفوزوا بشيء غير تمويه

بليت حتى بادنى الناس من جلدى يريد موتي وبالارواح أفديه [(٥)]

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٢ •
(٢) ن • م • : ص ٢٠٥ — ٢٠٦ •
(٣) خليل بن ايبك الصفدى ، الوافي بالوفيات : ٢/ ٩٦ — ٩٧ (استانبول ١٩٤٩)
و نكت الهميان في نكت العميان (المطبعة الجمالية ، القاهرة ١٩١١) ص ٢٣٩ •
(٤) الحموى ، التاريخ المنصوري : ص ٢٧١ •
(٥) الصفدى ، الوافي بالوفيات ، مخطوط : ٥/ ورقة ١٤٥ •
وانظر فخر الدين محمد بن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات : ١/ ٦٢ (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥١) •

يبدو لنا مما تقدم ان خوارزم شاه علاء الدين محمد ، اتخذ من عزل الظاهر حجّة لمعاداة الخليفة الناصر لدين الله ، ليستند في عمله ضده على مبرر شرعي .

وبعد هذا اخذ خوارزم شاه علاء الدين محمد يؤيد بعض حركات التمرد والعصيان ضد الخلافة العباسية ، فعندما عصى بعض مماليك الديوان (ديوان الخلافة) في سنة (٦٠٨ هـ) واستجاروا به ، اعانهم على عصيانهم[١] ، ولكن الخليفة الناصر لدين الله ارسل الى مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل ، يعرّفه ذلك ، واستنجد بعسكر الملك الاشرف وغيره فتمكن من قمع ذلك التمرد[٢] .

ومن الامور الاخرى التي كان لها اثر في ازدياد الجفاء بين الخليفة الناصر لدين الله وخوارزم شاه علاء الدين محمد ، هو صدور امر مستهجن عن الخليفة لا علاقة له بخوارزم شاه ، خلاصته ان خلافا وقع بين الخليفة وشريف مكة ، فأرسل الخليفة جماعة من الاسماعيلية لقتل الشريف ، ولكنهم قتلوا اخاه خطأ في يوم عرفة فكان هذا الحادث مدعاة لان يستفتي علاء الدين محمد أئمة البلاد بان الامام الذى يقوم بمثل هذه الاعمال يجب عزله ، وأشار الى ان بني العباس اغتصبوا الخلافة من العلويين ، وتقاعسوا عن القيام بما يجب وينبغي من العمل والجهاد في سبيل الله ،

---

(١) الحموى ، التاريخ المنصوري : ص ٢٧١ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٢٧١ .

وتغافلوا عن قمع ارباب البدع والضلالة[1]. لهذا فانه صور ان الخليفة الناصر لدين الله قد ارتكب المخالفات التي توجب مقاومته فاصدر امره بعزله واسقاط اسمه من السكة والخطبة ، وجمع مجلسا من العلماء والفقهاء واستحصل منهم على فتوى بشرعية عزل الخليفة العباسي[2]، وبايع شخصا علويا من ترمذ يدعى علاء الملك الترمذى[3]، وذلك في سنة (٦٠٩ هـ / ١٢١٢م)[4].

ولم تشر المصادر عن مدى ما تركه عمل خوارزم شاه علاء الدين محمد بعزل الخليفة العباسي ، من اثر في نفوس رعاياه ، والراجح ان الخوارزميين لم يتحمسوا الى تنصيب خليفة علوى ، لان التشيع لم يكن منتشرا بينهم[5]، كما انهم لم يسقطوا الخطبة للخليفة العباسي في خوارزم[6].

---

(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاى : ٢ / ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) حافظ احمد حمدى ، الدولة الخوارزمية والمغول : ص ٣٨ . الدكتور محمد حلمي محمد احمد ، الخلافة والدولة في العصر العباسي ط١، ص١٩٩ (مطبعة النهضة ، مصر ١٩٥٩) . الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ من جنكيزخان الى هولاكوخان (دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠) ص ٣٦ .

(٣) واسمه عند ابن الفوطي : علاء الملك القندزى (انظر تلخيص مجمع الاداب: ق ٢ ، ٤ / ١٠٨٥) .

(٤) ن . م . : ص ١٠٨٥ .

(٥) ياقوت ، معجم البلدان : ٢/ ٤٨٤ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٣١٨ . ابن الوردى ، تتمة المختصر : ٢/ ١٩٣ القلقشندى ، مآثر الانافة : ٢ / ٦٠ .

كانت خوارزم مشهورة بالاعتزال وفي هذا يقول ياقوت عندما التقى بالقاسم ابن الحسين بن محمد ابو محمد الخوارزمي بخوارزم سنة (٦١٦ هـ) " وقلت له ما مذهبك ؟ فقال : حنفي ، ولكن لست خوارزميا ، لست خوارزميا ، يكررها ، انما اشتغلت ببخارى فأرى رأى اهلها ، نفى عن نفسه ان يكون معتزليا رحمه الله". انظر ياقوت الحموى ، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب : ٦/ ١٥٤ - ١٥٥ ، ط ٢ (باعتناء مرغليوث ، مطبعة هندية ، القاهرة ١٩٣٠) .

أما عامة اهل خراسان فيبدو انهم لم يظهروا موافقتهم على عزل الخليفة العباسي ، وقالوا " ان بيعة الناصر صحّت عندهم ولم يظهر لهم خلافها "(١).

واخيرا فقد كان لاستيلاء علاء الدين محمد على غزنة حاضرة الدولة الغورية في سنة(٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) وعثوره في خزائن السلطان شهاب الدين الغوري على رسائل بعث بها الخليفة الناصر لدين الله الى الحكام الغوريين يحثهم فيها على مهاجمة الدولة الخوارزمية(٢)، عاملا هاما في استحكام عدائه مع الخليفة وتصميمه على ازالة الخلافة العباسية ، فقصد بغداد بجيش عظيم في سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) ، ولكنه عندما وصل الى العراق العجمي وجد اموره مضطربة لمقتل (اغلمش) نائبه فيه على ايدى الاسماعيلية ، كما وجد ان الخليفة اطمع فيه كلا من اتابك فارس (سعد بن دكلا) ، واتابك اذربيجان (اوزبك بن البهلوان)(٣)، فتمكن من اعادة سيطرته عليه بعد ان التحم بالاتابك سعد بن زنكي وانتصر عليه ، كما اوقع الهزيمة باوزبك بن البهلوان الذى دان له بالطاعة وقبل ان يذكر اسمه في الخطبة(٤).

ولما بلغ الخليفة الناصر لدين الله ، وصول خوارزم شاه علاء الدين

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ق ٢ ، ٤/ ١٠٨٥ .
(٢) خواندمير ، حبيب السير : ٢ / ٦٤٦ .
(٣) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٥٣ .
(٤) الكامل : ١٢ / ٣١٧ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢٣٢ .

محمد الى العراق العجمي ، اراد ايقاف تقدّمه نحو بغداد ، فأوفد اليه الشيخ شهاب الدين السهروردى ، مدافعا عما كان يلتمسه من الخليفة من اقامة الخطبة له ببغداد ، وقد خطب الشيخ المذكور خطبة بليغة ذكر فيها فضل بني العباس ووصف الخليفة الناصر لدين الله بالزهد والتقى والدين[1] كما ذكر الشيخ السهروردى حديثا معناه التحذير من عداء بني العباس . فلما فرغ من رواية الحديث ، اجاب خوارزم شاه بقوله : " اني ما آذيت احدا من ولد عباس ولا قصدتهم بسوء ، وقد بلغني ان في محبس امير المؤمنين منهم خلقا مخلدين يتناسلون بها ويتوالدون ، ولو اعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان اولى وانفع "[2] واضاف الى ذلك قوله " ان الخليفة الذى تصفه ما هو في بغداد ، بل انا أجيء واتيم خليفة هكذا "[3] وعاد الشيخ السهروردى الى الخليفة بغير جواب ، وظلت الوحشة قائمة بين الجانبين ، وانتهى الامر بزحف علاء الدين محمد على رأس جيشه الى بغداد في نفس السنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) فاستعد الخليفة للقائه وفرّق الاموال والسلاح[4] وشاءت الاقدار ان تنقذه من كيد خوارزم شاه ، اذ بدأ فصل الشتاء يحلّ وهو في

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٠١ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص٥٢ . الصفدى ، الوافي بالوفيات ٢ / ٢٧٧ . وانظر ايضا عن تفاصيل المقابلة بين علاء الدين محمد وشهاب الدين السهروردى في : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٦/ ٢١٩-٢٢٠ .
(٣) الذهبي ، العبر : ٥/ ٤٨ . ابن كثير ، البداية والنهاية : ١٣/ ٧٦ .
(٤) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٠٠ .

طريقه الى بغداد ، وبعد مسيرة يومين او ثلاثة عن همذان هبت عواصف ثلجية على جيشه وهو يعبر احدى المناطق الجبلية عند عقبة أستراباذ ، فاهلك البرد الكثير من رجاله ودوابه[1]، فارتبكت لذلك احوال العسكر الخوارزمي وتعرض من بقي منه لغارات الاتراك والاكراد ولم يرجع منهم الا اليسير[2]. ووجد علاء الدين محمد نفسه مضطرا الى العودة الى بلاده في نفر قليل ، هو البقية الباقية ممن كتبت لهم النجاة من جيشه ، نادما على ما ارتكبه بحق الخلافة العباسية . وبعد عودته خائبا شاعت تلك الخرافة المشهورة التي تقول بان ما حدث لم يكن الا غضبا من الله انتقاما من خوارزم شاه علاء الدين محمد لتجرّئه على خليفة المسلمين ، ومحاولته ازالة بيت بني العباس المؤيد من السماء ، بل ان ذلك جاء صراحة على ألسنة بعض خواصه[3].

---

(١) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين: ص ٦٤ . المستوفي القزويني ، تاريخ كزيدة : ص ٤٩٣ . عبد الله بن فتح الله البغدادي ، التاريخ الغياثي ، (مخطوطة في معهد الدراسات العليا ، جامعة بغداد ، رقم ٦١) ورقة ١١٨ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل: ١٢/ ٣١٧-٣١٨ . محمد امين زكي ، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان : ١/ ١٤٩ .

(٣) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٦٤ . الكامل: ١٢/ ٣١٨ . السيوطي ، تاريخ الخلفاء : ص ٤٤٩ .

((اتهام الخليفة الناصر لدين الله بمراسلة المغول))

وجه بعض المؤرخين تهمة في غاية الخطورة الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، وهي مراسلة للمغول ، ليشغل بهم خوارزم شاه علاء الدين محمد اثناء اشتداد العداوة بينهما ، ويبدو ان هذه التهمة قد شاعت في ايام الناصر لدين الله ، حتى ان ابن الاثير لم يستطع كتمانها وهو يدون التأريخ لذلك الحين ، واشار اليها اشارة تلميح في حياة الناصر لدين الله ، عند كلامه عن حوادث الغزو المغولي سنة (٦١٧ هـ) قائلا :

" وقيل في سبب خروجهم (خروج المغول) الى بلاد الاسلام غير ذلك مما لا يذكر في بطون الدفاتر .

فكان ما كان مما لست اذكره   فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر "(١)

ونحن لا نلوم ابن الاثير من ناحية الكناية دون الصراحة ، نظرا لما يحوطه من الظروف والاوضاع آنئذ ، اذ ان الخلافة العباسية لا تزال قائمة وتأثيرها قويا .

وقد عاد ابن الاثير وصرّح بهذه التهمة عند وفاة الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٦٢٢ هـ) بقوله : " وكان سبب ما ينسبه العجم اليه صحيحا من أنه هو الذى اطمع التتر في البلاد وراسلهم في ذلك ،

---

(١) الكامل : ١٢ / ٣٦٢ .

فهو الطامة الكبرى التي يصغر عندها كل ذنب عظيم "(١).

والغريب في الأمر ان السلطان جلال الدين منكبرتي آخر الحكام الخوارزميين كان يتهم الخليفة الناصر لدين الله بمكاتبة المغول واثارتهم ضد ابيه علاء الدين محمد ، بقوله " كان السبب في هلاك ابي ومجيء الكفار الى البلاد ووجدنا كتبه الى الخطا وتواقيعه اليهم بالبلاد والخيل والخلع "(٢).

وقد نقل كثير من المؤرخين هذه التهمة ، عن ابن الاثير وايدوا صحتها (٣)، بينما تردد البعض منهم في الجزم بها (٤).

وتؤيد طائفة من المؤرخين المحدثين تلك التهمة الى حدّ ما ، مراعين ان الاسباب التي دفعت الخليفة الناصر لدين الله الى الاستنجاد بالمغول على الخوارزميين ، هي نفسها التي دفعت غيره من الخلفاء العباسيين

---

(١) الكامل : ١٢ / ٤٤٠ .
(٢) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان : ق ٢ ، ٨ / ٦٢٤ . ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٤٤ . الذهبي ، دول الاسلام : ٢/ ٩٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية : ١٣ / ١٠٥ .
(٣) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، مجلد ٢ ، ٦ / ٣٤ . مجد الدين محمد بن محمد بن الشحنة ، روض المناظر في اخبار الاوائل والاواخر (بهامش ابن الاثير : ٩ / ٨٢ - دار الطباعة ، القاهرة ، ١٢٩٠ هـ) . مؤلف مجهول ، انسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا تحت رقم ٢٤٨) ورقة ٤ . المقريزي ، السلوك : ق ١ ، ١ / ٢١٨ . حافظ احمد حمدى ، الدولة الخوارزمية والمغول : ص ٤١ . هارولد لامب ، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم ، (ترجمة بهاء نوري ، مطبعة السكك الحديدية العراقية - بغداد) ص ٩٠ . فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ : ص ٣٧ .
(٤) السبكي ، طبقات الشافعية : ١/ ٣٣٠ . الدكتور حسين مؤنس ، المغول والاسلام ، مقالة في مجلة العربي الكويتية ، العدد ١٥١ ، حزيران ١٩٧١ : ص ٢٤ .

الى الاستنجاد بالبويهيين على الاتراك ، وبالسلاجقة على البويهيين ، مع استثناء الفارق بين هؤلاء واولئك ، فقد كان المغول وثنيين بينما كان اولئك مسلمين [١]، ويرى البعض الآخر ضعف التهمة الموجهة للخليفة الناصر لدين الله بالتآمر على المسلمين [٢]، بينما يقول البعض الآخر بترجيح صدقها وصحتها [٣].

وقد ادت بنا دراسة هذه التهمة الخطيرة الى عدم القطع بها لعدم توفر الادلة الكافية التي تثبت صحتها ، كما تبين لنا ايضا أن السلطان جلال الدين منكبرتي الذى كان يتهم الخليفة الناصر لدين الله ، بنفس الاتهام ، لا يملك دليلا واحدا على تأييده [٤].

وقد توفرت لدينا بعض الادلة التي تشير الى تآمر الخلافة العباسية ضد خوارزم شاه علاء الدين محمد في سنة (٦١٥ هـ) اى بعد عودته من غزو بغداد ، واشارت بعض المصادر ان ذلك التآمر جرى على يد وزير الخلافة ، مؤيد الدين القمي الذى كاتب عساكر خوارزم شاه في السنة المذكورة ووعدهم بالبلاد ، فاتفقوا مع الخطا الذين كانوا في جيشه على قتله

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي : ٤ / ١٤١-١٤٢ (نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧) محمد الخضري ، محاضرات تاريخ الامم الاسلامية : ٣ / ٤٧٠ ، ط٩ (مطبعة الاستقامة - القاهرة ، ١٩٥٩) .

(٢) الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين : ص ١٤ .

(٣) عباس العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين : ١ / ٩٦ (مطبعة بغداد ١٩٣٥) .

(٤) و. بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، الترجمة العربية (مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٥٨) : ص ١٦٤ .

وبعث اليهم بالاموال والخيول والخلع سوا ، وقد وقعت هذه الاموال والخيول والخلع مع الكتب المنفذة بيد خوارزم شاه علاء الدين محمد [١] ، وفي هذا ما يؤيـــد ادعاء السلطان جلال الديـن منكبرتـي بتآمر الخليفـة الناصر لدين الله على ابيـه علاء الدين محمد ، كما يتبيـن لنا ان الخليفـة المذكور قد اتفق مع الخطا على التخلص من خوارزم شاه علاء الدين محمد ، وهؤلاء الخطا هم غير المغـول الذين غزوا الدولـة الخوارزميـة والعالـم الاسلامي .

واذا افترضنا مراسلـة الخليفـة الناصر لدين الله للمغول ، واستندنـــا على ان امثال هذه الجريمـة تكررت في التاريخ ، اذ كثيرا ما قتـــل الاخ اخاه والوالد ولده ، والابـن والده من اجـل الملك والسلطان ، وافترضنــــا ايضا ان الخليفـة الناصر لديـن اللـه قد وضع في تقديره بعد المسافة بينـه وبين المغول ، فان ذلك وحده لا يمكن بايـة حال من الأحوال ان يقدّم لنـــا تفسيرا مقنعا عن قيام الغزو المغولـي ، بل هناك أمور اخرى ينبغي اخذهـا بنظر الاعتبـار فقد اشار ابـن الاثير الذى اتهم الخليفـة الناصر لدين اللـه بتلك التهمـة الى ان غزو المغول لبلاد خوارزم ، كان بسبب سوء التفاهـم الذى وقع لتجارهـم في مدينة اوترار [٢] الاسلاميـة وقتلهم بايعاز من خـوارزم شاه علاء الدين محمـد [٣] .

يضاف الى هذا فان سبب احتكاك الخوارزميـن مع المغول اصبح مباشـرا

---

(١) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان : ق ٢ ، ٨ / ٥٩٩ . الصفدى ، الوافـــي بالوفيـات : ٢ / ص ٢٧٦ .
(٢) اوترار : وهي مدينة من مدن ما وراء النهـــر .
(٣) الكامـل : ١٢ / ٣٦١ — ٣٦٢ .

بعد أن ازال علاء الدين محمد الدولة القره خطائية في سنة (٦٠٧ هـ/١٢١٠م) لانها كانت سدا منيعا بين بلاد المسلمين وغيرهم من الكفار كالمغول [١].

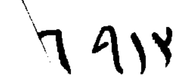
واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الغزو المغولي للعالم الاسلامي كان جزء من حركة واسعة تستهدف اقامة ابمراطورية مغولية عالمية نجحت فعلا ايام مؤسسها جنكيز خان باحتلال الصين الشمالية واواسط آسيا وايران وجورجيا والقفقاس وروسيا وبولنده واجزاء اخرى من اوربا الشرقية [٢]، لتبين لنا ان غزوهم للدولة الخوارزمية والعالم الاسلامي لا يمكن ان يعود الى تحريض الخليفة الناصر لدين الله او سواه .

وبامكاننا ان نتساءل ايضا : ما هي العلاقة بين الخليفة الناصر لدين الله باعتباره خليفة للمسلمين وبين جنكيزخان زعيم المغول الوثنيين حتى يسارع الأخير الى مهاجمة الدولة الخوارزمية لمجرد طلب الخليفة اليه ذلك ؟ واذا صحّ أن الخليفة قد راسلهم لكان ذلك بموجب اتفاق يقضي على الأقل بحفظ دولته التي بات يهددها الخطر المغولي منذ سنة (٦١٨ هـ/ ١٢٢١م) .

وما يضعف تهمة الخليفة الناصر لدين الله بمراسلة المغول ، هو موقفه الصريح المعادي لهم ، فعندما وصلت الاخبار الى بغداد في سنة (٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م) بتقدم المغول من قاعدتهم مراغة في اذربيجان نحو أربل ،

---

(١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة : ٣ / ٧٠ • ابن عربشاه ، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء : ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .
(٢) الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين : ص ١ .



حصن الخليفة بغداد وكتب الى صاحب الموصل وصاحب أربل يأمرهما بالاجتماع بعساكره في (دقوقا) وارسل ثمانمائة طواشي اى مملوك ، وطلب صاحب اربل النجدة من صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، فارسل هذا جمعا صالحا من عسكره اجتمع مع عساكر اربل وعساكر الخليفة ، وكان المتقدم على الجميع مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل ، فرجع المغول القهقرى ظنا منهم ان عسكر المسلمين يتبعهم (١)

يتبين لنا من كل ما تقدم ، ان التهمة التي وجهت الى الخليفة الناصر لدين الله بمراسلته المغول لا تستند في اساسها على ادلة واضحة ومقنعة يمكن الركون اليها للتسليم بصحتها ٠

((السلطان جلال الدين منكبرتي والخليفة الناصر لدين الله))

سار السلطان جلال الدين منكبرتي (٦١٧ ـ ٦٢٨ هـ/ ١٢٢٠ ـ ١٢٣٠ م) على سياسة ابيه وجده في معاداة الخلافة العباسية ، في وقت اشتدت فيه الغزوات المغولية على العالم الاسلامي ، فبينما كان الموقف يقضي عليه آنذاك خلق روح من المودة والوئام بينه وبين الخلافة العباسية ، وتكوين حلف اسلامي يقف في وجه المغول ، نجد أنه لم يحاول ذلك ، بل راودته اطماعه التوسعية ، في التوسع غربا على حساب الخلافة العباسية

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ٠

والقوى الاسلامية الأخرى ، في تلك الظروف الحرجة ، فاضطر الخليفة وامراء المسلمين الى محاربته ، مما ادى الى نتائج وخيمة حاقت بالدولة الخوارزمية اولا وبالشرق الاسلامي ثانيا .

لقد عمد السلطان جلال الدين منكبرتي الى تكوين حلف ضد الخليفة الناصر لدين الله الذى اعتقد فيه انه " عمل على ابيه حتى هلك "(١)، فكتب الى المعظم عيسى بن الملك العادل الايوبي ، صاحب دمشق يقول : " تحضر ومن عاهدني واتفق معي ، حتى نقصد الخليفة فانه كان السبب في هلاك أبي ومجيء الكفار "(٢) غير انه اخفق في مسعاه ، عندما اجابه المعظم عيسى " أنا معك على كل أحد الآ الخليفة امام المسلمين "(٣) ومع اخفاق جلال الدين منكبرتي في تكوين حلف ضد الخليفة فانه لم يكفّ عن معاداته له ، وزحف على اقليم خوزستان التابع للخليفة وحاصر مدينة (تستر) عاصمة الاقليم في المحرم من سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م)(٤)، والتقت طلائعه مع طلائع جيش الخلافة وعرب من خفاجة ، فانهزم جيش الخلافة وعاد الى بغداد(٥).

ولم يتمكن جيش السلطان جلال الدين من احتلال (تستر) ، فقد دافعه

---

(١) السبكي ، طبقات الشافعية : ١ / ٣٤٠ .
(٢) سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان : ق٢ /٨ ٦٣٤ . ابن كثير ، البداية والنهاية : ١٣/ ١٠٥ .
(٣) مرآة الزمان ، ق ٢ /٨ ٦٣٤
(٤) ابن الاثير ، الكامل : ١٢/ ٤٢٦ . القلقشندى ، مآثر الاناقة : ص ٦١ .
(٥) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٩٢ .

عنها الامير مظفر الدين المعروف بوجه السبع[١]، مملوك الخليفة ، وبعد ذلك تفرّق الخوارزميون ينهبون ما صادفهم حتى وصلوا الى بادارايا[٢] وباكسايا[٣] وغيرهما ، كما انحدر بعضهم الى ناحية البصرة ينهبون ما صادفهم ، فسار اليهم الأمير ملتكين شحنة البصرة فاوقع بهم وقتل منهم جماعة"[٤].

وقد ادّت اعمال جلال الدين في خوزستان والعراق الى اضطراب الأمن في ممتلكات الخلافة ، فاستغلّت القبائل العربية ذلك لمصلحتها " وثارت في البلاد تقطع الطرق وتنهب القرى وتخيف السبيل ، ونال الخلق اذى شديدا من جراء هجومها على القوافل"[٥].

ولم يكتف جلال الدين بذلك ،بل اندفع بجيوشه صوب بغداد حتى وصل الى بعقوبا[٦]، ولم يستطع جيش الخليفة الذى ارسله اليه مع مملوكه جمال الدين قشتمر على منعه[٧].

وبادر الخليفة الناصر لدين الله لصد هذا الهجوم وتعبئة قواته ، وتأهب اهل بغداد للحصار ، واصلحوا السلاح من الجروخ والقسي والنشاب والنفط وغير ذلك[٨] كما " اخرج الخليفة المال وفرّق في العساكر الف الف

(١) وجه السبع : هو فلك الدين ابو مظفر محمد بن مظفر الدين سنقر بن عبد الله المعروف بوجه السبع الناصرى التركي (ابن الفوطي ،تلخيص مجمع الاداب : ق ٣ ٤/ ٥١٧) .
(٢) بادارايا : بليدة بين البندنيجيين ونواحي واسط معجم البلدان : ١/ ٤٥٩) .
(٣) باكسايا : بضم الكاف ، بلدة قرب البندنيجيين وبادارايا بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي واقصى النهروان ، (معجم البلدان : ١/ ٤٧٧) .
(٤) الكامل : ١٢/ ٤٢٦ . (٥) ن . م . : ص ٤٢٨ .
(٦) وهي مدينة بعقوبة الحالية التي تبعد عن مدينة بغداد (٥٥ كم) تقريبا .
(٧) الكامل : ١٢/ ٤٢٦ . (٨) ن . م . : ص ٤٢٦ .

دينار ونصب المجانيق على الاسوار وفرّق السلاح رفتح الأهراء"[١] ولم يكتف بذلك بل ارسل الى مظفر الدين بن زين الدين كوكبري حاكم اربل يأمره بالاسراع في تعبئة قواته وقطع خطوط التموين على جلال الدين وسد السبيل امام جيشه اذا ما تقهقر . غير أن جلال الدين لم يقدم الى بغداد ، بل أقام في بعقوبا ثمانية عشر يوما[٢]، واضطر بعدها الى الانسحاب بسبب اعياء جيشه وقلة دوابه واستعداد الخليفة لصدّه ، وفي طريق عودته من بعقوبا وبدافع الحاجة الى ما يسد حاجة جيشه ، سار الى دقوقا عندما بلغه استياء اهلها من شنه الغارات على بلاد الخليفة[٣]، وحاصرها فقاتله اهلها قتالا شديدا ولكنه جدّ في قتالهم ، حتى تمكن من فتحها عنوة وقهرا ، واباح لجنوده نهبها وقتل اهلها ، وهرب من نجا منهم وتفرّقوا في البلاد[٤].

ولم تقتصر تعديات جلال الدين على اهل دقوقا ، بل تعرض لممتلكات الخليفة الأخرى ، فارسل سرية من جيشه الى البت[٥] والراذان[٦] فهرب اهلها الى تكريت فتبعهم الخوارزميون وجرى بينهم وبين عسكر تكريت وقعة

---

(١) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان : ق ٢ ، ٨ / ٦٣٤ .
(٢) محمد بن علي الحموي ، تلخيص الكشف البيان في حوادث الزمان (دار النشر للاداب الشرقية ، موسكو ١٩٦٠) : ص ٣١٦ .
(٣) النسوي ، سيرة جلال الدين : ص ١٩٣ .
(٤) الكامل : ١٢ / ٤٢٧ .
(٥) لعلها هي بتّا التي ذكرها ياقوت وقال عنها انها قرية من قرى النهروان من نواحي بغداد (انظر معجم البلدان : ١ / ٤٨٧) .
(٦) الراذان : وهي قرية بنواحي بغداد (ياقوت ، معجم البلدان : ٢/ ٧٣٠) .

شديدة وجعـــوا"[١].

أثارت اعمال جلال الدين وفظائعـه مخاوف الناس في المناطق التي لـم يصل اليها ، فارسـل اهل البوازيج[٢] التي كانت لصاحب الموصل يطلبـون الامان لانفسهم وارسـال شحنة لحمايتهم " وبذلوا له شيئا من المـال فأجابهم الى ذلـك "[٣].

ولمّا لم يستطـع جلال الدين من تحقيـق مأربـه ضد الخلافة العباسيـة ، مال الى مصالحـة الخليفـة الناصر لدين الله بعد اخفاقه في غزو بغداد ، وارسل اليه رسولـه ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوى برسالـة تتضمـن عتابا ، وعند وصول الرسول الى دار الخلافة أحل بمحـود الاكرام والاحترام من قبـل الخليفـة الذى كان هو الآخر يرغب في مهادنـة الخوارزمييـن ليتجنب المشاكـل التي سبّبوها لـه ، ولكن اهل بغـداد ذكروا رسول جلال الدين بالقبيح من الصفات ، ومع ذلك فقد بقي مدة طويلة في بغداد " واذن لـه في العود الى مرسلـه موفور الحظ من الانعـام جزيل القسط من النايـل العـام "[٤].

وهكذا عاد الصفاء بيـن الخليفـة الناصر لدين الله والسلطان جـلال الدين منكبرتي ، بعد ان مال جلال الدين الى مصالحة الخليفـة الذى لـم

(١) الكامـل : ١٢ / ٤٢٧ .
(٢) البوازيج : بلدة واقعة عند مصب الزاب الاسفل في دجلة (معجم البلدان : ١ / ٧٥٠) .
(٣) الكامـل : ١٢ / ٤٢٧ .
(٤) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ١٩٢ - ١٩٣ .

يتردد في مهادنته ، وانصرف جلال الدين عن الخلافة الى حين ليوسع نفوذه على حساب القوى المجاورة ، فسار في سنة (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) الى قريب اربل فصالحه صاحبها مظفر الدين كوكبري ودخل في طاعته[١] ، ثم سار الى أذربجان واستولى عليها ، كما اصطدم مع الكرج في سنة (٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م) ، فجرى بينه وبينهم قتال شديد انهزم فيه الكرج وطاردهم الخوارزميون ، وهناك اشار عليه اصحابه بقصد تفليس دار ملكهم ، فسار اليها وافتتحها عنوة وقهرا ولم يبق على كبير او صغير منهم الا من اذعن بالاسلام واقرّ بكلمتي الشهادة[٢] .

((علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية في عهد))

" الخليفة الظاهر بأمر الله "

اعقب الخليفة الناصر لدين الله ، ابنه الظاهر بأمر الله (٦٢٢ ـ ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥ ـ ١٢٢٦ م) ، وقد ذكرنا ان السلطان جلال الدين منكبرتي صالح الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) ، وانصرف عن مناوئة الخلافة العباسية لانشغاله في اذربيجان وبلاد الكرج ، ومع ذلك فان الخليفة الظاهر بأمر الله لم يأمن جانب السلطان جلال الدين بل توجّس منه خيفة ، فعمد الى كسب ود المعظم عيسى صاحب

---

(١) ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر : ٦ / ٣٢ .
(٢) الكامل : ١٢ / ٤٥١ .

دمشق وصرفه عن التحالف مع جلال الدين لما كان بينهما من علاقة متينة ، وكان المعظم " يلبس خلعة جلال الدين ويركب فرسه ويحلف برأسه "[١]،

ومن اجل ان يحقق الخليفة الظاهر بامر الله غايته ، اوفد رسوله محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزى الى الملك المعظم عيسى ومعه الخلع والتشريفات ورسالة تتضمن نهيه عن موالاة جلال الدين . وقد اجابه المعظم الى ذلك[٢].

ومن جهة اخرى رغب الخليفة الظاهر بامر الله بوضع حد للعلاقات العدائية بين الخلافة والخوارزميين ، وارتأى مصالحة السلطان جلال الدين فارسل اليه اثناء وجوده في تبريز ، عاصمة اذربيجان رسولين لهذا الغرض ، هما نجم الدين الرازى احد رجال الصوفية ، وركن الدين بن عطّاف ، وقد أمر الخليفة ثاني الرسولين بالبقاء في حضرة السلطان جلال الدين اذا لاقت فكرة الصلح قبولا حسنا ، وان يعود الرازى مع الرسل الذين يرسلهم السلطان لغرض حمل الخلع اليه[٣].

وقد وافق جلال الدين على اجابة الخليفة الى الصلح ، فاوفد اليه القاضي مجير الدين ليحضر الخلع والهدايا ، وقد استقبل الخليفة رسول السلطان جلال الدين استقبالا حسنا ، وعند عودته ارسل معه خلعا كثيرة الى

---

(١) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٢٣ . والعبر في خبر من غبر : ٥ / ٩٣ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية : ١٣ / ١١٢ .
(٣) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٨٠ .

السلطان[1] وقد شاءت الظروف ان يتوفى الخليفة الظاهر بأمر الله قبل وصول الرسول الى السلطان جلال الدين ، فلما وصلت الخلع اعادها جلال الدين الى بغداد لتغيّر النية في حقه[2]

((علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية في عهد الخليفة))
" المستنصر بالله "

عادت العلاقات بين الخليفة المستنصر بالله والسلطان جلال الدين منكبرتي الى التدهور بعد ان تحسنت فترة قصيرة في عهد الخليفة الظاهر بامر الله وقد كان بامكان الخليفة المستنصر بالله ادامتها حسنة خاصة وان الخطر المغولي كان يحتم عليه التحالف مع الدولة الخوارزمية ، غير اننا نجد ان هذا الخليفة عمل على اضعاف السلطان جلال الدين مستغلا بذلك انشغاله بمشاكله الكثيرة في اذربيجان ومحاصرته خلاط سنة (٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦م) ومحاربته الاسماعيلية سنة (٦٢٤ هـ/ ١٢٢٧م) ، كذلك معاودة المغول غزواتهم للعالم الاسلامي . اضافة الى النزاع الذى قام بينه وبين اخيه غياث الدين سنة (٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨م) بسبب استيلاء الاخير على العراق وفارس وهي من ممتلكات اخيه جلال الدين . وقد اراد الخليفة المستنصر بالله ان يستغل الخلاف الذى وقع بين جلال الدين واخيه غياث

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٨٠ .
(٢) ن . م . : ص ٢٨٠ .

الدين ، وذلك بمناصرة الأخير ، فعندما بعث غياث الدين وزيره الى الخليفة معلما اياه بمفارقة اخيه وطالبا المساعدة منه أجاب الخليفة طلبه واعاد رسوله بوعد جميل واصحبه بثلاثين الف دينار[١].

غير ان خروج المغول ، اجبر غياث الدين الى الهرب ومن معه من اصحابه فتوجه الى خوزستان ، وطلب الدخول في طاعة الخليفة ، غير ان نائب الخليفة فيها منعهم من دخول البلد مخافة ان تكون هذه مكيدة مدبرة ، وحينذاك قصد غياث الدين بلاد الاسماعيلية واحتمى بهم[٢]، ثم التمس له علاء الدين صاحب ألموت الأمان من اخيه فاجابه جلال الدين الى طلبه[٣].

ظلت العلاقات متوترة بين الخليفة المستنصر بالله والسلطان جلال الدين ، بالرغم من ان الخطر المغولي بات يهدد العالم الاسلامي ، ولم يحاول الخليفة احلال التفاهم مع السلطان جلال الدين محلّ العداوة والبغضاء ، كما ان السلطان جلال الدين قطع الخطبة للمستنصر بالله في بلاده ، حتى سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) حيث أعادها ، وسبب اعادته لها انه عندما زحف الى خلاط في هذه السنة وحاصرها حصارا شديدا ، ارسل اليه الخليفة المستنصر بالله رسوله سعد الدين الحاجب ، يعرض عليه الصلح وكان هذا الصلح مشروطا بان لا يتعرض جلال الدين لبعض

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٤٢ .
(٢) الكامل : ١٢ / ٤٧٥ .
(٣) سيرة جلال الدين : ص ٢٤٣ .

الامراء المسلمين الذين يعتبرهم الخليفة من اتباعه ، مثل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، ومظفر الدين كوكبرى صاحب اربل ، وعماد الدين بهلوان بن هزارسف ملك الجبال[١]. وقد وافق جلال الدين على ذلك واعاد الخطبة للخليفة العباسي على سائر منابر الدولة الخوارزمية[٢]، واوفد من عنده الى الخليفة رسوله الحاجب بدر الدين طوطق بن اينانج خان ، واوصاه ألاّ يقبّل يد الوزير مؤيد الدين ابن القمي "وان لا يوفيه حق التعظيم ، لأمور كان ينقمها عليه"[٣].

ولما وصل رسول السلطان جلال الدين الى دار الخلافة ، استقبله الخليفة استقبالا حسنا واستفسر منه عن حال جلال الدين ، وذكره بالتعظيم ، واظهر للرسول انه يريد تقديم السلطان جلال الدين على سائر ملوك زمانه[٤]، وكان جواب الرسول سعد الدين الحاجب يقتصر على تقبيل الارض بين يدي الخليفة ، ولمّا عاد الى جلال الدين حمّله الخليفة كتابا بعد ان خلع عليه واوصله بعشرة آلاف دينار ، كما اصحبه بثلاث رسل من عنده الى السلطان جلال الدين ، وهم فخر الدين ابو طالب أحمد بن الدامغاني والشيخ ابو البركات عبد الرحمن بن شيخ الشيوخ ، والأمير فلك

---

(١) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٣٠٤ .
(٢) كان خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد جلال الدين قد اسقط الدعاء للخليفة الناصر لدين الله في كثير من بلاده وذلك في سنة (٦١٤ هـ) .
(٣) سيرة جلال الدين : ص ٣٠٥ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ٣٠٧ .

الديـن محمد بن سنقر الطويـل ، ونفذ معهم تشريفات وكراع ولباس الفتوة[١].

ولما وصل رسل الخليفـة الى خلاط في سنة (٦٢٧ هـ/ ١٢٣٠ م) كـان السلطان جلال الدين لا يزال محكما الحصـار عليها ، فاجتمعوا اليه فـي ظاهرها وضربت لهم خيمـة خاصة ، وجلسوا ينتظرون حضور جلال الدين الـى خيمتهـم ليلبس خلع الخليفـة ، غير انه لم يفعل ذلك ، بل ضرب خيمـة اخرى نقلـت اليها الخلع ، ثم دخلها ولبس الخلع[٢] وقبل الارض عـدّة مـرات[٣]. وبعد ذلك عرض عليـه الرسل وساطـة الخليفة عنده برفع الحصار عن خلاط التي ساءت احوال اهلها ، من جراء ذلك الحصار ، ولكنه لم يوافـق

(١) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المنسوب خطأً الى عبد الرزاق بن الفوطي ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١ هـ) : ص ٤ — ٥ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب : ق ٣ ، ٤٦٣ / ٩٩ .
اما بصدد الهدايا التي ارسلها الخليفة المستنصر بالله الى السلطـان جلال الدين فيصعب استقصاؤها : منها خلعتان للسلطان ، احداهما جبـة وعمامة وسيف هندى قد رصّع نجاده والأخرى قباء وفرجية وهي التي تلبس علـى الكتف والظهر ، وسيف قراجولي محلّى بالذهب ومرصع الحياصة بالدنانير وقـلادة مرصعة ثمينة وفرسان باحسن العدد الملوكية بثماني تطبيقات اى نعال طبقتا على حوافرهما وزن كل تطبيقة مائتا دينار وترس ذهب مرصع بنفائس الجوهر فيه احـد واربعون فصاً من الياقوت وبذخشاني في وسطه فيروزج كبير وثلاثون فرسا مـن الخيل المسوّمة مجللة بالاطلس الرومي ، مبطّنة الجلال بالاطلس العراقـي البغدادى ، وعلى رأس كل جنب مقود حرير قد ضربت عليه ستون دينارا خليفية وثلاثون اوعشرون مملوكا بالعدة والمركوب ، وعشرة فهود بجلال الاطلس وقلائـد الذهب وعشرة صقور مكللة الأكمة باشياء ثمينة ومائة وخمسون بقجة في كـل واحدة عشرة ثياب وخمس كرات من العنبر الاشهب مضلعة بالذهب ، وعـود وشجرة طولها خمسة اذرع او ست تحمل بين رجلين واربع عشرة خلعة برسـم الخانات كلها من الخيل المطهّـة وحوائص الذهب .
(انظر النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص٣٠٧ — ٣٠٩) .

(٢) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣١٠ .
(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ورقـة ٣٤٢ .

لكي لا يعدّ هذا ضعفا منه ، وقد حذّره الرسل من تعذّر فتحها عليه فيضطر حينذاك الى رفع الحصار من غير وساطة الخليفة ، لهذا فمن الافضل ان يرحل عنها بوساطة الخليفة ليكون رحيله عنها اشبه بحال الفائزين ، غير انه لم يقتنع بما ذكره له الرسل ، واستمرّ محاصرا لها حتى تمكن من فتحها عنوة في سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م) ، ولم يشفع للخليفة في اهلها (١) ، بل اعمل السيف فيهم وارتكب اشنع الجرائم وافدح الموبقات .

وبعد ان تم له فتحها ارسل رسوله (طوطق بن اينانج) الى الخليفة برسالة مضمونها شكر الانعام عليه والاخبار بفتح خلاط وملكها ، وعندما وصل الرسول الى دار الخلافة خلع عليه وعلى خواصه وانزل دار الأمير محمد بن الانباري على دجلة فأقام اياما ثم عاد (٢) .

وعند عودة رسل الخليفة الذين اوفدهم صحبة فلك الدين سنقر الطويل اصحبهم السلطان جلال الدين من عنده برسولين الى الخليفة وهما نجم الدين اوداك امير اخور وجمال الدين علي العراقي ، ومعهما خيلا تاتارية

---

(١) يبدو ان الخليفة المستنصر بالله قد ارسل رسوله محي الدين بن الجوزى ايضا الى السلطان جلال الدين منكبرتي اثناء حصاره لخلاط ، فيذكر اليونيني في سنة (٦٢٧ هـ) نقلا عن المبارك بن ابي بكر حمدان في قلائد الفرائد قوله " قدم (محي الدين بن الجوزى) رسولا من ديوان الخلافة الى خوارزم شاه منكبرتي بن محمد بن تكش فاجتمعت به بعد عوده من الرسالة باربل في اواخر شعبان سنة (٦٢٧) " .

انظر : قطب الدين موسى بن محمد بن احمد اليونيني ، ذيل مرآة الزمان : ١ / ٣٣٤ (حيدر آباد الدكن ، ١٩٥٤) .

(٢) الحوادث الجامعة : ص ١٤ .

كانت عنده اشرف امواله وألطف هداياه[1]، وعند عودتهما الى السلطان جلال الدين اصحبهما الخليفة المستنصر بالله بمحي الدين بن الجوزي وسعد الدين ابن الحاجب ، وأمرهم ان يتفرّقوا في طريقهم فيعود رسل السلطان جلال الدين اليه سالكين طريق اذربيجان ، ويتوجه رسل الخليفة الى حران[2].

وهكذا عاد السلام بين الخلافة العباسية والخوارزميين في عهد الخليفة المستنصر بالله الذى ادرك ان معاداتهم للخلافة لا تؤدى الآ الى اضعاف الجانبين وانهاكهما ، فاضطر الى تحسين علاقته بهم ، كذلك ادرك السلطان جلال الدين منكبرتي عجزه عن ازالة الخلافة العباسية فاضطر الى مصالحة الخليفة المستنصر بالله وصار يخاطبه بـ" سيدنا ومولانا امير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رسول ربّ العالمين ، امام المشارق والمغارب ، والمنيف على الذروة العليا من لؤى بن غالب "[3] كما صار السلطان جلال الدين يخاطب بعد ان حملت اليه خلع السلطنة بـ" الجناب العالي الشاهنشاهي "[4]

على ان تحسن العلاقات بين الخوارزميين والخلافة العباسية ، واحلال التفاهم بينهما ، لم يؤدّ الى وقوفهما صفا واحدا امام الغزو المغولي ،

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣٢٨ .
(٢) ن . م . : ص ٣٢٨ .
(٣) ن . م . : ص ٣٨٤ .
(٤) ن . م . : ص ٣٨٥ .

الذى بات يهدد كيان الجانبين ، ويلقى اللوم على الخليفة المستنصر بالله الذى تهيأت امامه فرصة الاتفاق مع السلطان جلال الدين ، وكان بامكانه ان يضع معه سياسة لمعالجة الغزو المغولي وتوحيد المسلمين في حلف عسكرى يستطيع حشد الطاقات المناسبة ، باعتباره اعلى سلطة معنوية في العالم الاسلامي ، لهذا بقي السلطان جلال الدين وحده في الميدان حتى انتهت حياته في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) (١) .

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين ، ص ٣٨٥ .

الفصل الرابع

علاقة الخوارزميين بالغوريين

من الدول الاخرى التي كان للخوارزميين علاقة معها ، هي الدولة الغورية التي نشأت على انقاض الدولة الغزنوية في بلاد الغور بين هراة وغزنة[1]، وحكمت زهاء تسعا وستين سنة (٥٤٣ ـ ٦١٢ هـ / ١١٤٨ ـ ١٢١٥م) ، وقد تمكن الغوريون من توطيد حكمهم في بلاد الغور والافغان والهند ، ثم انصرفوا الى توسيع نفوذهم على حساب ممتلكات السلاجقة في خراسان ، التي سقط جزء منها بايدى الخوارزميين وقبائل الغز التركية بعد وفاة السلطان سنجر السلجوقي في سنة (٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م) .

وقد ادت سياسة الحكام الغوريين التوسعية في خراسان ، وخاصة في عهد السلطان غياث الدين الغورى (٥٥٦ ـ ٥٩٩ هـ / ١١٦١ـ١٢٠٢م) الى التصادم مع الخوارزميين الذين تطلعوا هم ايضا الى بسط نفوذهم على سائر خراسان ، مما كان له اثر في ظهور بداية العلاقات بين الخوارزميين والغوريين . وسنجد ان النزاع الذى قام بينهما يعود في حقيقة امره ، الى اطماع كل منهما في اقتسام مخلفات السلاجقة .

---

(١) يقسم الغوريون الى طائفتين :ـ
الاولى : ملوك الغور بالمعنى الاخص الذين حكموا في غور نفسها وكانت عاصمتهم فيروزكوه (بين هراة وغزنة) .
الثانية : ملوك طخارستان (في خراسان) شمال الغور وكانت عاصمتهم باميان ، (بين بلخ وهراة وغزنة) ولذا فانهم يسمون ملوك باميان وغورية باميان .
انظر : محمد بن عبد الوهاب القزويني ، حاشية رقم ١ ـ جهار مقالة ـ ص ٩٤ .

((بدايـــة العلاقات بين الخوارزميين والغوريـــن))

يمكن القول ان العلاقات بدأت بيـن الغوريـين والخوارزميين فـــي سنة (٥٦٨ هـ / ١١٧٣م) ، وهي السنة التي توفي فيها خوارزم شـــاه ايل ارسلان بن اتسـز ، ووقع الخلاف بعد وفاته بين ولديه علاء الدين تكش وسلطـان شاه ،وانتهى الأمر باخراج سلطان شاه من خرارزم ٠

على ان سلطان شاه الذى طرده اخوه تكش من خوارزم ، تمكـن ان يكوّن لنفسه ملكا في خراسان بعد ان انتزع مرو وسرخس وبعض المناطـق الأخرى من ايدى الغز بمساعدة الخطا لـه ، ثم راودته اطماعه التوسعيـة في خراسان ، ليبني له ملكا واسعا على انقاض السلاجقـة ، غير أنه وجـد ان الغوريـن قد استولوا على بعض المناطق الخراسانية ، كهـــراة [١] وبوشنج [٢] وباذعيس [٣]، فاراد انتزاع هذه المناطـق من ايديهم ، فكتـب الى السلطان غياث الدين الغورى (٥٥٦ ـ ٥٩٩ هـ / ١١٦١ ـ ١٢٠٢ م) يطلب اليـه التنازل عن ممتلكاتـه في خراسان ويتهدده ان هو امتنع عـن ذلـــك [٤].

---

(١) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من امهات مدن خراسان (معجم البلـــدان ، ٤ / ٩٥٨) ٠ وهي الآن احدى مدن افغانستـان ٠

(٢) بوشنج : بليدة من نواحي هراة (معجم البلدان : ١ / ٧٥٨) ٠

(٣) باذعيس : ناحية من اعمال هراة ومروالروذ (معجم اللبلدان : ١ / ٤٦١) ٠

(٤) ابـن الاثيـر ، الكامـل : ١٢ / ٢٨٠ ٠ ابن خلدون ، العبـر وديوان المبتـدأ : ٥ / ١٩٧ ٠

ولما وقف السلطان غياث الدين الغوري على طلب سلطان شاه ، امتعض ، فارسل اليه يطلب منه اقامة الخطبة له[1]، وحينذاك اشتد الخلاف بينهما ، وسار سلطان شاه من مرو وهاجم ممتلكات السلطان غياث الدين الغوري في خراسان ، مبتدئا بذلك معاداته للغوريين .

ولم يقف السلطان غياث الدين مكتوف اليدين امام تعرض سلطان شاه بممتلكاته ، بل سعى لرد تعدّياته ، فجهز ملك سجستان[2] لقتاله ، وكاتب ابن أخته بهاء الدين سام صاحب باميان يأمره باللحاق به ، وكان سلطان شاه قد واصل سيره حتى وصل هراة ، ولما علم بوصول جيش الغوريين خاف من لقائهم ، ورجع الى مرو[3]، وبهذا لم يقع قتال بين الجانبين .

وقد عاود سلطان شاه التعرض بالغوريين من جديد فأرسل الى السلطان غياث الدين الغوري يطلب اليه التنازل عن الممتلكات الخراسانية التي بيده ، فاستاء غياث الدين وارسل الى اخيه شهاب الدين - وكان بالهند - يعرّفه الحال ، فسار شهاب الدين الى خراسان والتقى باخيه غياث الدين وملك سجستان وساروا جميعا للقاء سلطان شاه الذى جمع عساكره وانضم اليه جماعة من الغز والمفسدين وقطاع الطرق والطامعين ،

---

(١) الكامل : ١١ / ٣٨٠ .

(٢) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة وهي جنوبي هراة ، بينهما ثمانون فرسخا (معجم البلدان : ٣ / ٤١) .

(٣) الكامل : ١١ / ٣٨٠ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ١٩٧ .

وقد واصل غياث الدين ومن معه تقدمهم حتى وصلوا الطالقان[1] ، بينما نزل سلطان شاه في مرو الروذ ، وأراد الجانبان حسم الخلاف بينهما بطريقة سلمية ، فتبادلا الرسل وتقرر الأمر اخيرا على ان يسلم غياث الدين الى سلطان شاه بوشنج وباذغيس وقلاع بيوار[2] ، ويبدو ان السبب الذى دفع غياث الدين الى التنازل عن تلك المناطق ، هو عدم رغبته في القتال وليتجنب اراقة دماء المسلمين من الجانبين . ويقال ان احد المقربين الى السلطان غياث الدين الغورى ، ويدعى مجد الدين العلوى الهروى ، اراد ان يحول دون عقد الصلح مع سلطان شاه ، فلما كتب الصلح صرخ ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه ، وقال لغياث الدين : " هذا واحد طرده اخوه واخرجه فريدا وحيدا لم تترك له ما ملكناه باسيافنا من الغز والأتراك السنجرية (نسبة الى السلطان سنجر السلجوقي) فاذا سمع هذا عنا ، يجيء اخوه يطلب منازعته وجميع ما بيدك "[3]

ولما فرغ مجد الدين العلوى من كلامه لم يتكلم غياث الدين . ولكن اخاه شهاب الدين أصر على محاربة سلطان شاه ، فسار على رأس

---

(١) الطالقان : وهي مدينة بخراسان بين مرو الروذ وبلخ (ياقوت ، معجم البلدان : ٣ / ٤٩١) .

(٢) الكامل : ١١ / ٣٨١ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ١٩٧ .
بيوار : مدينة قصبة ناحية غرشستان . (معجم البلدان : ١ / ٨٠٣) .

(٣) الكامل : ١١ / ٣٨١ - ٣٨٢ . العبر : ٥ / ١٩٨ .

جيشه للقائه ، فلقيه في (مرو الروذ) وجرت بينهما معركة حامية ، هزم فيها سلطان شاه ، وفرّ الى مرو ، ووقع أكثر اصحابه اسرى بيد الجيش الغوري ، فاطلقهم السلطان غياث الدين بعد ذلك[1] .

((علاقة الخوارزميين بالغوريين في عهد خوارزم شاه علاء الدين تكش))

حاول خوارزم شاه علاء الدين تكش ، ان يستفيد من النزاع الذي نشب بين اخيه سلطان شاه والغوريين ، فاستغل هزيمة اخيه امام السلطان شهاب الدين الغوري ، وسار من خوارزم في ألفي فارس ، وارسل الى جيحون ثلاثة آلاف فارس ليقطع الطريق على اخيه سلطان شاه ان اراد الالتجاء الى الخطا[2] ، واعتقد ان بامكانه القضاء عليه والاستيلاء على ما بيده في خراسان .

ولما بلغ سلطان شاه مسير أخيه علاء الدين تكش اليه حاول عبور جيحون الى الخطا ، لعله يحصل على نجدة منهم ضد اخيه ، الا انه لم يتمكن من عبور النهر ، وحينذاك ضاقت به الحال ، ففكر في طريقة للخلاص ، ووجد أن من مصلحته الالتجاء الى السلطان غياث الدين الغوري ، فيعتذر اليه عما بدر منه من عداء سابق له ، فكتب اليه يعلمه التجاءه اليه ، وهنا تناسى السلطان غياث الدين ما كان بينهما فلبى طلبه ،

(١) الكامل : ١١ / ٣٨٢ .
(٢) الكامل : ١١ / ٣٨٢ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ١٩٨ .

وعندما سار سلطان شاه اليه أحسن استقباله ومن معه [١]

ويبدو ان السلطان غياث الدين الغوري احسن استقبال سلطان شاه ، لانه وجد ان اخاه علاء الدين تكش لم يحسن الوصاية عليه . ومن المحتمل ايضا انه اراد ان يستغل الخلاف الذي وقع بين افراد البيت الخوارزمي وانشغالهم في الخصومات ، ليستفيد من ذلك في توسيع نفوذه في خراسان .

وعندما علم خوارزم شاه علاء الدين تكش بالتجاء اخيه سلطان شاه الى الغوريين ، بعث الى السلطان غياث الدين يحرضه عليه ويذكره بما صنعه معه من الاغارة على ممتلكاته في خراسان ، كما اشار اليه بالقبض عليه وتسليمه له [٢] ، وفي الوقت نفسه كتب خوارزم شاه تكش الى نائب السلطان غياث الدين الغوري بهراة يتهدده [٣]

وقد امتعض السلطان غياث الدين الغوري من تصرفات خوارزم شاه ، فكتب اليه قائلا :

" اما قولك ان سلطان شاه أخرب البلاد واراد ملكها ، فلعمري انه ملك وابن ملك ، وله همة عالية ، واذا اراد الملك ، فمثله اراده ، وللأمور مدبّر يوصلها الى مستحقها ، وقد التجأ اليّ ، وينبغي ان تنزاح عن بلاده ، وتعطيه نصيبه مما خلّف ابوه ، ومن الاملاك التي خلف

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣٨٢ .
(٢) ن . م . : ص ٣٨٢ .
(٣) ن . م . : ص ٣٨٣ .

والأموال ، واحلف لكما يمينا على المودة والمصافاة ، وتخطب لي بخوارزم وتزوج اخي شهاب الدين بأختك "[١]

ولما اطلع خوارزم شاه علاء الدين تكش على رسالة السلطان غياث الدين الغوري امتعض ، فكتب اليه كتابا يتهدده بقصد بلاده[٢]

وهكذا تفاقمت العداوة بين الجانبين ، حتى جهز السلطان غياث الدين جيشا وسيره مع سلطان شاه الى خوارزم ، ويبدو ان ذلك كان في سنة (٥٨٨ هـ / ١١٩١ م) ، وكان خوارزم شاه تكش اذ ذاك في الري يقدّم المساعدة لقتلغ اينانج ضد السلطان طغرل السلجوقي[٣]

ولما سمع تكش بقصد اخيه سلطان شاه خوارزم ، رجع اليها مسرعا ، فأتاه الخبر وهو في الطريق ، أن اهل خوارزم ردّوا سلطان شاه عنها ولم يمكّنوه منها[٤]

وبعد ان وصل خوارزم شاه تكش الى خوارزم اخذ يعدّ العدّة لمحاربة اخيه سلطان شاه الذى عاد الى مرو ، فسار اليه في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م) ، وقبل وصوله ترددت الرسل بينهما في الصلح ، وفي تلك الاثناء ، ارسل مستحفظ قلعة سرخس التابع لسلطان شاه ، رسولا الى خوارزم شاه تكش يدعوه اليه ليسلمه القلعة ، فسار اليه وتسلمها منه[٥] ،

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣٨٣ .
(٢) ن . م . : ص ٣٨٣ .
(٣) ن . م . : ١٢ / ١٠٦ — ١٠٧ .
(٤) ن . م . : ص ١٠٧ .
(٥) ن . م . : ص ١٠٧ .

ولما بلغ ذلك سلطان شاه فتّ في عضده ، فمات حزنا في رمضان سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م)[١]، وبعد وفاته سار خوارزم شاه تكش الى مرو فاستولى عليها ،وتسلم مملكة اخيه سلطان شاه جميعها وخزائنه[٢].

لقي خوارزم شاه تكش معارضة من جانب الغوريين بضمه ممتلكات اخيه سلطان شاه[٣]، ولكنه وجد ان ظروفه المحيطة به وانشغاله في نزاعه مع سلاجقة العراق ،تضطره الى عدم الدخول معهم في نزاع آخر، لذلك مال الى مصالحة السلطان غياث الدين الغوري ، بأن ارسل اليه جماعة من فقهاء خراسان والعلويين ليظهروا له ان خوارزم شاه تكش يراسلهم ويتهددهم بانه يجيء بالاتراك والخطا ويستبيح حريمهم واموالهم ، وطلبوا اليه : اما ان يحضر بنفسه الى (مرو) فيجعلها دار ملكه ليأمن اهلها ، واما ان يصالح خوارزم شاه تكش[٤].

وهنا ادرك السلطان غياث الدين الغوري حراجة الموقف فرأى من الأفضل له مصالحة خوارزم شاه ،وترك التعرض ببلاده[٥].

---

(١) ابن الاثير، الكامل : ١٢/ ١٠٧ .

(٢) ن ٠م ٠ : ص ١٠٧ .

(٣) الكامل : ١١ / ٣٨٤ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ١٩٩ .

(٤) الكامل : ١١ / ٣٨٤ .

(٥) ن ٠م ٠ : ص ٣٨٤ .

((دور الغوريين في الصراع بين الخلافة العباسية والخوارزميين))

لم تستمر مدة الصفاء طويلا بين خوارزم شاه علاء الدين تكش والسلطان غياث الدين الغوري ، بل تجددت العداوة بينهما في سنة(٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م) وكان للخليفة العباسي الناصر لدين الله ، اثر كبير في ذلك ، فعندما استولى خوارزم شاه تكش على معظم خراسان والعراق العجمي ، واظهر طلب السلطنة والخطبة له ببغداد [(١)]، امتنع الخليفة عن اجابته ، ونتيجة لذلك ساءت علاقته مع الخليفة وتطور الخلاف بينهما ، فأراد الخليفة ان يبعد خطر خوارزم شاه عنه بالاستعانة عليه بالغوريين ، فأرسل الى السلطان غياث الدين الغوري يأمره بقصد بلاد خوارزم شاه ليشغله عن قصد العراق [(٢)].

ولم يتردد غياث الدين الغوري في اجابة الخليفة الى طلبه ، خاصة وانه وجد ان خوارزم شاه علاء الدين تكش قد استولى على معظم خراسان التي كان غياث الدين نفسه طامعا فيها ، لهذا كله ارسل غياث الدين الى خوارزم شاه يقبّح له معاداة الخليفة ويتهدده بقصد بلاده واخذها [(٣)].

وعندما بلغ خوارزم شاه تكش تهديد السلطان الغوري له ، فكر بايجاد

---

(١) الكامل ، ١٢ / ١٣٥ . ابن خلدون ، العبر ، ٥ / ٢٠٤ .
(٢) الكامل ، ١٢ / ١٣٥ .
(٣) الكامل ، ١٢ / ١٣٥ .

حليف لـه يقف الى جانبـه في المحافظـة على ممتلكاته في خراسان والاستمرار في سياستـه التوسعية على حساب الغوريين • ولتحقيق هذين الغرضين استعان بالخطا على حرب السلطان غياث الدين الغوري ، فاتصل بهم واظهر لهم ان لم يدركـه والآ اخذ غياث الدين املاكـه ، وقصد بعد ذلك بلادهم ، فيتعذر عليهم حينذاك منعه ويعجزون في رده عن ما وراء النهر(١).

ويبدو ان ملك الخطا اقتنع بما ذكره لـه خوارزم شاه تكش ، وقد صادف ذلك حادث كان لـه اثر في نفس ملك الخطا ، وهو استيلاء الغوريين على بلخ في سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) بعد وفاة صاحبها الذى كان يحمل الخراج كل سنة الى الخطا (٢). فادرك ملك الخطا حينئذ خطر الغوريين وجهّز جيشا كبيرا بقيادة وزيره المعروف بـ(طانيكوا) فعبر نهر جيحون في جمادى الآخرة سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م) ، بينما عزم خوارزم شاه على مهاجمة هراة واخذها من الغوريين •

وقد هاجم الخطا بلاد الغوريين وعملوا فيها من القتل والنهب الشيء الكثير ، كما ارسلوا الى بهاء الدين سام صاحب باميان يأمروه بالخروج منها ، او ان يحمل لهم مالا ليكفوا عنه ، ولكنه لم يجبهم الى ذلك(٣).

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٣٥ •
(٢) الخزرجي ، المسجد المسبوك : ٢ / ورقة ١٠٢ •
(٣) الكامل : ١٢ / ١٣٦ •

لقد كان من نتيجة هجوم الخطا على بلاد الغوريين بتحريض من خوارزم شاه ، ان حلت مصيبة عظمى بالمسلمين بسبب ما اصابهم من بلاء على ايديهم . ولما شعر امراء الغوريين بالخطر الداهم الذى اتاهم من جانب الخطا الوثنيين ، اثارتهم حمية الدين ، فاتفق كل من محمد بن جريك صاحب الطالقان[1] ، والحسين بن خرميل صاحب قلعة كرزبان[2] ، وأميرا آخر اسمه حروش الغورى ، وساروا بجيوشهم لمحاربتهم ، وانضم الى قواتهم بعض المتطوعين رغبة في الجهاد ، فلما وصلوا الى الخطا قاتلوهم قتالا شديدا ، كما أتاهم المدد من السلطان غياث الدين الغوري ، وكانت نتيجة المعركة هزيمة ساحقة للخطا[3]

ولما شاع خبر الهزيمة التي اصابت الخطا على ايدى الغوريين المسلمين عظم ذلك على ملك الخطا ، فارسل الى خوارزم شاه علاء الدين تكش يحمّله تبعة ما اصاب جيشه ويطالبه بدفع دية القتلى ، ويقال انه طلب عن كل قتيل عشرة آلاف دينار[4] ، وقد كان هذا الأمر كبيرا على خوارزم شاه ، اذ لم يكن بامكانه الوقوف امام الخطا وحيدا ، خاصة وان جيوشه كانت موزعة في الممتلكات الواسعة التي استولى عليها ، وكان

---

(١) الطالقان : بلدة في خراسان بين مرو الروذ وبلخ (معجم البلدان : ٣ / ٤٩١) .

(٢) كرزبان (كرزوان) وهي بلدة في قرب الطالقان جبلها متصل بجبل الغور (معجم البلدان : ٤ / ٢٥٨) .

(٣) ابن الأثير ، الكامل : ١٢ / ١٣٦ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢٠٤ .

(٤) الكامل : ١٢ / ١٣٧ . الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ورقة ٢٠٢ .

امامه احد أمرين ، اما ان يذعن لملك الخطا الكافر ويعوضه عن خسارة جيشه ، واما ان يسعى الى ايجاد حليف مسلم قوي يقف الى جانبه في محنته ، ولم يكن ذلك الحليف القوي حينئذ في القسم الشرقي من العالم الاسلامي سوى السلطان غياث الدين الغوري ، فآثر خوارزم شاه التحالف معه وتناسي العداء السابق له ، فكتب اليه يعلمه حاله مع الخطا ويشكو اليه ويستعطفه غير مرة ، وحينذاك اشترط عليه غياث الدين طاعة الخليفة العباسي ، والكف عن اعماله العدائية ضده.(١)

وهكذا اضطر خوارزم شاه علاء الدين محمد الى تحسين علاقته بالخليفة العباسي الناصر لدين الله ، فانصرف الى معالجة مشاكله في الشرق مع دولة الخطا ، وامتنع عن دفع دية الخطائيين الذين قتلوا على ايدى الغوريين . ثم ارسل الى ملك الخطا ، يعلمه بمحالفته للسلطان غياث الدين الغوري ويقول له :

" ان عسكرك انما قصد انتزاع بلخ ولم يأتوا الى نصرتي ولا اجتمعت بهم ... وان كنت فعلت ذلك فأنا مقيم بالمال المطلوب مني ، ولكن حيث عجزتم انتم عن الغورية عدتم علي بهذا القول وهذا المطلب واما انا فقد اصلحت الغورية ودخلت في طاعتهم ولا طاعة لكم عندى".(٢)

ولما بلغ ذلك ملك الخطا سير جيوشه لغزو خوارزم ، فتمكن

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٣٧ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢٠٥ .
(٢) الكامل : ١٢ / ١٣٧ .

خوارزم شاه ان يصدّهم عنها ، وتعقبهم الى بخارى وانتزعها من ايديهم في سنة (٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م)[١]

((علاقة الخوارزميين بالغوريين في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد))

استيلاء الغوريين على ممتلكات الخوارزميين في خراسان :

عندما ارتقى خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش عرش الدولة الخوارزمية في سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) ، كان يعاصره من حكام الدولة الغورية الأخوان غياث الدين وشهاب الدين ، وقد ظنا انه ضعيف لا يتمكن الاحتفاظ بممتلكات الخوارزميين في خراسان ، لذلك تجددت اطماعهما فيها ، واستطاعا الاستيلاء على بعضها ، وقد ساعدهما على ذلك انشغال خوارزم شاه علاء الدين محمد بتوطيد حكمه في خوارزم ، خاصة وأن النزاع قد قام بينه وبين ابن اخيه هندوخان ابن ملكشاه الذى كان جده تكش قد ولاّه على نيسابور . وكان هندوخان هذا على تخوف من عمه علاء الدين محمد ، لعداوة بينه وبين ابيه ، فلما مات جده اخذ الكثير من خزائنه ولحق بمرو ، ثم حاول الاستيلاء على خراسان ، الاّ ان عمه علاء الدين محمد لم يمكنه من ذلك ، فقد بعث جيشا

---

(١) الكامل : ١٢ / ١٣٧ . وانظر العسجد المسبوك ، ورقة ١٠٢ . ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ : ٥ / ٢٠٥ .

جيشا لمحاربته ، اضطره الى الهرب والالتجاء الى السلطان غياث الدين الغوري الذى اكرمه ووعده النصرة[١].

وقد وجد غياث الدين الغوري بالتجاء هندوخان اليه ، ما يبرر عداءه لخوارزم شاه علاء الدين محمد لتحقيق اطماعه التوسعية في خراسان ، فأنجده ، ثم أرسل الى نائبه بالطالقان (محمد بن خرميل) يأمره بالتوجه الى مرو ، فسار ابن خرميل الى مرو الروذ واستولى عليها ، ثم بعث الى (جقر التركي) نائب خوارزم شاه في مرو يأمره باقامة الخطبة للسلطان غياث الدين الغوري او ان يغادرها ، وقد ابدى (جقر) رغبته في تسليم مرو الى الغوريين ، فارسل الى محمد ابن خرميل يسأله طلب الامان له من السلطان غياث الدين لينضم اليه[٢].

وقد اعتقد السلطان غياث الدين الغوري ان السبب في انضمام (جقر التركي) اليه هو ضعف سيده خوارزم شاه ، فقوى طمعه في خراسان ، وطلب من اخيه شهاب الدين قصدها ، فتوجه شهاب الدين اليها بعساكر غزنة وسجستان في سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٢٠ م) ، وبينما هو في الطريق وصل اليه كتاب (جقر التركي) يدعوه لتسليم مرو له ، فسار اليه لاخذها ، ولكنه فوجيء بمقاومة شديدة من اهلها والجند الخوارزميين ، وبالرغم من ذلك فقد تمكن من فتحها[٣]، وبعد مدة وصل

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٥٧ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢٠٧ .
(٢) الكامل : ١٢ / ١٥٨ . العبر : ٥ / ٢٠٧ .
(٣) الكامل : ١٢ / ١٦٤ . ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ٥١ . ابن خلدون : ٥ / ٢٠٨ .

السلطان غياث الدين الغوري الى مرو فاكرم (جقرا) وسيره الى هراة وسلم مرو الى هندوخان بن ملكشاه بن تكش[١].

وبعد أن انتزع الغوريون (مرو) من الخوارزميين ، سار السلطان غياث الدين الغوري الى مدينة (سرخس) واستولى عليها صلحا[٢]، ثم توجه الى (طوس) فامتنع بها نائب خوارزم شاه اول الأمر ، فضج الاهالي واضطروه الى التسليم ، فطلب الامان من السلطان غياث الدين فاجابه وخلع عليه وسيره الى هراة[٣].

ولم يبق بعد هذا من ممتلكات الخوارزميين في خراسان ، سوى نيسابور وكان بها (علي شاه) اخو خوارزم شاه علاء الدين محمد ، ينوب عن اخيه ، فراسله السلطان غياث الدين يأمره بمغادرتها ، فرفض علي شاه . وحينذاك سار السلطان غياث الدين واخوه شهاب الدين الى مرو فحاصراها واستوليا عليها ، وقد قبض على (علي شاه) وأحضر امام السلطان غياث الدين وعامله معاملة حسنة[٤].

وبعد أن استولى السلطان غياث الدين الغوري على سائر ممتلكات الخوارزميين في خراسان ، ولّى عليها ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن علي الغوري ولقبه بلقب (علاء الدين)[٥].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٦٥ . ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ٥١ .
(٢) الكامل : ١١ / ١٦٥ . الجامع المختصر : ٩ / ٥١ .
(٣) الكامل : ص ١٦٥ . الجامع المختصر : ص٥١ .
(٤) الكامل : ص ١٦٦ . الجامع المختصر : ص ٥١ .
(٥) الكامل : ص ١٦٦ . الجامع المختصر : ص٥٢ .

((استرداد الخوارزميين ممتلكاتهم الخراسانية من الغوريين))

بعد أن وطد خوارزم شاه علاء الدين محمد حكمه ، ورأى استيلاء الغوريين على ممتلكات الدولة الخوارزمية في خراسان شق عليه ذلك ، فسعى لاستعادة تلك الممتلكات الى نفوذه ، فكاتب السلطان غياث الدين الغوري يعاتبه ويقول له : " كنت اعتقد ان تخلف عليّ بعد أبي وأن تنصرني على الخطا ، وتردهم عن بلادى ، فحيث لم تفعل فلا أقل من ان لا تؤذيني وتأخذ بلادى ، والذى اريده ان تعيد ما اخذته مني اليّ والا استنصرت عليك بالخطا وغيرهم من الأتراك ان عجزت عن اخذ بلادى ، فانني انما شغلني عن منعكم عنها الاشتغال بعزاء والدى وتقرير أمر بلادى ، فما انا عاجز عنكم وعن اخذ بلادكم بخراسان وغيرها "(١)

ولما بلغ هذا الى السلطان غياث الدين الغوري وجد ان ظروفه غير مواتية لمحاربة خرارزم شاه تكش بسبب مرضه ، اضافة الى ان طائفة كبيرة من جيشه كانت مع اخيه شهاب الدين في الهند ، ومع ذلك فانه لم يظهر رغبته بالتنازل عن الممتلكات الخراسانية التي انتزعها من الخرارزميين ، وحاول ان يشغل خوارزم شاه بالمراسلات ليكسب

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٧٣ .

الوقت ، حتى يخرج اخوه شهاب الدين من الهند بجيوشه لنجدته [١]،
غير ان خوارزم شاه علاء الدين محمد لم يمهله ، بل ارسل الى نائب السلطان غياث الدين بخراسان يهدده ويأمره بالرحيل عن نيسابور ، بينما سار هو على رأس جيشه الى خراسان في نصف ذى الحجة من سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) وتمكن من الاستيلاء على نسا وابيورد [٢]، ثم تقدم الى مرو وحاصر نائب السلطان غياث الدين فيها نحو شهرين ، اضطر بعدها نائب غياث الدين الى التسليم [٣].

وبعد ان استعاد خوارزم شاه علاء الدين محمد معظم المدن الخراسانية ، رغب بمصالحة السلطان غياث الدين الغوري ، فطلب من ضياء الدين محمد بن ابي علي الغوري الذى كان نائبا لغياث الدين في خراسان التوسط في الأمر [٤]، وخلال ذلك واصل انتزاع الممتلكات الاخرى التي بقيت في يد الغوريين ، فسار الى سرخس واخرج منها الامير زنكي بن علي نائب السلطان غياث الدين [٥].

ولما سمع امير الطالقان (محمد بن جربك) باستيلاء خوارزم شاه على سرخس جهز جيشه فالتقى مع الخوارزميين في (مرو الروذ) وهزمهم هزيمة منكرة [٦]، اضطربت لها امور خوارزم شاه فرجع الى خوارزم ، ومن

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٧٤ • ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢٠٩ •
(٢) الكامل : ١٢ / ١٧٤ • ابن خلدون : ٥ / ٢١١ •
(٣) الكامل : ١٢ / ١٧٢ • ابن خلدون : ٥ / ٢١٠ •
(٤) الكامل : ١٢ / ١٧٤ •
(٥) ن • م • : ص ١٧٥ •
(٦) ن • م • : ص ١٧٥ •

هناك اعاد مراسلة السلطان غياث الدين الغوري من جديد يطلب اليه عقد الصلح .

وقد أبدى السلطان غياث الدين الغوري رغبته في عقد الصلح مع خوارزم شاه علاء الدين محمد ، فارسل اليه أميرا كبيرا من امرائه يدعى الحسين بن محمد المرغني[١] الا ان خوارزم شاه لم يبد نية صادقة في مصالحة السلطان غياث الدين ، بل قبض على رسوله ولم يسمح له بالعودة الى مرسله[٢]، كما انه لم يكف عن اعماله العدائية للدولة الغورية ، بل جهّز جيشه وسار به الى هراة في سنة (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) .

ولما علم الغوريون بقصد خوارزم شاه بلادهم من جديد ، استجمعوا قواهم لرده ، فحاول خوارزم شاه ان يشغلهم في اكثر من ميدان في آن واحد ، فقسم جيشه الى قسمين ، سار القسم الاول لمهاجمة اعمال الطالقان ، بينما سار هو في القسم الثاني الى هراة وحاصرها .

وقد استطاع الغوريون في الطالقان انزال هزيمة ساحقة بالخوارزميين[٣]، ولما بلغ خبر تلك الهزيمة الى خوارزم شاه وهو محاصر هراة ، ثبط عزمه ، وعزم على العودة ، عندما سمع بقرب السلطان غياث الدين من هراة ، وخروج اخيه شهاب الدين من الهند لنجدته ، لذلك خاف من لقاء الغوريين ، فارسل الى امير هراة يعرض عليه الصلح ، فصالحه على

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢ / ١٧٥ . ابن خلدون ، العبر ، ٥ / ٢١١ .
(٢) الكامل ، ١٢ / ١٧٥ .
(٣) ن . م . ، ص ١٧٦ .

مال حمل اليه ورجع الى مرو[١] فلما وصل شهاب الدين الغوري الى خراسان ، سار في اثره الى مرو ، فالتقى معه في حرب شديدة كلفت الجانبين خسائر كبيرة ، فاضطر خوارزم شاه الى التقهقر امام جيش شهاب الدين[٢] وواصل شهاب الدين تقدمه حتى وصل الى طوس فأقام بها حتى دخلت سنة (٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) .

وقد عزم شهاب الدين الغوري وهو في طوس ، على غزو خوارزم ، ولكن الظروف شاءت ان يتوفى اخوه السلطان غياث الدين في تلك الاثناء ، فشغل بالخلاف الذى وقع بينه وبين ابن اخيه ، حيث عاد الى غزنة ، ولم يحسن الوصاية على ابن اخيه ولا على غيره من اهله ، بل قبض على زوجة اخيه غياث الدين ونكل بها واخذ جميع اموالها واملاكها وسيّرها الى بلاد الهند على اقبح صورة[٣] .

وقد استغل خوارزم شاه علاء الدين محمد ، حالة الفوضى التي قامت في الدولة الغورية بعد وفاة السلطان غياث الدين الغوري ، من اجل اعادة سيطرته على المناطق التي انتزعها شهاب الدين منه ، فعندما عاد شهاب الدين من خراسان الى غزنة ، هاجم بعض الامراء الخوارزميين مدينة مرو فتصدّى لهم (محمد بن جربك) نائب شهاب الدين فيها ، وأوقع بهم خسارة كبيرة ، وانفذ أسراهم ورؤوسهم الى هراة[٤] .

---

(١) الكامل : ١٢ / ١٧٧ .
(٢) ن . م . : ص ١٧٧ .
(٣) ن . م . : ص ١٨١ . ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ١٠٠ .
(٤) الكامل : ١٢ / ١٨٠ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢١٢ .

ولما بلغ خبر هذه الهزيمة الى خوارزم شاه جهز جيشا وارسله الى مرو فتمكن من الاستيلاء عليها وقتل اميرها محمد بن جربك[1]

((غزو الغوريين خوارزم))

بعد ان ثبّت السلطان شهاب الدين الغوري حكمه ورأى استعادة الخوارزميين نفوذهم في خراسان ، عزم على غزو خوارزم ، فاختار لذلك وقتا مناسبا ، اذ سار اليها في رمضان سنة (٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م) حيث كان خوارزم شاه علاء الدين محمد في خراسان .

ولما سمع خوارزم شاه بذلك ارسل اليه يتهدده بالمسير الى هراة وغزنة[2]، غير ان هذا التهديد لم يثن شهاب الدين عن عزمه ، وحينذاك رأى خوارزم شاه ان من مصلحته العودة الى خوارزم لصد شهاب الدين عنها ، فسار اليها مسرعا ، ووصلها قبل شهاب الدين .

وعندما وصل شهاب الدين الى خوارزم جرت بين قواته وقوات الخوارزميين حرب شديدة ، كاد النصر فيها ان يتحقق للغوريين لولا استنجاد خوارزم شاه علاء الدين محمد بالخطا الذين سارعوا الى مهاجمة بلاد الغوريين[3].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٨١ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢١٣ .
(٢) الكامل : ١٢ / ١٨٦ .
(٣) ن . م . : ص ١٨٦ .

وقد ادرك السلطان شهاب الدين الغوري الخطر المحدق ببلاده من جانب الخطا ، فاضطر الى العودة الى بلاده ، وفي طريقه لقي الخطا في صحراء اندخوى فهزموه هزيمة قبيحة وفقد أكثر جيشه ، وكان ذلك في صفر سنة (٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م)(١).

وبعد هزيمة السلطان شهاب الدين انتشرت الشائعات بقتله في جميع بلاده فاختلفت مملكته واستغل بعض ماليكه حالة الفوضى ، وقامت الثورات في اطراف بلاده ، فقد جمع مملوكه تاج الدين الدز اصحابه وقصد غزنة ونهبها واكثر فيها الفساد(٢). كما ثار دانيال صاحب جبل الجودى (الواقع بين لاهور والمولتان) وارتد عن الاسلام بعد ان كان قد اسلم . وثار (بنو كوكر) وادخلوا صاحب جبل الجودى في طاعتهم وقطعوا الطريق بين لاهور وغزنة(٣). كذلك خرج على شهاب الدين الغوري (التيراهية) وهم الكفار الذين يسكنون المنطقة المحيطة بولاية (فرشابور)(٤)، وكانت فتنتهم عظيمة لانهم عذبوا المسلمين بانواع العذاب(٥).

وبعد ان عاد شهاب الدين من هزيمته امام الخطا كان عليه ان

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٨٦ – ١٨٧ .
(٢) ن . م . : ص ١٨٧ . ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ١٢٢–١٢٣ .
(٣) الكامل : ١٢ / ٢٠٨ – ٢٠٩ .
(٤) فرشابور (برشاور) مدينة وولاية واسعة من اعمال لهاوور بينهما وبين غزنة (ياقوت ، معجم البلدان : ٣ / ٨٧٤) .
(٥) الكامل : ١٢ / ٢١١ .

يقضي على تلك الفوضى التي اجتاحت بلاده ، فسيّر جيشا قبض على تاج الدين الدز فاراد قتله ، ولكن اكثر مماليكه شفعوا فيه فاطلقه بعد ان اعتذر (١)

كما ارسل شهاب الدين مملوكه قطب الدين ايبك قائده في الهند والمولتان يأمره ان يدعو بني كوكر الى الطاعة ويتهددهم بالحرب اذا لم يجنحوا للسلم ، وسار بنفسه من غزنة الى الكوكرية ، فوصلهم قبل قطب الدين ايبك ونشب بينهما القتال واقبل قائده قطب الدين في عسكره ، واحلوا الهزيمة ببني كوكر وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة (٢)

اما ابن دانيال فقد استجار بقطب الدين ايبك فأجاره وشفع فيه الى شهاب الدين فأجابه الى طلبه واستولى على قلعته وعاد الى لاهور (٣)

اما التيراهية فقد اسلم طائفة منهم في أواخر ايام شهاب الدين ، حيث سار زعيمهم مع جماعة من اهله الى شهاب الدين واسلموا على يديه ، ثم عادوا الى بلادهم وأمن الناس شرهم (٤).

وبعد ان تخلص السلطان شهاب الدين الغوري من تلك المصاعب التي جابهته ، اخذ يعد العدة لقتال الخطا ، فأمر جيوشه في الهند

---

(١) الجامع المختصر : ٩ / ١٢٣ .
(٢) الكامل : ١٢ / ٢١٠ .
(٣) ن . م . : ص ٢١١ .
(٤) ن . م . : ص ٢١٢ .

وخراسان بالتأهب لغزو بلادهم[1]، غير انه قتل في سنة (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) على ايدى بعض الكوكرية من الهنود اخذا بالثأر لما الحقه بهم من قتل وتشريد[2]، وقيل في رواية اخرى انه قتل على ايدى الاسماعيلية لانهم خافوا خروجه الى خراسان[3]، وبمقتله عادت امور الدولة الغورية الى الاضطراب من جديد ، وقام النزاع بين الطامعين في عرش السلطنة ، واستغل خوارزم شاه علاء الدين محمد حالة الفوضى لتوسيع نفوذه على حساب الغوريين .

((سقوط الدولة الغورية على ايدى الخوارزميين))

بعد مقتل السلطان شهاب الدين الغوري سنة (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م) ، اجتمع امراء الدولة الغورية عند وزيره مؤيد الملك ابن خواجاه وتحالفوا على حفظ الخزانة والملك ولزوم السكينة الى ان يتم الاتفاق على من يتولى الأمر[4]، غير ان تاج الدين الدز التركي مملوك السلطان شهاب الدين الغوري ادعى السلطنة لنفسه واظهر انه نائب غياث الدين محمود ابن السلطان غياث الدين الغوري ، فاستولى على الاموال والخزائن ،

---

(١) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ورقة ١١٢ .
(٢) الكامل : ١٢ / ٢١٢ .
(٣) ن . م . : ص ٢١٣ . العسجد المسبوك ، ورقة ١١٢ .
(٤) الجامع المختصر : ٩ / ١٧٢ .

وكاتب بهاء الدين سام صاحب باميان[1] يستدعيه الى غزنة ، فسار بهاء الدين ومعه ولداه علاء الدين محمود وجلال الدين علي ، ولكنه شعر في الطريق بصداع اخذ يتزايد وايقن بالموت ، فعهد الى ابنه علاء الدين محمود بالملك من بعده وامره ان يسير مع اخيه الى غزنة ، واوصاهما أن يرفقا بالرعية وان يصالحا غياث الدين محمود على ان تكون له خراسان وبلاد الغور ، وان يحتفظا بغزنة والهند[2]، ثم توفي بهاء الدين سام ووصل أبناه علاء الدين وجلال الدين الى غزنة ونزلا بدار السلطنة في مستهل شهر رمضان سنة (٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥م)[3].

ولكن عندما انتشر خبر وفاة بهاء الدين سام بايع الامراء غياث الدين محمود بن السلطان غياث الدين الغوري وجلس على عرش السلطنة ، واقيمت الخطبة له بسلطنة الغور (١٠ رمضان ٦٠٢ هـ)[4]

وقد امر غياث الدين محمود ، الأمير تاج الدين الدز باخراج ابني بهاء الدين سام من غزنة ، فلبي الدز طلبه فأخرجهما ، ولكن نيته تغيرت على السلطان غياث الدين محمود ، فعمل على استخلاص الملك لنفسه ، فعرض الوزارة على مؤيد الملك وزير السلطان شهاب الدين الغوري فاجابه على كره منه ، ثم طلب الدز من غياث الدين محمود ان يخاطبه

---

(١) وهو ابن اخت شهاب الدين . وقد مال الحلويون الى توليته وسار اليه بعض امراء الغور وحثوه على المسير الى غزنة ليجلس على عرش السلطنة .
(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢١٨ .
(٣) ن . م . : ص ٢١٨ .
(٤) ن . م . : ص ٢٢٣ .

بالملك ويعتقه من الرق ويزوج ابنه من ابنته[١]

وهكذا لم يكن حكم غياث الدين محمود خلوا من المشاكل ، حتى طمع فيه بعض امرائه ، ومثال ذلك ، ان نائبه بهراة ، الحسين بن خرميل استغل ضعفه فعصاه ، ثم ارسل الى خوارزم شاه علاء الدين محمد وطلب منه المساعدة ضد الغوريين وبعث اليه ابنه رهينة في ذلك لينجده . وقد ارسل اليه خوارزم شاه جيشا وساعده ، ولم يتمكن السلطان غياث الدين محمود من اعادته الى طاعته بعد ان اعلن انضمامه الى خوارزم شاه[٢]

وبعد ان دخل ابن خرميل صاحب هراة في طاعة الخوارزميين ، ارسل خوارزم شاه علاء الدين محمد جيشا مع اخيه (علي شاه) للاستيلاء على بلخ فقاومه اميرها عماد الدين عمر بن الحسين المرغني ، وحينذاك توجه اليها خوارزم شاه بنفسه فاستولى عليها في سنة (٦٠٣ هـ) بعد ان قبل عماد الدين الدخول في طاعته والخطبة له وذكر اسمه في السكة[٣] وبعد هذا سار خوارزم شاه الى كرزبان واستولى عليها ، ثم توجه الى ترمذ فملكها بمساعدة الخطا له ، وسلمها لهم ليكفوا عنه وليتفرغ الى امتلاك خراسان وغيرها من المناطق الاخرى ، وقد تمكن فعلا من الاستيلاء على الطالقان[٤]

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٢٢ .
(٢) ن . م . : ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .
(٣) ن . م . : ص ٢٣٠ .
(٤) ن . م . : ص ٢٤٥ .

وهكذا توالى سقوط ممتلكات الدولة الغورية الواحدة تلو الاخرى بيد الخوارزميين ، فمال خوارزم شاه بعد استيلائه على تلك المناطق الى مصالحة السلطان غياث الدين محمود الغوري ، فارسل اليه الاموال والاسلحة والدواب التي استولى عليها في الطالقان ، مع رسول من عنده وحمّله رسالة تتضمن التقرب اليه (١) ، ولما وجد غياث الدين محمود انه لا طاقة له بمقاومته ، اجابه الى الصلح فارسل اليه الهدايا ، وصار خوارزم شاه يخاطب غياث الدين محمود على قلة شأنه بـ (مولانا السلطان) (٢) . ومع ذلك لم تقف اطماع خوارزم شاه بممتلكات الغوريين ، بل سيّر جيشا مع ابن خرميل ، الى اسفزار في صفر سنة (٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م) واستولى عليها (٣) ، ثم ارسل الى صاحب سجستان (حرب بن محمد بن ابراهيم) يطلب اليه الدخول في طاعته واقامة الخطبة له . فاجابه الى طلبه (٤) .

وبعد ان استولى الخوارزميون على الممتلكات الغورية التي ذكرناها ، ضعف السلطان غياث الدين محمود ضعفا شديدا ، واضطربت امور دولته ، ولم يعد بامكانه اعادة سيطرته على غزنة ، بسبب تحكم بعض ممالـيك عمه السلطان شهاب الدين بأمور البلاد فقد انتهز المملوك التركي (تاج الدين الدز) حالة الفوضى فاستولى على غزنة وخطب لنفسه بعد الترحم

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٤٥ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٢٤٦ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ٢٤٦ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ٢٤٦ .

على شهاب الدين[١]، ولما راسله غياث الدين محمود باعادة الخطبة له ، شرط عليه الدز المطالبة بعتقه ، فاجابه غياث الدين الى طلبه بعد الامتناع الشديد والعزم على مصالحة خوارزم شاه[٢]، واشهد عليه ايضا بعتق قطب الدين ايبك مملوك شهاب الدين ونائبه ببلاد الهند ، وارسل الى كل منهما ألف قباء وألف قلنسوة ومناطق وسيوفا كثيرة وجترين ومائة رأس من الخيل[٣].

وقد حاول خوارزم شاه علاء الدين محمد ان يستغل مخالفة تاج الدين الدز لغياث الدين محمود ، ليعمل على تكوين حلف بينه وبين غياث الدين لمقاومة (الدز) ، ولهذا الغرض ارسل الى غياث الدين محمود يعرض عليه المصاهرة ، ليسير معه الى غزنة ، حتى اذا ملكاها من (الدز) اقتسموا المال أثلاثا : ثلث لخوارزم شاه ، وثلث لغياث الدين محمود ، وثلث للعسكر[٤].

وقد قبل غياث الدين محمود بما عرضه عليه خوارزم شاه لتكوين ذلك الحلف . فلمّا سمع الدز بهذا الحلف خشي على نفسه فسار الى تكياباذ وبست فملكهما ، وقطع خطبة غياث الدين فيهما ، كما ارسل

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٤٧ .
(٢) الخزرجي ، العسجد المسبوك : ورقة ١١٥ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ق ٢ : ٤ / ١٢٢٠ .
(٣) الكامل : ١٢ / ٢٤٨ . ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ق ٢ ٤ / ١٢٢٠ .
(٤) الكامل : ١٢ / ٢٤٨ .

الى كل من صاحب سجستان وصاحب هراة يأمرهما بالترحم على شهاب الدين وقطع خطبة خوارزم شاه ويتهددهما بقصد بلادهما[١] ثم انه اخرج جلال الدين صاحب باميان من غزنة (وكان الدز قد اسره مع اخيه علاء الدين) وسيّر معه خمسة آلاف فارس مع (اى دكر تتر) مملوك شهاب الدين ، الى باميان ليعيدوه الى ملكه وزوّجه ابنته .

ولما علم قطب الدين ايبك بخروج الدز على غياث الدين محمود ارسل اليه يتهدده ، وربما فعل هذا اعترافا منه بفضل غياث الدين محمود عليه حين اعتقه كما تقدم ، ولما علم (اى دكر تتر) ذلك قويت نفسه على مخالفة الدز ، فقصد غزنة واعاد خطبة غياث الدين محمود بعد ان قطع خطبة الدز ، وقد سرّ الناس بذلك[٢].

وبهذه الصورة لم يؤدّ الحلف الذى سبق ذكره بين خوارزم شاه وغياث الدين محمود الى اتخاذ اجراء مشترك بينهما ضد الدز ، فقد اعيدت الخطبة لغياث الدين في غزنة على النحو الذى تقدم ذكره ، وسادت فترة الصلح بينه وبين خوارزم شاه الذى صالحه على ما بيده من بلاد الغور وكرمسير[٣]، وانصرف خوارزم شاه الى معالجة مشاكله مع الخطا وخرج لقتالهم في سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) عندما استنجد به سلطان سمرقند المسلم وعرض عليه ذكر اسمه في الخطبة وعلى السكة[٤]، وبعد ان عبر

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢ / ٢٤٨ - ٢٤٩ .
(٢) ن . م . ، ص ٢٥٠ .
(٣) ن . م . ، ص ٢٦٠ .
(٤) ن . م . ، ص ٢٥٩ .

خوارزم شاه نهر جيحون دارت المعارك بين جيوشه وجيوش سلطان سمرقند وبين ملك الخطا ، وقد دارت الدائرة على جيش المسلمين وقتل الخطا كثيرا منهم واسروا خوارزم شاه علاء الدين محمد ، ولكنه نجا منهم بحيلة دبرها ابن شهاب الدين مسعود احد امرائه ، وعاد الى بلاده[١] وقد اضطربت امور خراسان خلال مدة أسره ، ففي هراة قام ابن خرميل بالقبض على من معه من عسكر خوارزم شاه وحبسهم بسبب تعدياتهم على الرعية والأموال[٢]

ولما علم أخوه علي شاه صاحب طبرستان وجرجان بفقد اخيه خوارزم شاه بايع لنفسه[٣]

وبعد عودة خوارزم شاه الى بلاده احتال في القبض على ابن خرميل صاحب هراة ، فأمر (جلدك بن طغرل) نائبه في الخام ان يسير الى هراة فلما قرب منها خرج الحسين بن خرميل مع كبار رجاله للقائه فأمر جلدك اصحابه فقبضوا عليه وقد أبى وزير ابن خرميل (واسمه خواجا الصاحب) تسليم المدينة الا الى غياث الدين محمود الغوري[٤] وحينذاك أمر جلدك بقتل ابن خرميل فقتل[٥] ثم طلب جلدك النجدة من خوارزم شاه فسيّر اليه كزلك خان نائبه بنيسابور ، وامين الدين

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ .
(٢) ن . م . : ص ٢٦٠ .
(٣) ن . م . : ص ٢٦٣ .
(٤) ن . م . : ص ٢٦٢ - ٢٦٥ . ابن الساعي ، الجامع المختصر : ٩ / ٢٤٠ .
(٥) الكامل : ١٢ / ٢٦٢ . الجامع المختصر : ٩ / ٢٤٠ .

ابي بكر نائبه بزوزن ، فساروا في عشرة آلاف فارس وحاصروا هراة ، ثم لحق خوارزم شاه بهم وشدد في حصارها ومنع وصول المؤن اليها حتى استولى عليها في سنة (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) وجيء اليه بالوزير خواجا الصاحب وقتله(١) وولى على هراة خاله امير ملك وعاد الى خوارزم .

اما اخوه علي شاه فلما بلغه مسير اخيه خوارزم شاه الى خراسان خافه والتجأ الى غياث الدين محمود الغوري صاحب فيروزكوه فتلقاه واكرمه وانزله عنده(٢) ، وقد استاء خوارزم شاه من التجاء اخيه علي شاه الى غياث الدين محمود ، فبعث الى خاله أمير ملك الذى انابه في حكم هراة يأمره بالمسير الى (فيروزكوه) قصبة بلاد الغور والاستيلاء عليها ، وامره ان يقبض على اخيه علي شاه وغياث الدين محمود الغوري فسار امير ملك الى فيروزكوه ولما وصلها سلم اليه غياث الدين محمود وعلي شاه فأرسل بهذا النبأ الى خوارزم شاه يستطلع رأيه في شأنهما ، فأمره بقتلهما وقتلا في يوم واحد وذلك في سنة (٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م)(٣) ، فاستقامت خراسان كلها لخوارزم شاه .

وقد واصل خوارزم شاه علاء الدين محمد سياسته التوسعية في ضم ما يمكنه الاستيلاء عليه من الاقاليم الاسلامية ، فاستولى في سنة

---

(١) الكامل : ١٢ / ٢٦٥ . الذهبي ، تاريخ الاسلام : ورقة ١٧٠ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ٢٢٤ .

(٢) الكامل : ١٢ / ٢٦٥ .

(٣) ن . م . : ص ٢٦٦ - ٢٦٧ . ابن الشحنة ، روضة المناظر ، بهامش ابن الأثير : ٩ / ٥٨ . الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مخطوط : ورقة ١٧٠ .

(٦١١ هـ/ ١٢١٤ م) على كرمان ومكران والسند وهرمز وخطب له بقلعات وبعض عمان[١]، وفي السنة التالية عظمت قوته باستيلائه على كافة اقاليم خراسان ، وملكه باميان ، وهابه الملوك والأمراء واصبح من القوة بحيث يسطيع الاستيلاء على غزنة ، فارسل الى صاحبها (تاج الدين الدز) يطلب اليه ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ليصالحه ويقرّه في غزنة[٢]. ولما بلغ هذا الى (تاج الدين الدز) اشار عليه كبار امرائه باجابة خوارزم شاه الى طلبه تلافيا لشره ووافقهم على رأيهم ، غير ان (قتلغ تكين) وكان نائبا للدز بغزنة ارسل الى خوارزم شاه يستدعيه ليسلّم اليه غزنة ، فاسرع خوارزم شاه اليها ودخلها واستولى على قلعتها وقتل كثيرا من الجند الغوريين فيها ، وقبض على (قتلغ تكين) فقتله ايضا واخذ امواله[٣]، واستناب عنه فيها ابنه جلال الدين منكبرتي.

ولما علم (تاج الدين الدز) بنبأ استيلاء خوارزم شاه على غزنة وكان غائبا عنها[٤]، هرب هو ومن معه من الجند الى لاهور ، وقد اضطربت امور دولته وتمرد عليه عسكره ، وقتلوا وزيره مؤيد الدين الشحري لكراهيتهم له[٥].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٣٠٩ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ٣٠٩
(٤) كان الدز يقيم بغزنة اربعة اشهر الصيف (الكامل : ١٢ / ٣١٠) .
(٥) الكامل : ١٢ / ٣٠٤ .

ثم تعقبت جيوش الخوارزميين ، تاج الدين الدز ، الذى سار الى بلاد الهند ليملك دهلة وغيرها مما كان بايدى المسلمين ، ولكن صاحب دهلة ، الامير (التمش) هزمه وقتله[1] وبذلك زالت الدولة الغورية على ايدى الخوارزميين الذين انهكوا قواها بما شنوه عليها من حروب .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٣١٤ .

الفصل الخامس

علاقة الخوارزميين بالايوبيين

أنشأ صلاح الدين الايوبي دولة متماسكة استطاعت ان ترهب الصليبيين ، ولكنه ما ان توفي في سنة (٥٨٩ هـ / ١١٩٢ م)[1] حتى تعرضت تلك الدولة للضعف والتفكك ، اذ تنازع ابناؤه واخوته حول تقسيم تركته ولم يستطع اخوه الملك العادل (٥٨٩ - ٦١٥ هـ) من السيطرة على كل ما تركه له اخوه فانقسمت الدولة الى سبعة اقسام رئيسية استقل بعضها استقلالا تاما عن مصر وخضع لها البعض الآخر خضوعا اسميا[2].

وقد عاصر الملك العادل من حكام الدولة الخوارزمية خوارزم شاه علاء الدين محمد الذى اصبحت الدولة الخوارزمية على عهده تسيطر على بلاد ما وراء النهر وايران والعراق العجمي ، ويبدو أن الملك العادل الايوبي ادرك قوة خوارزم شاه علاء الدين محمد فرغب باقامة علاقة ود وصداقة معه ، كما ان خوارزم شاه نفسه كان يرغب في مصادقة الملك العادل وكسبه كحليف له بعد فشله في غزو بغداد سنة (٦١٤ هـ / ١١٢٧ م) .

ويمكن القول ان بداية العلاقات السياسية بين الدولتين الخوارزمية والايوبية بدأت في سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٨ م) قبل وفاة العادل ، ففي هذه السنة وصل رسول خوارزم شاه علاء الدين محمد الى الملك العادل

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٩٥ .
(٢) حافظ احمد حمدى ، الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي (دار الفكر العربي ، القاهره ، ١٩٥٠) : ص ١٣٠ .

وهو بمرج الصفّر[١]، ولم تذكر المصادر عن الغاية التي قدم بها هذا الرسول ومن الراجح ان تكون غايته اقامة علاقة ودية بين الجانبين ، لان الملك العادل بعث بالجواب الى خوارزم شاه ، فأوفد اليه جمال الدين محمد الدولعي الشافعي خطيب جامع دمشق ، ونجم الدين خليل بن علي الحنفي قاضي العسكر[٢]، وكان خوارزم شاه انذاك في همذان ، وعندما وصل الرسولان اليها لم يلتقيا به بسبب مغادرته المدينة الى بخارى لمجابهة الخطا والمغول ، ومع هذا فانهما اجتمعا بولده جلال الدين الذى ابلغهما بوفاة الملك العادل فرجعا الى دمشق دون ان تتحقق مهمة لقائهما بخوارزم شاه علاء الدين محمد[٣].

وهكذا شاءت الظروف أن يموت الملك العادل في سنة(٦١٥ هـ/ ١٢١٨م) فشغل خوارزم شاه بمشاكله وفي مقدمتها الغزو المغولي ، وكان لذلك اثره في عدم تطور العلاقات بين الخوارزميين والايوبيين في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد .

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٠٩ - ١١٠ .
مرج الصفّر : بالضم وتشديد الفاء اسم مكان بدمشق . (ياقوت ، معجم البلدان : ٤ / ٤٨٨ . مراصد الاطلاع : ٣ / ٧٥) .

(٢) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) ن . م . : ص ١١٠ .

((علاقة السلطان جلال الدين منكبرتي بالمعظم عيسى الايوبي))

بعد وفاة الملك العادل سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٨ م) وقع خلاف كبير بين ابنائه الثلاثة وهم الكامل محمد صاحب مصر ، والمعظم عيسى صاحب دمشق ، وبيت المقدس وطبرية ، والاشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة وخلاط وميافارقين ، وقد ازداد هذا الخلاف عندما اتفق الملك الكامل والملك الأشرف على اخيهما المعظم عيسى[1]

ولما علم المعظم بذلك اخذ يسعى الى الحصول على حليف يقف الى جانبه ضد أخويه ، وواتته الفرصة عندما ظهر السلطان جلال الدين منكبرتي على المسرح السياسي بالقرب من المنطقة التي نتحدث عنها ، فشرع في التقرّب منه وارسل اليه في سنة (٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م) الصدر البكري محتسب دمشق ومعه جماعة من الصوفية ، ولكي لا يثير المعظم شكوك اخويه بتقربه الى السلطان جلال الدين منكبرتي تظاهر ان مهمة الرسل غير ذلك[2]، بينما كان مقصوده الاتفاق ضد اخويه ، وقد اجتمع الصدر البكري بجلال الدين وقرّر معه الأمور وجعله سندا له[3]

(١) عبد القادر احمد طليمات ، مظفر الدين كوكبرى أمير اربل (منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة) ؛ ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٢) لقد صادف في تلك السنة (٦١٩ هـ) ظهور جراد كثير بالشام لم يعهد مثله ، فاظهر المعظم ان ببلاد العجم طيرا يقال له السمرمر يأكل الجراد ، فعزعم انه امر رسله بجلب هذا الطير . انظر (ابو شامة ، ذيل الروضتين ؛ ص ١٣١) .

(٣) ابو شامة ، ذيل الروضتين ؛ ص ١٣١ .

ولما عاد البكري من مهمتـه كافأه المعظـم على ذلك وولاه مشيخـــة الشيوخ اضافـة الى الحسبة . وبعد مدة شاع الحديث وظهر للناس ما فعلـه المعظـم بتحالفه مع السلطان جلال الدين ،وعلم الكامل والأشرف بذلـــك التحالف ،وحينذاك قيل للمعظـم " لو كنت بعثت رسالة مع بعض التجـــار الذين يسافرون الى خراسان كان اولـى "[١] وبالرغم من ذلك سعى المعظـم الى توثيق علاقته مع جلال الدين ، فعندما استولى السلطان جلال الديـــن على اذربيجـان في سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) [٢]، بعث المعظم اليه رجلا صوفيـــا من خانقاه السميساطـي يقال له الملـق ، في رسالة يعرض عليه فيها اتفـاق المعظـم ومظفر الدين بن زين الدين صاحب اربـل معه على الملـــــك الأشرف "[٣] فاجابـه جلال الدين الى طلبـه ، ولكي يضمن المعظم استمـرار تحالفـه مع جلال الدين عمد الى مصاهرتـه ، فزوّجـه ابنته الكبرى المسمـــاة (دار مرشـــد)[٤].

ومن ناحية اخرى فقد كان السلطان جلال الدين راغبا في اقامة علاقـة وديـة بينه وبيـن الأمراء الايوبييـن ، فأنفذ من جانبه في سنـــة (٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) رسولـه مجد الدين قاضي الممالـك الحنفي الى الأمراء الايوبييـن الثلاثـة (الكامـل ، المعظـم ، الاشـرف) وعند وصوله الى الملك الأشرف

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتيـن : ص ١٣٢ .
(٢) ابن الاثير ، الكامـل : ١٢ / ٤٣٢ .
(٣) ذيل الروضتيـــن : ص ١٤٢ .
(٤) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمـان : ق ٢ ، ٨ / ٦٦٩ . اليونيـــــني ، ذيل مرآة الزمـــان : ١ / ١٤٠ .

والملك المعظم احسنا في عطائه وحرمته غاية الاحسان (١)

ومن المحتمل ان تكون مهمة رسول السلطان جلال الدين تهدف الى احلال التفاهم والوئام بين الاشقاء الايوبيين الثلاثة ، غير ان المعظم رغب في ابقاء تحالفه مع السلطان جلال الدين ، وكان جلال الدين هو الآخر يرغب في استمالة المعظم اليه وتكوين حلف معه ضد الخليفة الناصر لدين الله ، فعندما تجهز السلطان جلال الدين منكبرتي لغزو بغداد في سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) ، كتب الى المعظم عيسى يقول له : " تحضر انت ومن عاهدني واتفق معي حتى نقصد الخليفة فانه كان السبب في هلاك ابي ومجيء الكفار الى البلاد "(٢) ولكن المعظم امتنع عن اجابة طلبه في معاداة الخليفة فكتب اليه يقول : " أنا معك على كل أحد الا الخليفة فانه امام المسلمين "(٣)

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات ودية بين الجانبين ، بالرغم من محاولة الخلافة العباسية افسادها ، فعندما توفي الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) ، وخلفه ابنه الظاهر بامر الله ، سعى هذا الخليفة الى ارجاع المعظم عن موالاة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ومصالحة اخويه الكامل محمد والأشرف موسى ، ولهذا الغرض بعث الخليفة الظاهر رسوله محيي الدين يوسف بن الجوزي الى المعظم

---

(١) الحموي ، التاريخ المنصوري : ص ٣١١ .
(٢) ابو شامة : ذيل الروضتين : ص ١٤٤ .
(٣) ن . م . : ص ١٤٤ .

عيسى حاملا الخلع له ولاخويه ، كما حمّله رسالة الى المعظم جاء فيها :
" المصلحة رجوعك عن هذا الخارجي (يقصد جلال الدين) وتصلح بينك وبين اخوتك "(١)، ولكن المعظم لم يكن ليثق بقول الخليفة وخشي أن هو رجع عن جلال الدين ان يقصده اخوته ، وحينذاك لا ينجده الخليفة ، وقد اظهر المعظم عدم اطمئنانه الى الخليفة فأبلغ رسوله ليقول له :
" ما لكم عادة تنجدون احدا ، هذه كتب الخليفة الناصر عندنا ونحن على دمياط ونحن نستصرخ به ونقول : انجدنا ، فيجيء الجواب بان قد كتبنا الى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا "(٢).

وآثر المعظم استمرار تحالفه مع السلطان جلال الدين ليكون له عونا على اخويه ، ورغب جلال الدين في ادامة هذا التحالف ، فارسل الى المعظم في سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) رسولا كبيرا ، وعندما وصل الى المعظم خلع عليه واعطاه سنجقا وخزينتين وسيفا ، وصار المعظم يركب بسنجق الخليفة وسنجق خرازم شاه بمحضر من رسل الخليفة(٣).

وقد بلغ من اعتزاز المعظم بصادقة جلال الدين انه صار يفتخر عندما يلبس خلعته ويركب فرسه وبلغ به الحال انه اصبح يحلف برأسه(٤).

كما كان السلطان جلال الدين يرعى منزلة المعظم عنده ويجيبه الى

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٤٧ .
(٢) ن . م . : ص ١٤٧ . الذهبي ، تاريخ الاسلام : ورقة ٣٢٢ .
(٣) الحموى ، التاريخ المنصورى : ص ٣١٤ - ٣١٥ .
(٤) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٤٨ .

طلباته ، فعندما قدم الاشرف الى دمشق في سنة (٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م) ، وأطاع المعظم طلبا للصلح وقطعا للفتن رجاه ان يسأل الخوارزمي في الرحيل عن خلاط ، فبعث المعظم الى جلال الدين يطلب اليه ذلك فرحل عنها بعد حصار دام اربعين يوما[(١)]

وتأكيدا لاستمرار التحالف بين المعظم وجلال الدين نجد ان المعظم أوفد اليه بالنجم خليل الحموى قاضي العسكر[(٢)] ومملوكه المعروف بالركين وبقيا عنده مدة تسعة شهور ، وعادا في سنة (٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)[(٣)]

لقد أثار المعظم بتحالفه مع السلطان الخوارزمي مخاوف أخيه الكامل محمد صاحب مصر " كما ان الاشرف رجع عن جميع ما تقرر بينه وبين اخيه المعظم وتأول في ايمانه التي حلفها انه مكره "[(٤)]

وقد التجأ الكامل الى مصالحة الصليبيين ، فارسل الى ملك الفرنج احد امرائه وهو الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه ووعد ملك الفرنج باعطائه عكا وبعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل ، وعندما تجهز ملك الفرنج لقصد الساحل وبلغ ذلك الى المعظم ، هاله الأمر ، فكتب الى السلطان جلال الدين منكبرتي يسأله النجدة على اخيه الكامل ووعده ان يخطب له ويضرب السكة باسمه ،

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٤٨ .
(٢) اسمه الكامل : نجم الدين خليل بن علي الحنفي . انظر (ذيل الروضتين: ص ١١٠ .
(٣) الحموى ، التاريخ المنصوري : ص ٣٢٢ .
(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام : ٢ / ٩١ . (المطبعة الحديثة ، دمشق ، ١٩٢٥م) .

فسيّر اليه جلال الدين خلعة لبسها وشق بها دمشق ، وقطع الخطبة للكامل[١] " وكاتب اخاه الاشرف واستعطفه "[٢]

ولما بلغ الكامل خبر ما فعله اخوه المعظم ، عزم على السير اليه ، فخرج من القاهرة بعساكره في رمضان سنة (٦٢٤ هـ/١٢٢٧م) ، فنزل بلبيس[٣] وسار منها الى العبّاسة[٤] ولما احسّ المعظم بذلك سعى لايقاف زحف اخيه الكامل فاستمال عددا من امرائه الذين ساءهم مصالحة الكامل للصليبيين فانضموا الى المعظم ، وبعد هذا بعث الى الملك الكامل يقول له :

" اني نذرت للّه تعالى ان كل مرحلة ترحلها لقصدى أتصدق بالف دينار ، فان جميع عسكرك معي وكتبهم عندى واني آخذك بعسكرك "[٥]

وقد اضطربت امور الكامل بسبب تفرّق امرائه عنه ، فاضطر الى العودة من العباسة الى قلعة الجبل وقبض على عدد من أمراء ومماليك ابيه العادل بسبب مكاتبتهم المعظم وكان من بينهم أمير جانداره[٦] ، وعشرة امراء من البحرية العادلية واعتقلهم واخذ سائر ما معهم[٧]

---

(١) المقريزى ، السلوك : ق ١ ، ١ / ٢٢١ - ٢٢٢ .
(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام : ٢ / ٩١ .
(٣) بلبيس : مدينة في مصر بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام (معجم البلدان : ١ / ٧١٢) .
(٤) العباسة : بليدة (على حدود مصر) اول ما يلقى القاصد لمصر من الشام الى الديار المصرية (معجم البلدان : ٣ / ٦٠٠) .
(٥) المقريزى ، السلوك : ق ١ ، ١ / ٢٢٢ .
(٦) امير جاندار ، أمير الشرطة .
(٧) المقريزى ، السلوك : ق ١ ، ١ / ٢٢٣ .

((علاقة السلطان جلال الدين منكبرتي بالملك الاشرف الايوبي))

لم يقف المعظم عيسى عند تحالفه مع السلطان جلال الدين منكبرتي ضد اخويه ، بل بعث الى مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل يعرّفه بالمحالفة التي عقدها مع السلطان جلال الدين منكبرتي ، واعلمه الهدف من هذا التحالف وهو قصد املاك الملك الاشرف[1].

وافق مظفر الدين بن زين الدين على التحالف معهما بعد ان بعث اليه المعظم ولده الناصر داود رهينة[2].

وقد قوى هذا الحلف خاصة عند انضمام صاحب آمد وناصر الدين ارتق صاحب ماردين اليه ، واتفقوا جميعا على ان يقصد مظفر الدين الموصل ويضرب الحصار عليها ، ويقصد جلال الدين مدينة خلاط وهي للملك الاشرف ، ويقصد المعظم عيسى حمص وحماة ليشغلوا اصحاب هذه البلاد فلا يستطيع احدهم ان يساعد الآخر ، فقد كان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والاشرف موسى صاحب الجزيرة وخلاط واصحاب حمص وحماة يدا واحدة يجمعهم حلف ضد المعظم عيسى ومظفر الدين ، ولكن حدث ما فصم عرى حلف مظفر الدين وجلال الدين والمعظم عيسى ذلك ان نائب جلال الدين على كرمان عصى عليه ليستقل بالاقليم دونه ،

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٥٣ ·

(٢) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٤٤ ·

فسار جلال الدين اليه من تفليس ليرده الى الطاعة فضعف بمسيره امر الحلفاء ، ومع ذلك فقد سار مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل بجيشه الى الموصل وحاصرها ، كذلك خرج المعظم الى حمص وحماة وحاصرهما ، الا ان الملك الاشرف لم يقف مكتوف اليدين فسار بجيشه الى الموصل لينجد بدر الدين لؤلؤ[1] ، ومرّ في طريقه على حرّان وماردين وحلب وهي من ممتلكات المعظم عيسى ، وعندئذ خاف المعظم ان يستولي الاشرف عليها فارسل اليه يقترح ان يترك ماردين على ان يرحل هو عن حمص وحماة ، وان يرسل الى مظفر الدين بن زين الدين ، ويطلب اليه الرحيل عن الموصل ، وقد قبل الاشرف ما عرضه المعظم عليه ، فرحل عن ماردين ، كما رحل مظفر الدين عن الموصل وعاد الى اربل بعد ان خربت اعمال الموصل واعمال ماردين بسبب ما وقع فيهما من قتال[2].

وبعد عودة السلطان جلال الدين منكبرتي من كرمان توجه الى خلاط في سنة (٦٢٣ هـ/ ١٢٢٦ م) ، يريد انتزاعها من يد الملك الاشرف موسى ، مستغلا بذلك تحريض كل من المعظم عيسى[3] والسلطان علاء الدين كيقباذ

---

(١) والجدير ذكره ان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل كتب الى الخليفة يحرضه على مظفر الدين بن زين الدين بقوله : " ولا ينس له انه سعى في اعادة دولة الاعاجم حتى باح باعلانه وسمح لها وهو البخيل بما ادخرته ختوم خزانه وانهض اليها عظيم خوارزم من خوارزمه وخراسان من خراسانه " . أنظر ضياء الدين بن الاثير ، رسائل ابن الاثير ، تحقيق انيس المقدسي (بيروت ١٩٥٩ م) ص ٧١ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٢/ ٤٥٤ .... (٣) ذيل الروضتين : ص ١٤٧-١٤٨ .

سلطان سلاجقة آسيا الصغرى [١] ، وقد ادرك بعض ذوى الرأى من مؤيدى الايوبيين ، خطورة نزول السلطان جلال الدين على مدينة خلاط فخشوا من اطماعه التوسعية في ممتلكات الايوبيين . وليس ادل على ذلك مما ورد في احدى رسائل ضياء الدين بن الاثير التي وجهها الى الملك الاشرف تتضمن الانذار والتحذير ، والتي جاء فيها :

" ... وهذا وقت ليس ليومه غد ينتظر ولا لغيره ذخيرة تدّخر ، وهو الذى يبقى ذكره على وجه الدهر فاما ان يكون مستطرا بالمدح او بالذم يستطر ، وما ينبغي ان يظن بهذا العدو انه نازل خلاط وحدها ، وواقف عندها ، وانما هو سيل ان لم يكف والاّ جاشت بالشام غواربه ، وفاضت على جوانب مصر جوانبه ، وتتابعت بعد ذلك امور كلها محمّرة عواقبه وعلى كل حال فان استقبال هذا الامر من اوله خير من استدباره في آخره ، ومن الامثال السايرة ان البعير يكوى من صغير الداء فكيف من كبيره " [٢]

وعلى اية حال فقد حاصر السلطان جلال الدين مدينة خلاط اربعين يوما قاومه اهلها مقاومة شديدة وتساقطت الثلوج بغزارة ، فاضطر الى رفع الحصار والعودة الى اذربيجان بعد ان بلغه تهديد القبائل التركمانية لممتلكاته هناك .

---

(١) ذكر النسوى ان كتابا ورد من السلطان علاء الدين كيقباذ الى السلطان جلال الدين يغريه بمعاداة بني ايوب ويعده المساعدة عليهم (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٢٧٨) .

(٢) رسائل ابن الاثير : ص ٢٩ .

ومن الجدير بالذكر ان المعظم عيسى توسط لدى السلطان جلال الدين برفع الحصار عن خلاط ، بعد ان التجأ اليه الملك الاشرف ودخل في طاعته . ويبدو ان السلطان جلال الدين ، وجد في طلب المعظم اليه ذلك ما يبرر انسحابه عن خلاط ، لكي لا يقال انها عصت عليه .

وبعد عودة السلطان جلال الدين الى اذربيجان شغل بقتال التركمان ، فأنتهز الحاجب حسام الدين علي نائب الاشرف بخلاط ذلك ، وقصد اذربيجان . وقد صادف ذلك ان زوجة السلطان جلال الدين وهي ابنة السلطان طغرل السلجوقي كانت تحقد على زوجها جلال الدين لاهماله لها[1]، هي التي بعثت الى الحاجب حسام الدين علي تستدعيه ووعدته ان تسلّم اليه ما تملكه من القلاع والبقاع[2]، كما ارسل اليه اهل اذربيجان ايضا يستدعونه ليخلصهم من سيطرة الخوارزميين[3].

لهذا كله قصد الحاجب حسام الدين علي اذربيجان في سنة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م) ، واستولى على بعض مدنها كخوي[4]، ومرند[5]،

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٧١ .
(٢) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٥٩ .
(٣) الخزرجي ، العسجد المسبوك : ٢ / ورقة ١٤٢ .
(٤) خوي : بلدة من اعمال اذربيجان (ياقوت ، معجم البلدان : ٢ / ٥٠٢) .
(٥) مرند : مدينة من مدن اذربيجان بينها وبين تبريز يومان (معجم البلدان : ٤ / ٥٠٣) .

ونقجوان[1]، وقوى نفوذه بتلك النواحي ، حتى صار بامكانه ان يستولي على سائر اذربيجان ، الا انه عاد الى خلاط بعد ان استولى على خزائن السلطان جلال الدين[2] واستصحب معه في عودته زوجته بنت السلطان طغرل السلجوقي[3].

ولما بلغ السلطان جلال الدين تعدّيات الحاجب حسام الدين على ممتلكاته ، قصد خلاطا في سنة (٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ م) ، ولكنه اخفق هذه المرة ايضا في الاستيلاء عليها ، فانتشر جنوده ينهبون ويسبون حتى جازوا خلاطا الى صحراء موش وجبل جور . وتعرضت تلك المناطق نتيجة لذلك الى الدمار والخراب ، لان السلطان جلال الدين" نهب الجميع وسبى الحريم واسترقّ الاولاد وقتل الرجال وخرّب القرى"[4].

ولما وصل خبر ذلك الى البلاد الجزرية كحران وسروج ،وان السلطان جلال الدين قد قرب منهم خافوه ، وهرب بعض اهل سروج الى منبج[5] من ارض الشام فأتاهم الخبر انه عاد بعد ان نهب البلاد[6].

والمهم ان السلطان جلال الدين لم يتمكن من الاستيلاء على خلاط لتساقط الثلوج بكثرة ، فاضطر الى العودة خائبا[7].

---

(١) نقجوان (نخجوان) : بلد باقصى اذربيجان (معجم البلدان ، ٤/ ٧٦٧) .
(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢/ ٤٧١ .
(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٣٧ .
(٤) الكامل ، ١٢/ ٤٨١ .
(٥) منبج : مدينة كبيرة بين حلب والفرات وهي تبعد عن حلب عشرة فراسخ وعن الفرات ثلاثة فراسخ (معجم البلدان ، ٤/ ٦٥٤ ـ ٦٥٥) .
(٦) الكامل ، ١٢/ ٤٨١
(٧) ن . م ، ص ٤٨١ .

وهنا اعتقد الملك الاشرف الايوبي ان السبب في معاودة السلطان جلال الدين هجومه على خلاط ، يرجع الى ما فعله الحاجب حسام الدين علي بتعديه على ممتلكات الخوارزميين في اذربيجان سنة (٦٢٤ هـ) ، كما خشي الاشرف عودة السلطان جلال الدين الى محاصرة خلاط مرة ثالثة ، فاراد ان يطيّب خاطره ، واظهر له عدم رضاه عن تصرفات نائبه الحاجب حسام الدين علي ، كما ارسل مملوكه عز الدين ايبك في سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) الى مدينة خلاط وأمره بالقبض على الحاجب حسام الدين وقتله ، ففعل عز الدين ذلك[1]، وقد اتبع عز الدين ايبك عمله هذه بارسال رسول من عنده الى السلطان جلال الدين منكبرتي ، برسالة تتضمن الخضوع والطاعة ، واظهر له ان الملك الاشرف ما امره بقتل الحاجب حسام الدين علي الآ لاساءته الادب مع السلطان والتخطي الى بلاده من غير امر صدر له[2].

غير ان السلطان جلال الدين لم يقنع بذلك ، بل جهز جيشه وسار الى خلاط في سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) فحاصرها حصارا شديدا ، وتحصن بها جيش الملك الاشرف والاهالي ، وراسلوا الملك الكامل صاحب مصر يسألونه النجدة ، الا ان هذا لم ينجدهم[3].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٨١ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٩٩ .
(٣) المقريزى ، السلوك : ق ١ ، ١ / ٢٣٦ .

وقد اظهر السلطان جلال الدين عزما قويا في محاصرة خلاط ، وظل مقيما عليها طيلة الشتاء ، وفرّق كثيرا من جنوده في القرى والمناطق القريبة ليحتموا بها من شدة البرد وكثرة الثلج .

اما اهل خلاط ، فقد صبروا صبرا عظيما لم يلحقهم فيه احد وتعرضوا الى اشد الاذى لقلة الاقوات بسبب الحصار ، حتى انهم اكلوا الخيل والحمير والبغال والكلاب والسنانير والفئران[١].

ومما يجدر ذكره ان الخليفة العباسي المستنصربالله اشفق على حالة اهل خلاط ، التي يرثى لها فارسل الى السلطان جلال الدين يشفع لاهلها ، ولكنه لم يقبل منه ورد طلبه[٢].

وظل السلطان جلال الدين مشددا حصاره على خلاط ، حتى فتح له بعض امرائها البلد ، ايثارا للموت على شدة القحط[٣] وسلموها له في الثامن والعشرين من شهر جمادى الاولى من سنة (٦٢٧ هـ/ ١٢٣٠ م)[٤].

فلما دخلها وضع السيف في اهلها ، واباح لجنوده تخريبها " واكثروا القتل فيها وسبوا الحريم واسترقوا الاولاد وباعوا الجميع ، فتمزقوا كل ممزق ، وتفرقوا في البلاد ، ونهبوا الاموال وجرى على اهلها ما لم يسمع بمثله احد "[٥].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٨٨ .
(٢) السبكي ، طبقات الشافعية : ١ / ٣٤١ .
(٣) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ورقة ٣٤٢ .
(٤) الكامل : ١٢ / ٤٨٨ .
(٥) ن . م . : ص ٤٨٨ .

وبعد استيلاء جلال الدين على خلاط ، وقع اسيرا بيده فخر الدين عباس بن العادل ، فأنفذه الى بغداد وانعم المستنصر بالله في حقه وابقاه عنده الى رمضان سنة (٦٢٧ هـ) ، حيث وصل كمال الدين ابو الكرم محمد بن علي بن مهاجر الموصلي رسولا من الملك الاشرف وسلمه اليه[١].

وهكذا اصيبت خلاط بأعظم كارثة على ايدى الخوارزميين الذين دأبوا على تدميرهم البلاد التي يجتاحونها او يسلكونها حتى ولو كانت اسلامية ، وقد وصفهم ابن تغري بردي بقوله " وكانوا شرا من التتار لا يعفون عن قتل ولا عن سبي ولا في قلوبهم رحمة "[٢].

افزعت همجية الخوارزميين حكام المسلمين في البلدان المجاورة فتناسوا ما بينهم من خصومات للقضاء على ذلك الخطر ، فقد تحالف الايوبيون مع السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو سلطان سلاجقة الروم ، ضد السلطان جلال الدين منكبرتي ، وكان ان تم اجتماع قوات الايوبيين تحت زعامة الملك الأشرف بقوات السلاجقة تحت قيادة كيقباذ في (سيواس) وسارا نحو خلاط ، فلما سمع جلال الدين بذلك سار اليهما ودارت المعركة بين الفريقين قرب (ارزنجان)[٣] في الثامن

---

(١) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب : ٥ / ٢٦٤ . (اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه محمد عبد القدوس القاسمي ١٩٤٠) .

(٢) جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٦ / ٣٢١ . (منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣) .

(٣) ارزنجان : بلدة في ارمينية بين بلاد الروم وخلاط (معجم البلدان ١ / ٢٠٥) .

والعشرين من رمضان سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م) (١)، وحلت الهزيمة الساحقة بالخوارزميين وفرّ سلطانهم جلال الدين الى اذربيجان بعد ان خسر معظم عسكره ، وامتلأت الجبال والاودية بهم وشبعت الوحوش والطيور من رممهم (٢)، وانبثت البشائر في البلاد بهزيمتهم (٣). واسترد الاشرف خلاطا وهي يباب ثم ان الاشرف مال بعد هذا الى مصالحة السلطان جلال الدين ، على ان يقنع كل منهما بالسيطرة على البلاد التي في حوزته (٤)، وقد بعث الملك الاشرف برسالة الى شرف الملك وزير السلطان جلال الدين يطلب اليه التوسط في اقرار الصلح بينه وبين جلال الدين ، وقد جاء في هذه الرسالة :

" ان سلطانك سلطان الاسلام والمسلمين وسدهم والحجاب دونهم ودون التتار وسدّهم ، وغير خاف علينا ما تم على حوزة الاسلام وبيضة الدين بموت والده ، ونحن نعلم ان ضعفه ضعف الاسلام وضرره عائد الى كافة الانام ، وانت قد حلبت الدهر أشطره وعرفت نعمه من ضرره وذقت حلوه ومرّه ، فهلاّ ترغّبه في جمع الكلمة ما هو اهدى سبيلا وأقوم قيلا ؟ ولم لا تدعوه الى الالفة التي هي أحمد في

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٨٩ .

(٢) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان : ق ٢ ، ٨ / ٦٦١ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٢٧٣ .

(٣) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٥٩ .

(٤) الكامل : ١٢ / ٤٩١ .

البدو والعقبى واقرب ما يقربه الى الله زلفى ؟ ، وها أنا ضامن السلطان من جهة علاء الدين كيقباذ واخي الملك الكامل ما يرضيه من الانجاد والاسعاد واصفاء النيّات على حالتي القرب والبعاد بما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة الفرقة "(١)

واخذت الرسل تتردد بين الطرفين حتى تم الصلح ، فاطلق السلطان جلال الدين من عنده من الاسرى الذين أسرهم في خلاط ، وكان من بينهم مجير الدين وتقي الدين ابني الملك العادل (٢).

وبعد ان وقع الصلح بين الجانبين عاد السلطان جلال الدين الى خلاط ، واراد توثيق اواصر الصداقة والاتحاد أمام الاخطار القادمة والحوادث المدلهمة فطلب يد كريمة الملك الاشرف وعقد قرانه عليها (٣).

ولكنه لم يكد يحط الرحال في خلاط حتى وردت الانباء ان جيش المغول قد وصل أرّان ، وانه قادم من جانب تبريز . الامر الذى اقض مضاجعه وجعله يقلق كثيرا ، فغيّر سياسته تغييرا كاملا ازاء الحكام المسلمين ، فعمد الى طلب المساعدة منهم للوقوف امام الغزو المغولي ، الا انهم لم يستجيبوا الى طلبه ، بل تركوه وحيدا امام عدو جبار ، حتى لقي مصرعه على يد احد الاكراد في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) (٤).

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣٣٤ .
(٢) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان : ق ٢ ، ٨ / ٦٦٢ .
(٣) شرف خان البدليسي ، شرفنامة ، الترجمة العربية : ١ / ٣٦١ . (دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٥٨) .
(٤) تاريخ كريده : ص ٥٠٠ . ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول : ص ٤٣٢ .

((علاقة الخوارزميين بالايوبيين بعد سقوط الدولة الخوارزمية))

بعد مقتل السلطان جلال الدين منكبرتي في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) تشتت جنوده واتباعه ولم يعد في ميسورهم العودة الى بلادهم التي قدموا منها ، بسبب استيلاء المغول على خوارزم وخراسان وغيرها من المناطق ، لذلك هامت جموع اولئك الخوارزميين الذين جاءوا مع السلطان جلال الدين ، في كثير من بلدان الشرق الادنى واخذت تعرض خدماتها على من يرغب في شرائها من حكام المسلمين[(١)] ، وقد ذكر ان الخليفة المستنصر بالله استخدم منهم في سنة (٦٣١ هـ / ١٢٣٤ م) أربعة آلاف فارس[(٢)] ، بينما دخل بعضهم الى آسيا الصغرى وخدم علاء الدين كيقباذ سلطان سلاجقة الروم ، وعندما توفي علاء الدين في سنة (٦٣٤ هـ / ١٢٣٧ م)[(٣)] ، وتولى بعده ابنه غياث الدين كيخسرو ، اساء هذا معاملتهم وقبض على (بركت خان) اكبر مقدميهم ، فاستاءوا منه وفارقوا خدمته ، وساروا عن آسيا الصغرى ونهبوا ما صادفهم في طريقهم[(٤)] ، واخيرا استقر المقام بجزء كبير منهم في الجزيرة حول الرها وحرّان ونصيبين ، ومن هناك اخذوا يشنون الغارات على المناطق القريبة ، حتى

---

(١) المقريزي ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٢٤١ .
(٢) الحموي ، التاريخ المنصوري : ص ٤٦٠ .
(٣) الحوادث الجامعة : ص ٦٧ .
(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام : ٢ / ١٠١ .

استمالهم الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل بعد ان استأذن أباه ليستفيد من خدماتهم ، ولكن نيتهم تغيّرت عليه وعزموا على القبض عليه في سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م) فهرب الى سنجار وامتنع بها مدة وترك خزائنه واثقاله فانتهبوها وتحكموا في البلاد الجزرية[١].

لقد ادت هزيمة الصالح ايوب امام الخوارزميين الى ضعفه فطمع في املاكه كل من غياث الدين كيخسرو وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فسعى الأول للاستيلاء على آمد وسميساط ، بينما سار بدر الدين لؤلؤ الى سنجار واظهر أن هدفه هو القبض على الملك الصالح ايوب وارساله الى بغداد في قفص من حديد ، كراهية له لما كان عنده من التجبر والظلم والتكبر[٢].

ولما ادرك الملك الصالح ايوب ما يحدق به من اخطار ، ارتأى مصالحة الخوارزميين ، فارسل اليهم قاضي سنجار بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزاري سرا بعد ان حلق لحيته ودلاّه من السور ليلا وكان بدر الدين لؤلؤ آنئذ محاصرا سنجار ، وقد اجتمع القاضي بالخوارزميين وشرط لهم كل ما ارادوا فأجابوه ، وساروا من حرّان لدفع بدر الدين لؤلؤ عن سنجار والتقوا مع جيشه فكسروه وأوقعوا به خسائر عظيمة ، ونجا بدرالدين لؤلؤ بنفسه ، بينما استولى الخوارزميون على ما بيد جيشه[٣].

---

(١) المقريزى ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٢٧٠ .
(٢) ن . م . : ص ٢٧٠ .
(٣) ن . م . : ص ٢٧١ . ابن خلدون ، العبر : ٥ / ١٤١ .

وبعد ان انسحب بدر الدين لؤلؤ من سنجار ، سيّر الملك الصالح ايوب الخوارزميين الى آمد التي نازلها غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم وحصر بها المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح أيوب ، فلما وصل الخوارزميون اليها اضطر غياث الدين كيخسرو الى الرحيل عنها مجبرا بعد ان اوقع الخوارزميون الهزيمة بجيشه[١] وكانت هذه الحوادث قد جرت في سنة (٦٣٥ هـ / ١٢٣٨ م) .

وهكذا استفاد الملك الصالح نجم الدين ايوب من الخوارزميين فائدة كبيرة في حماية ممتلكاته من اطماع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وغياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم ، وازدادت منزلة الخوارزميين عنده علوا ، فرغب بمكافأتهم على ما قدموه له من مساعدة ، فسلمهم حرّان والرها ومناطق اخرى في البلاد الجزرية ليتمكنوا من الاستقرار والعيش فيها ، الا انهم لم يقنعوا بذلك ، بل اخذوا يسعون في الحصول على مناطق اخرى لتحقيق اهدافهم نازلوا حمص في سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٩ م) بالاتفاق مع الملك المظفر صاحب حماة ، ولكن أسد الدين شيركوه هادنهم فارسل اليهم مالا كثيرا فرحلوا عنه ورحل صاحب حماة الى حماة[٢] وفي سنة (٦٣٨ هـ) أغار الخوارزميون على قلعة جعبر[٣] وبالس[٤] وقتلوا كثيرا

---

(١) المقريزي ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٢٧٢ .
(٢) ن . م . : ص ٢٨٠ .
(٣) قلعة جعبر : على الفرات بين بالس والرقة (معجم البلدان : ٢ / ٨٤) .
(٤) بالس : بلدة بالشام بين حلب والرقة (معجم البلدان : ١ / ٤٧٧) .

وفرّ بعض اهاليهما الى حلب ومنبج[١].

وقد استغل بدر الدين لؤلؤ عبث الخوارزميين في ممتلكات الايوبيين، فأغار في سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م) على سنجار وانتزعها من الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل الايوبي[٢]، وظلت بيده الى ان توفي في الثالث من شعبان من سنة (٦٥٧ هـ / ١٢٥٩ م)[٣].

عاود الخوارزميون غاراتهم على بلاد الشام، فأغاروا على حلب في سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م)[٤] وكان سبب ذلك ان اميرهم محمد تركان خان بن دولة شاه الخوارزمي خطب ابنة الملك العادل صاحب حلب فلم يجب الى ذلك، بل أمر باهانة رسوله، وحينذاك جمع العساكر من ملته وقصد حلب[٥]. فلما وصل اليها خرج اليه عسكرها مع الملك المعظم توارنشاه بن صلاح الدين، ووقع القتال بينهما، فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة وقتل منهم خلق كثير كان من بينهم الملك الصالح بن الافضل بن السلطان صلاح الدين، وأسر مقدم جيش المعظم تورانشاه، واستولى الخوارزميون على اثقال الحلبيين وأسروا منهم عدة كثيرة، وكانوا يقتلون بعض الاسرى ليشتري غيره نفسه منهم بماله، فأخذوا بذلك شيئا كثيرا[٦].

(١) السلوك : ق ٢، ١ / ٣٠٢ .... (٢) ن . م . : ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .
(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (قسم الجزيرة) مخطوطة نسخة الدكتور صالح أحمد العلي، ورقة ٥٦ أ .
(٤) الحوادث الجامعة : ص ١٤٣ . الاعلاق الخطيرة : ورقة ١٠٩ أ. محمد كرد علي، خطط الشام : ٢ / ١٠١ .
(٥) الحوادث الجامعة : ص ١٤٣ .
(٦) خطط الشام : ٢ / ١٠٢ .

كما عاثوا في اعمال حلب وفعلوا فيها كل قبيح من السبي والقتل والتخريب(١).

ثم ساروا بعد ذلك الى منبج ، فاعتصم اهلها بسور المدينة ، ولكن الخوارزميين تمكنوا من دخولها ووضعوا السيف في اهلها وقتلوا منهم ما لا يحصى عدده ، وارتكبوا الفواحش بالنساء في جامع المدينة علانية ، وغنموا اموالا عظيمة وعادوا(٢).

ومما شجع الخوارزميين على القيام بتلك الاعمال الشنيعة ، انقسام ابناء البيت الايوبي وتنازعهم ، كما ان جيش حلب كان متفرقا في البلاد اذ كان بعضه بحمص يصد الغارات الصليبية عنها ، وبعضه كان في آسيا الصغرى بصحبة الامير حسام الدين الطاش ابن التركمان ، وبعضه بقلعة جعبر مع الأمير ناصح الدين ابي المعالي الفارسي ، ولم يكن بحلب عندما هاجموها آنذاك الا دون الالف فارس وهي التي خرج بها الملك المعظم فخر الدين تورانشاه ابن الملك الناصر صلاح الدين فالتقى بهم وهزموه(٣).

ولما رأى المنصور ابراهيم بن الملك المجاهد ، صاحب حمص ما قام

---

(١) المقريزى ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣٠٣ .

(٢) كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب : ٣ / ٢٥٣ (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٨) . المقريزى ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣٠٣ .

(٣) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ورقة ١٠٩ أ — ١٠٩ ب .

بـه الخوارزميون من قتل وتخريب في حلب وأعمالها ، أخذته الحميّة فجمع عساكره وعساكر حلب ودمشق ليلحق بهم ، ولما علم الخوارزميون بتجمع عساكر الايوبيين في حلب ، تجمّعوا بحرّان وعزموا على مهاجمة حلب قبل ان يتم استكمال تجمّع قوات الايوبيين ، وكان اعتقادهم بذلك انهم سيفاجئون الايوبيين بهجومهم عليهم ، وحينذاك يبادرون الى طلب الصلح معهم ، غير انهم عدلوا عن خطتهم فآثروا تجنب التصادم مع الايوبيين فرحلوا عن اعمال حلب يريدون عبور الفرات الى الرقة[1] ، فعاثوا فسادا في المناطق التي مرّوا بها في طريقهم وعملوا الكثير من أعمال النهب والتخريب[2] ، في كل من (الصافية) و (سرمين)[3] و (كفرطاب)[4] و (شيزر)[5] و (سلمية)[6] ، وقد تعقبتهم قوات الايوبيين الى الرقة ، كما اخذ العربان المنتشرين في الطريق يغيرون عليهم فيضطروهم الى القاء ما يثقلهم فيأخذوه منهم[7] .

لقد حاول الملك المنصور صاحب حمص ان يوقع بالخوارزميين وذلك بقطع طريق العودة عليهم ومن ثم مهاجمتهم ، فساق اليهم ليسبقهم في

---

(١) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حرّان ثلاثة ايام في بلاد الجزيرة (معجم البلدان : ٢ / ٨٠٢) .
(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣ / ٢٥٥ .
(٣) سرمين : بلدة من اعمال حلب (معجم البلدان : ٣ / ٨٣) .
(٤) كفرطاب : بلدة بين المعرّة ومدينة حلب. (معجم البلدان ٤ / ٢٨٩) .
(٥) شيزر : كورة بالشام قرب المعرّة بينها وبين حماة يوم (معجم البلدان: ٣/ ٢٠٣) .
(٦) سلمية : بليدة من اعمال حماة . انظر : (ياقوت ، معجم البلدان: ٣/ ١٢٣ ، علي بن ابي بكر ، الاشارات الى معرفة الزيارات (دمشق ١٩٥٣) ص ٨ .
(٧) ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣ / ٢٥٦ .

الوصول الى الرقّة ليمنعهم من عبور الفرات ، غير انه لم يتمكن من ذلك لانهم سبقوه في الوصول اليها ، وقد جرت مناوشات بين الجانبين تضرّر فيها الخوارزميون واخذ الملك المنصور ما معهم من الاغنام وكان شيئا كثيرا .

وبعد ان عبر الخوارزميون الفرات كانت حالتهم قد ازدادت سوءا فتوجهوا الى حرّان ، ولم يكفّ الملك المنصور عن تعقبهم فحاول العبور اليهم من جسر قلعة جعبر ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لحاجته الى العلوفة لدوابه ، ومع ذلك فانه سار بمن معه الى البيرة[1] وعبر الفرات منها وتعقب الخوارزميين الى سروج وحرّان ، ولما وجد الخوارزميون ان الملك المنصور قد تعقبهم الى حرّان اجبروا اهلها على الخروج معهم لملاقاته ، ليظهروا له كثرتهم أمام جيشه[2]، كما انهم ارادوا تدبير خدعة ضد الملك المنصور فعملوا رايات من القصب وضعوها على الجمال ليلقوا الرعب في قلوب عسكره بتكثيرهم السواد[3]، والغريب في الأمر ان غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم أرسل جيشا لنجدة الخوارزميين[4]، والراجح انه فعل هذا بقصد اثارة المتاعب للايوبيين ليتمكن هو من الاستيلاء على بعض ممتلكاتهم وضمها اليه .

وعلى اية حال فقد التقى الجيش الايوبي مع الخوارزميين في رمضان

---

(١) البيرة : بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية (معجم البلدان : ١ / ٧٨٧) .
(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣ / ٢٥٨ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ٢٥٨ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ٢٥٨ .

من سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) [1]، وانتهى الأمر بهزيمة الخوارزميين وقتل قسم منهم وهرب الباقون ، فتعقبتهم قوات الايوبيين الى ان حال الليل بينهم ثم عادوا عنهم ، ودخل من بقي من الخوارزميين الى حرّان ورتبوا في قلعتها واليا عليهم من جهة مقدمهم (بركت خان) ، فلما بلغ الملك المنصور ذلك ، قصد حرّان واستولى عليها ، فهرب الخوارزميون الى الخابور فسار في اثرهم ، فولّوا منهزمين وألقوا اثقالهم وبعض اولادهم ونزلوا في طريقهم الى الفرات فغرق منهم جمع كثير ودخل من نجا منهم الى بلد عانة واحتموا به لانه بلد الخليفة [2]. ولما بلغ خبر هزيمتهم الى حلب زيّنت المدينة وضربت البشائر ووصلت أعلامهم واسراؤهم الى حلب [3].

وبعد ان حلّ الخوارزميون في عانة توجه أميرهم الى بغداد ملتجئا الى الخليفة المستنصر بالله ، فلما وصل خرج اليه موكب الديوان وتلقاه شمس الدين محمد بن عبد الله حاجب باب المراتب ظاهر السور ، ودخل معه فقبّل العتبة ، ثم دخل دار الوزارة فخلع عليه نصير الدين بن الناقد نائب الوزارة وقلّد سيفا واسكن دارا بباب دينار الصغير ووصل بعده أمير بن كشلوخان أحد أمراء الخوارزميين واعتمد معه مثلما

---

(١) الحوادث الجامعة : ص ١٤٣ .
(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣ / ٢٥٨ .
(٣) ن . م . : ص ٢٥٨ .

اعتمد مع المذكور[١]

وعندما رأى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ما حلّ بالخوارزميين من هزيمة ومغادرتهم البلاد ، انتهز ذلك فبادر الى نصيبين ودارا[٢]، ووجد الفرصة مواتية في انتزاعها من ايدى الخوارزميين الذين استولوا عليها في سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م)[٣]، وقد حقق جيشه الانتصار فيهما وطرد الخوارزميين منهما ورتب فيها بدر الدين لؤلؤ أميرا يقوم بحراستها والحيلولة دون تسرب الخوارزميين اليها[٤].

وقد اشار ابن الوردي الى ان بدر الدين لؤلؤ بعد ان استعاد نصيبين ودارا من ايدى الخوارزميين انفذ الاسرى ومنهم الملك توران شاه ابن الملك الناصر صلاح الدين الايوبي فقد جاء به الى الموصل[٥].

وبعد ان تم طرد الخوارزميين من دارا ونصيبين وغيرها من المناطق التي استولوا عليها في الجزيرة ظلوا بعد تلك الهزيمة لا يجرؤون على دخول بلاد الشام ، وضاقت في وجوههم اسباب العيش ، فلم يجدوا غير ما يحصلون عليه من النهب والسلب ، لذلك ساروا الى الموصل وحاصروها في سنة (٦٣٨ هـ / ١٢٤١ م)[٦]، واستهدفوا الاستيلاء

---

(١) الحوادث الجامعة : ص ١٤٤ .
(٢) داراً : بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين ، وهي من بلاد الجزيرة (معجم البلدان : ٢ / ٥١٦) .
(٣) الحوادث الجامعة : ص ١٤٣ — ١٤٤ . سليمان الصائغ ، تاريخ الموصل ١ / ٢٢٤ . (المطبعة السلفية ، مصر ١٩٢٣) .
(٤) الحوادث الجامعة : ص ١٤٤
(٥) تتمة المختصر : ٢ / ٢٤٥ .
(٦) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة / قسم الجزيرة ، مخطوط ، ورقة ١١٠ أ .

عليهـا ، نظرا لما كانت تتمتـع به من ممتلكات وموارد مالية وثروات واسعة ،
وقد استنجد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل بالملـك الناصر صاحب دمشق
فنشط الأخير بارسال عسكـر مقدمـه الملك المنصور ناصر الدين ابراهيـم
صاحب حمص والأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني ، وقد استطاعت هـذه
الجيوش أن تؤدى مهمتها بالمحافظـة على الموصـل[(١)].

غير ان الخوارزميين لم يلبثوا ان عاودوا هجومهـم على الموصـل
فساروا اليها في سنة (٦٣٩ هـ/ ١٢٤١م)[(٢)]، فاضطر بدر الدين لؤلـؤ
الى مسالمتهـم فسلّم اليهم نصيبين ليكفوا عن غاراتهـم على املاكـه
واحلال الخراب فيها ، الأمر الذى يهدد سلامته وهو في عقر داره[(٣)]، وبعد
ان هادنهـم بدر الدين لؤلؤ توجّهوا الى ميافارقين في نفس السنـة
فهادنهـم صاحبها المظفر شهاب الدين غازى بن العادل ، واخذ اليمين
منهم على ان يدافعوا عنه اذا قصده غياث الدين كيخسرو سلطان مسلاجقة
الروم[(٤)]، ثم اتفقوا معـه ايضا على قصد آمد فساروا اليها فخرج اليهـم
عسكر حلب وعليـه المعظـم فخر الدين توران شاه بن صلاح الدين فدفعوهم
عنها ، ونهبوا بلاد ميافارقين وجرت بينهم وبين الخوارزميين وقائع ثـم
عاد العسكر الى حلب[(٥)].

---

(١) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة / قسم الجزيرة ، مخطوط ، ورقة ١١٠ أ .
(٢) المقريزى ، السلـوك ، ق ٢ ، ١ / ٣٠٩ .
(٣) ن . م . : ص ٣٠٩ .
(٤) ابن العديـم ، زبدة الحلب : ٣ / ٢٦١ .
(٥) المقريزى ، السلـوك : ق ٢ ، ١ / ٣٠٩ - ٣١٠ .

كما جرت عدة وقائع بين الخوارزميين ومعهم المظفر شهاب الدين غازي وبين جيش سلاجقة الروم الذى ارسله غياث الدين كيخسرو نجدة لعساكر حلب[١]، وهادنهم سلطان السلاجقة على ان يقطعهم ما كان اقطاعا لهم في بلاده، وان يسمح لهم في الاقامة في اطراف بلاده[٢].

وبعد ان هادنهم سلطان سلاجقة الروم أغاروا على رساتيق[٣] الموصل فاستاقوا مواشيها، ثم توجهوا الى ناحية الخابور وكانوا يريدون التوجه الى (راس عين)[٤]، ولكن صادف ان الملك المنصور صاحب حمص قد وصل الى حلب، فاستقبله الملك الناصر واكابر المدينة وعزم على المسير الى الجزيرة، فعبر الى (رأس عين)[٥]، فلما علم الملك المظفر شهاب الدين غازى بقدومه عاد ومعه الخوارزميون الى ميافارقين، بينما توجه الملك المنصور وجيشه الى آمد واجتمعوا بمن كان بها من عسكر سلاجقة الروم بانتظار وصول عساكر اخرى من السلاجقة لمنازلة ميافارقين .

---

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة : ورقة ١٠٩ ب .

(٢) ابن العديم، زبدة الحلب : ٣ / ٢٦١ . الاعلاق الخطيرة : ورقة ١٠٩ ب .

(٣) الرستاق (الرزداق) : السواد او القرى معرّب رستا، مجد الدين الفيروزآبادى، القاموس المحيط : ٣ / ٢٣٥، ٢٣٦ (شركة فن الطباعة، القاهرة، ١٩١٣) .

(٤) راس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنيسر (ياقوت، معجم البلدان : ٢ / ٧٣١) .

(٥) رأس عين : مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة (معجم البلدان : ٢/ ٧٣١) .

وبينما كان الملك المنصور صاحب حمص في آمد بانتظار وصول نجدة السلاجقة اليه ، والسير لمنازلة ميافارقين ، حدث حادث لم يكن في الحسبان بالنسبة له ، ذلك ان المغول قصدوا مدينة (ارزن الروم)(١) فشغل السلاجقة بقتالهم ، ولم يعد في ميسورهم ارسال جيش منهم الى الملك المنصور(٢)، فلما سمع الملك المنصور بذلك ، خشي من اقامته في آمد ، اذ ربما قصده المغول ، فعاد الى (رأس عين) خائبا ، بينما انتهز الخوارزميون ومعهم الملك المظفر غازي ، الفرصة فساروا الى (دنيسر)(٣) فانضم اليهم جمع من التركمان وساروا معهم الى حلب في سنة (٦٤٠ هـ/١٢٤٢ م) ، فخرج اليهم الأمير لؤلؤ الحلبي ومعه عسكر حلب وساعده كل من محمد بن اسد الدين شيركوه صاحب حمص ، والملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ ، وكان صاحب سنجار حينئذ ، والتقوا مع الخوارزميين في المجدّل(٤) واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المظفر غازي والخوارزميون(٥) وتركوا نساءهم واولادهم واثقالهم فغنمها عسكر حلب وحلفائهم فاقتسموا اموالهم واولادهم(٦)، فرجع

---

(١) ارزن الروم : مدينة من مدن ارمينية .
(٢) ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة - قسم الجزيرة ، مخطوط : ورقة ١١٠ب.
(٣) دنيسر : بلدة من نواحي الجزيرة من اعمال ماردين بينهما فرسخان (معجم البلدان : ٢/ ٦١٢) الهروي ، الاشارات الى معرفة الزيارات : ص ٦٤ .
(٤) المجدّل : (ورد ذكره في الحوادث الجامعة ، المجلد ص١٥١) . والصحيح ان يقال المجدل بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال واللام وهو اسم بلد بالخابور . انظر (معجم البلدان : ٤/ ٤١٨ . مراصد الاطلاع : ٣/ ١٢٣) .
(٥) الحوادث الجامعة : ص ١٥١ .
(٦) ن . م . : ص ١٥١ .

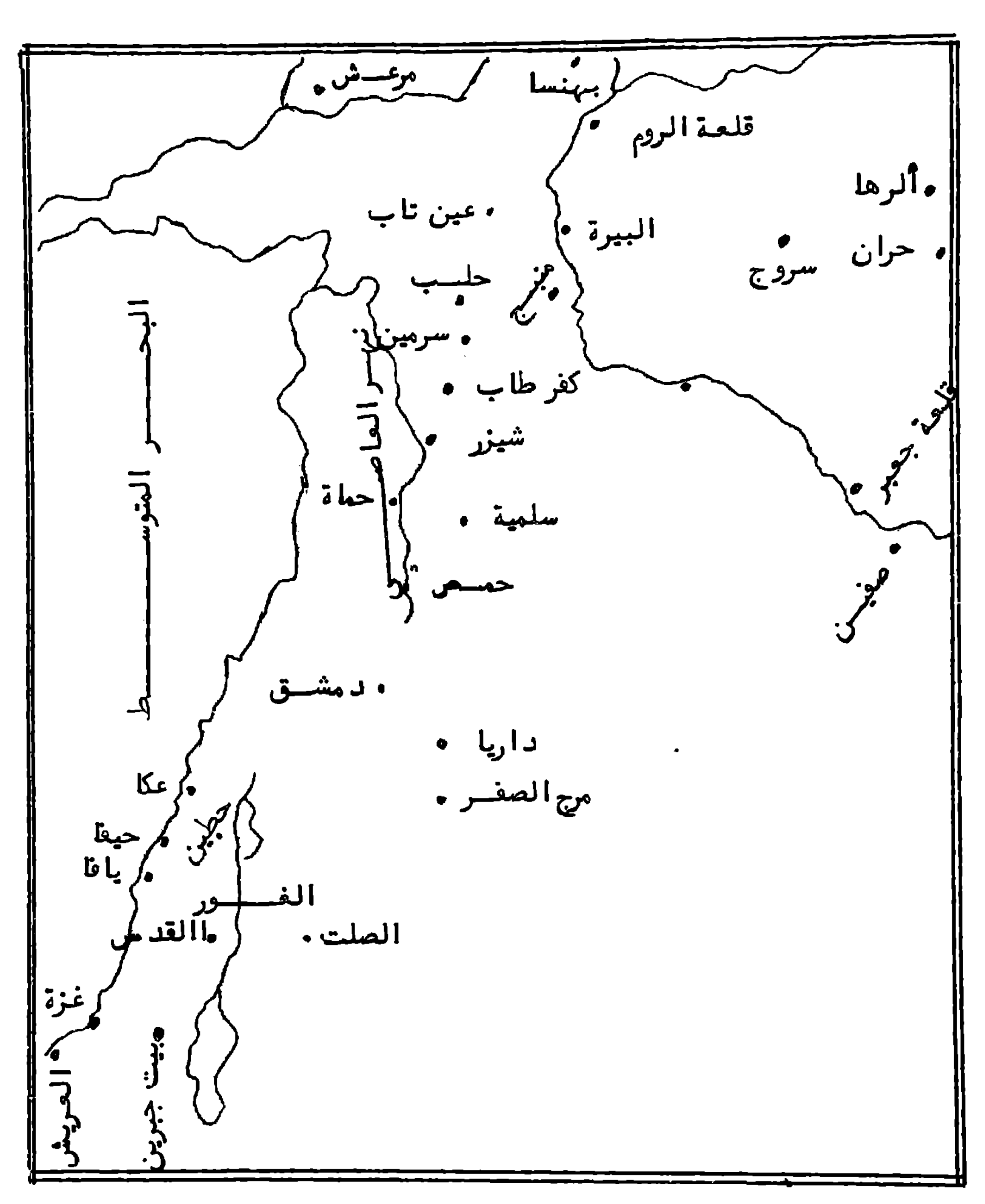
الخوارزميّون الى بلاد الجزيرة بعد تلك الهزيمة ، وكثر عيثهم فيها وصارت ميدانا لغاراتهم على المناطق المجاورة ، حيث انهم عبروا الفرات في سنة (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) فنهبوا وقتلو وخرّبوا القرى وخرج اليهم الامير جمال الدولة بجيش حلب ليردهم ، فالتجأ الخوارزميّون الى ماردين ، واحتموا بها فحاصرهم جيش حلب ، وفي خلال الحصار عرض غياث الدين كيخسرو سلطان سلاجقة الروم توسطه لفك الحصار عن الخوارزميين واقرار الصلح معهم ، فأنفذ الامير شمس الدين الاصباغي الى المظفر غازي والى صاحب ماردين ليصلح بينهم . فاتفقوا اخيرا على ان يعطى صاحب ماردين (رأس عين) ، وان يأخذ الخوارزميّون (خرتبرت)[1] وشيء من البلاد ، وان يأخذ المظفر غازي خلاط[2] ، وبعد ان تم الصلح رجع الامير شمس الدين الاصباغي الى بلاده وعاد الجيش الحلبي الى حلب .

غير ان الخوارزميين لم يكفوا عن مهاجمة املاك الايوبيين فعبر اكثر من عشرة آلاف مقاتل منهم نهر الفرات في سنة (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) وكان على رأسهم حسام الدين بركة خان ، وخان بردى وصاروخان وكشلوخان. فسارت طائفة منهم على بقاع بعلبك وطائفة على غوطة دمشق فانتشروا

---

(١) خرتبرت : وهو الحصن المعروف بحصن زياد في اقصى ديار بكر من بلاد الروم (ياقوت ، معجم البلدان : ٢ / ٤١٧) .

(٢) ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣ / ٢٦٧ .



بلاد الشام في القرن السابع الهجري

يقتلـون ويسبون فجفـل الناس من بين ايديهـم وتحصّن الصالح اسماعيـل بدمشـق[١].

((دور الخوارزميين في الحروب الصليبيـة))

وهكذا ظل الخوارزميـون يثيرون الاضطرابات والقلاقل في بـلاد الشام والجزيرة ،حتى استعان بهم الصالح نجم الدين ايوب صاحب مصـر في سنة (٦٤٢ هـ/ ١٢٤٤م) ضد الصالح اسماعيل صاحب دمشق الـذى كوّن حلفا ضده ضـم الملك الناصر داود صاحب الكرك ، والملك المنصـور ابراهيـم صاحب حمص ، كما اتفق الصالـح اسماعيل وحلفاؤه مع الصليبيين فاعطوهـم شقيـف والقدس[٢]، واتفقوا معهـم على قصد مصـر[٣]، ولم تكـد دعوة الصالح نجم الدين ايوب تصل الى الخوارزميـن حتى اندفع عشـرة آلاف منهـم نحو بلاد الشام الصليبيـة ، فأغاروا على المدن والقلاع الـتي صادفتهم في طريـق دمشق ، وامتنـع الصالح اسماعيل منهم بدمشق لانهـا كانت حصينـة ، ثم اتجهـوا صوب الجليـل فاستولوا على طبريـة ونابلـس، وقصدوا بيـت المقدس وهم ينهبـون ويقتلـون ويسبون[٤]،وكانت بيت المقدس

(١) المقريزى ،السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣١٦ .
(٢) ابن شداد ،الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة - قسم الشـام : ص ٢٣٤ . القاضي مجير الدين الحنبلي ،الانس الجليل بتاريخ القـدس والجليل : ٢ / ٦ . (الحيدرية - النجف ١٩٦٨) .
(٣) أبو الفدا ، المختصر في اخبار البشر : ٦ / ٧٥ . ابن كثير ، البدايـة والنهاية : ١٣ / ١٦٤ . المقريزى ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣١٤ - ٣١٥ .
(٤) المقريـزى ، السلوك : ١ / ٣١٦ .

عندئــذ أشبــه بمدينة مفتوحة ضعيفــة التحصين ليس فيها ملك او زعيــم صليبي يدافــع عنها[(١)] ، فاستطاعوا اقتحامها وبذلوا السيف فيمن كان بهــا من النصارى واحرقوا رممهــم ، كما اعتدوا على الاماكن الدينية المسيحيــة داخل بيــت المقدس فدمروا واتلفــوا معظمهــا[(٢)] ، واعادوا بين المقــدس نهائيا الى المسلميــن[(٣)] ، وقد طلــب الفرنجــة الذين في المدينة من الملك الناصر داود صاحب الكرك تأميــن خروجهــم فتوسط لهم ، فخرج ستــــة آلاف منهم قاصديــن يافا ، ولكنهــم لم يكادوا يبتعدوا عن بيت المقــدس حتى دبّر لهــم الخوارزميّــون خدعة حربيــة وقتلوا منهم اكثر من ألفيــن ، في حين تعرّضــت البقيّــة الباقيــة منهم للمطاردة حتى يافا ولم يصــــل منهم اكثــر من ثلثمائـــة[(٤)].

وفي خلال هجوم الخوارزمييــن على بيت المقدس واستعادتها للمسلمين تمكنوا من أسر جماعة من امراء الصليبييــن وقسسهــم واساقفتهم ومعهــم بعض امراء المسلميــن وبعثوا بهم جميعا الى الملك الصالح ايوب فــــي مصــــر[(٥)].

---

(١) الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية : ٢ / ١٠٤٥ (مطبعة لجنة البيان العربــي ، القاهــرة ١٩٦٣) .
(٢) المقريزى ، السلــوك : ١ / ٣١٦ .
(٣) لم يقدر لجيش مسيحي ان يقترب من بيت المقدس بعد ذلك حــــتى الحرب العالميــة الاولــى .
(٤) عاشور ، سعد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية : ٢ / ١٠٤٥ .
(٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٣ . المقريزى ، السلوك: ق ٢ ، ١ / ٣١٧ .

وبعد ان استرد الخوارزميّون بيت المقدس ، اتجهوا صوب غـــزة للاجتماع بالعسكر المصري الذى ارسله السلطان الصالح ايوب بقيادة مملوكه ركن الدين بيبرس لمحالفتهم[١] وفي ذلك الوقت كانت قوات الحلف الشامي - الصليبي قد اتجهت من عكا نحو غزّة ، ومع الجيوش الصليبية كان المنصور ابراهيم صاحب حمص وصحبته قوات دمشق ، كما أتتهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك[٢] ، ويصف المقريزى اشتراك اولئك الأيوبيين مع الصليبيين ويقول :

" وقد رفع الفرنج الصلبان على عسكر دمشق وفوق رأس المنصور صاحب حمص "[٣]

وقد التقى الجيشان في (غزّة) في موقعة رهيبة احرز فيها الخوارزميّون والمصريون نصرا مبينا على الصليبيين وجيوش حمص ودمشق والاردن ، حتى قدّر عدد قتلى الصليبيين باكثر من ثلاثين ألفا في حين سيق ثمانمائة من الاسرى الى مصر[٤] ، كما كانت غنائم الخوارزميين مما لا يحصيه العد . ولا شك في ان هذه الوقعة كانت اعظم كارثة حلت بالصليبيين منذ وقعة حطين سنة (٥٧٩ هـ / ١١٨٧م)

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٧٤ .
اما عن المملوك ركن الدين بيبرس هذا ، فهو غير الامير بيبرس البند قداري الذى تولى سلطنة المماليك فيما بعد وتلقب بالظاهر . اذ ان الاول اكبر من الظاهر بيبرس ، ولا يتعدى الأمر انه مجرد التوافق بين الرجلين في الاسم والشهرة ...... (٢) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٦/ ٣٢٣ .
(٣) المقريزى ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣١٧ .
(٤) ذيل الروضتين : ص ١٧٤ . السلوك : ق ١ ، ١/ ٣١٧ . خطط الشام : ٢/ ١٠٤ .

وقد كان من نتيجة هذه المعركة أن استولى الملك الصالح ايوب صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس ثم ارسل باقي عسكر مصر مع معين الدين ابن الشيخ واجتمع اليه من بالشام من عسكر مصر والخوارزميين وساروا الى دمشق وحاصروها وبها صاحبها الملك الصالح اسماعيل وابراهيم بن شيركوه صاحب حمص . ولما ضاق صاحب دمشق ذرعا بحصار صاحب مصر له سيّر الصالح اسماعيل وزيره امين الدولة على العراق مستشفعا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن اخيه فلم يجب الخليفة الى ذلك (١).

وتسلم عسكر الملك الصالح ايوب دمشق من الصالح اسماعيل بن الملك العادل على ان يستقر بيد الصالح اسماعيل بعلبك وبصرى والسواد وتستقر حمص وما هو مضاف اليها بيد صاحبها (٢).

وبعد ان استقر الصلح ارسل الملك الصالح ايوب الى الخليفة عبد الرحمن بن عصرون يخبره بذلك فارسل اليه الخليفة التقليد والخلع مع جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزى الواعظ مدرس طائفة الحنابلة بالمدرسة المستنصرية فتوجه وابن عصرون صحبته (٣).

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام : ٢ / ١٠٥ .
(٢) ن . م . : ص ١٠٥ .
(٣) الحوادث الجامعة : ص ٢٠١ .

((نهايـــة الخوارزميـــن))

لم تلبث علاقة الخوارزميين مع الصالح نجم الدين ايوب ان ساءت بعد موقعة غزة التي تقدم الكلام عنها ، ذلك انهم كانوا يأملون منه ان يكافئهم بعد ان أعانوه في الحرب ضد عمه الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، وظنوا انه سيجزل لهم العطاء بعد ان ساعدوه في التغلب على خصومه ، وفي تملك بلاد الشام " فطمعوا في الاخباز العظيمة "[1] وظنوا ان الصالح ايوب يقاسمهم البلاد[2] ، وان يسمح لهم بالاستقرار في مصر ، غير انه خشي ما يترتب على دخولهم مصر من اضرار بالبلاد فسمح لهم بالاستقرار في بلاد الشام على حساب الصليبيين . وبعد استيلائه على دمشق منعهم من دخولها واقطعهم الساحل فتغيّرت نياتهم عليه واتفقوا على الخروج عن طاعته[3] ، فثاروا في بلاد الشام واعتدوا على (داريا)[4] ونهبوها ، ثم اتصلوا بالأمير ركن الدين بيبرس[5] ، وهو اكبر أمراء الصالح ايوب (وكان في غزة) ، فحسّنوا له ان يكون معهم يدا واحدة معهم وزوّجوه منهم[6] ، ثم لم يلبث

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٤ .
(٢) المقريزي ، السلوك : ق ١ ، ١ / ٣٢٢ .
(٣) ن . م . : ص ٣٢٢ .
(٤) داريا : قرية من قرى دمشق . انظر (معجم البلدان : ٢ / ٥١٦ . الهروى ، الاشارات الى معرفة الزيارات : ص ١٣) .
(٥) روى ابو المحاسن ابن تغري بردى ان أم الامير ركن الدين بيبرس المذكور كانت خوارزمية وانه تزوج ولذلك مال اليهم (النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٥) .
(٦) السلوك : ق ١ ، ١ / ٣٢٢ .

الصالح اسماعيل طريد دمشق ان انتهز الفرصة فاتصل بهم وقدم اليهم وحلفوا له على القيام بنصرته[١]

وهكذا تم تكوين حلف ضم الخارزميين والصالح اسماعيل صاحب دمشق وانضم اليه الناصر داود صاحب الكرك ، لمقاومة الصالح أيوب صاحب مصر والانتقام منه ، وبعد مدة من تكوين هذا الحلف فقد الصالح ايوب ما استولى عليه اخيرا في فلسطين كنابلس والقدس وبيت جبرين والأغوار ، بل وزحف الخوارزميّون على دمشق وحاصروها في المحرم من سنة (٦٤٣ هـ / ١٢٤٦ م) ،واستمر حصارهم لها مدة ثلاثة أشهر ، مات خلالها كثير من الناس جوعا ،وتعرضت مدينة دمشق الى الخراب والتدمير ، فقد أحرقوا قصر حجّاج[٢] والشاغور ،ومساجد وخانات ودور عظيمة ،وجرى قتال بين الفريقين بالمجانيق داخل البلد فخربت من جراء ذلك حارة العقيبة وباب السلامة وباب الفرج ، كما اشتد الغلاء[٣] فأكل الناس القطط والكلاب والميتات ، وقيل ان شخصا مات في الحبس فأكله اهل السجن[٤]،وقد بلغت الحال بالناس بسبب ذلك انهم عجزوا عن دفن موتاهم[٥]

---

(١) المقريزى ،السلوك ،ق ٢ ، ١ / ٣٢٢ .
(٢) قصر حجاج : محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق منسوب الى حجاج بن عبد الملك بن مروان (ياقوت ، معجم البلدان : ٤ / ١١٠) .
(٣) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٧٥ .
(٤) النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٥ . السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣٢٢ .
(٥) السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣٢٢ .

غير ان الصالح نجم الدين ايوب لم ييأس في ذلك الموقف ، بل لجأ الى اعمال الحيلة والتدبير ، فاستمال اليه المنصور ابراهيم صاحب حمص ، كما اتفق مع الحلبيين على محاربة الخوارزميين ، ثم استدعى الامير ركن الدين بيبرس الى مصر حيث قبض عليه بعد ذلك وأعدمه[1].

وبعد ذلك سار بنفسه بجيوش مصر الى بلاد الشام ، بينما سار المنصور ابراهيم صاحب حمص بعساكر حلب قاصدا دمشق ومعه جمع من التركمان والاعراب .

ولما علم الخوارزميون بتوجه الملك الصالح ايوب من مصر والملك المنصور اليهم لاستنقاذ دمشق من ايديهم ساروا عنها للقائه فوجاه اهل دمشق برحيلهم فرحا كبيرا بسبب ما اصابهم من بلاء على ايديهم ، على ان رحيلهم عن دمشق لا يعني ان عيثهم في البلاد قد توقف لأنهم لم يكفّوا عن الفساد والنهب في بلاد الشام بل استمروا على ذلك الى أن دخلت سنة (٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م) حيث تمكنت جيوش الملك الصالح ايوب وحلفائه من انزال هزيمة ساحقة بهم بين بعلبك وحمص[2] فتبدّد شملهم وسبيت نساؤهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد تلك الهزيمة فقد قتل مقدمهم (بركت خان) وأسر كثير منهم ، وتفرّق الباقون ، فخدم طائفة منهم بالشام ، وطائفة بمصر ، وطائفة منهم ذهبوا مع أحد امرائهم (كشلوخان)

---

(١) النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٢ ، ٣٢٥ .
(٢) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٧٨ .

الى المغول وخدموا معهم (١)، أما من بقي منهم فقد خدموا عند الناصر داود صاحب الكرك ، فتزوج منهم واختص بهم وقوّى امره بهم ، فسار بعضهم الى نابلس واستولوا عليها (٢)، ولكن الصالح نجم الدين ايوب سيّر اليهم عسكرا كبيرا مع الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ لمحاربة الناصر داود والخوارزميين فالتقى الجانبان في ناحية الصلت ، وهزم الخوارزميون وفرّ الناصر الى الكرك مع جماعة من اتباعه ، وقد استولى فخر الدين بن شيخ الشيوخ على سائر بلاد الناصر وولّى عليها النواب ، ثم نازل الكرك وخرّب ما حولها ، كما استولى على البلقاء (٣)، فضعف لذلك الناصر وطلب الأمان لنفسه من الأمير فخر الدين ، غير انه لم يجبه الى طلبه الا بشرط ان يسلّم اليه ما عنده من الخوارزميين فسيّرهم الناصر اليه وسار عن الكرك وهم في خدمته (٤).

وهكذا تمّ القضاء على نفوذ الخوارزميين في بلاد الشام وانتهت فعالياتهم فيها في سنة (٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م) ، وقد وردت آخر اشارة عنهم انهم استخدموا في جيوش مصر والشام على عهد السلطان قطز . فقد ذكر رشيد الدين فضل الله الهمذاني : " ان اكثر جيوش مصر من بقايا التركمان والمنهزمين من جيش السلطان جلال الدين خوارزمشاه ممن

---

(١) ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة : ٦ / ٣٢٥ - ٣٢٦ .
(٢) المقريزي ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣٢٤ .
(٣) البلقاء : كورة من اعمال دمشق (ياقوت ، معجم البلدان : ١ / ٧٢٨) .
(٤) المقريزي ، السلوك : ق ٢ ، ١ / ٣٢٥ .

هربـوا على باب خلاط فساروا نحو الشام ..... وحينما عزم هولاكـو خان على المسير الى الشام تواروا في شتى الاطراف ولكنهم عـادوا فتجمعوا بعد عودتـه واتجهوا الى الحضرة في مصر والقاهرة وشرحـوا لقطز قصـة غصتهم فطيـب خاطرهـم وعطف عليهم ومنحهم اموالا طائلـة فاتفق جملتهم على احقيـة في التملـك والسيطـرة "(١)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذاني ،جامع التواريخ ، الترجمة العربية : مج ٢، ١ / ٣١٠ — ٣١١ (داراحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠) .

الفصل السادس

النظام العسكري في الدولة الخوارزمية

ان دراسة العلاقات السياسية للدولة الخوارزمية تؤدى بنا حتما الى لزوم الالتفات الى الناحية العسكرية ، والا كان التعرض للوقائع السياسية ناقصا ، لان النظام العسكرى كان الاساس الذى استند عليه الخوارزميون في تحقيق اهدافهم السياسية .

لقد نشأت الدولة الخوارزمية نشأة عسكرية تعتمد على القوة الحربية للاستيلاء على ما يمكن عليه من ممتلكات ، واعتبرت وجود جيش دائمي منظم لها ذا اهمية بالغة ، ومن هنا اقتضى الامر الاطلاع على ما كان لها من النظم والوظائف العسكرية والاسلحة المختلفة واساليب الحرب وغير ذلك من الامور العسكرية الاخرى .

تقدم المصادر المتوفرة معلومات مختصرة عن جيش الخوارزميين ، كما انها لا توضح الامور المتعلقة بالجيش كفرق الجند وطوائفهم وعناصر الجيش ومقراته ورواتب الجند ومصادرها ، واستدعاء الجيوش واساليب القتال ، ومعاملة الجند لاهالي البلاد المفتوحة ، ومعاملة الاسرى ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فليس هناك كتاب جامع او مخصص للبحث في الامور المتعلقة بالجيش ، بل توجد عنها معلومات واشارات مشتتة في المراجع المتنوعة التي تطرقت الى حروب الدولة الخوارزمية ، ولهذه الاشارات قيمة كبيرة في تلك الامور لانها تمد الباحث بنصوص ومعلومات طريفة ، بالامكان ترتيبها والاستنتاج منها والمقارنة لاستخلاص صورة واضحة عن الجيش الخوارزمي ونظمه .

عناصر الجيش وعدده :

كان الجيش الخوارزمي في اول امره يتكون من مجموعة قبائل تركية تأصلت في نفوسهم صفات الحرب والخشونة ، وكان الاتراك يؤلفون اقوى عنصر في الجيش الخوارزمي حتى بعد دخول عناصر اخرى فيه عند توسع الدولة الخوارزمية ، حيث ظل الاتراك القوة الضاربة في الجيش لانهم كانوا رجالا اشداء لهم قدرات عجيبة على تحمل المكاره والمشقات لانهم كانوا لا يختلفون عن غيرهم من اقوام الترك الذين خصّهم ابن حسول بقوله " انهم يعدون رغد العيش في غارة تشن واقتدار يسن ، واذا بلغ اليهم الكلال ونال منهم كانوا على مثل نشاطهم الاول في ركب الفرس وتسنم الجبل وركوب الخطر في توغل المخارم وارتكاب المجاهل "(١) وقد اثر ذلك على توجيههم وسلوكهم لسياسة الدولة التي شيدوها واعتمدهم السلاطين الخوارزميين في الجيش بالدرجة الاولى وبفضلهم صار اتجاه الدولة الخوارزمية عسكريا محضا ، ولعلّ هذا ما دفع القزويني الى وصف اهل جرجانية (قصبة خوارزم) بقوله " وانهم كلهم اجناد حتى البقّال والقصاب والخباز والحائك "(٢) كما ورد عن اهل هزاراسب انهم " ولدوا على طالع الحرب وارتضعوا لبان الطعن والضرب "(٣)

---

(١) ابو العلاء بن حسول ، تفضيل الاتراك على سائر الاجناد (استانبول ١٩٤٠) : ص ٤١ .

(٢) زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد (دار صادر - دار بيروت ، ١٩٦٠) : ص ٥١٩ .

(٣) رشيد الدين الوطواط ، مجموعة رسائل الوطواط : ١/ ٨ .

هذا ومن الجدير بالذكر ان الدولة الخوارزمية بعد اتساعها اصبح جيشها يضم عناصر اخرى فارسية وهندية وخطائية ، فقد وردت بعض الاشارات التي تدل على ان خوارزم شاه علاء الدين محمد عندما غزا بغداد في سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) كان في جيشه سبعون الفا من الخطا[١]، والراجح ان هذا العدد مبالغ فيه الا انه يلقي ضوءا على اشتراك الخطا في جيش الخوارزميين ، كذلك استخدم خوارزم شاه علاء الدين نفسه بعض الامراء العراقيين في جيشه ممن التجأ اليه[٢] بعد استيلائه على العراق العجمي ، ومن المحتمل ان يكون من بين هؤلاء الامراء جماعة من الاكراد والعرب ، لا يستبعد انهم دخلوا في طاعة الخوارزميين بمن كان معهم من جنود ، كما وردت الاشارة الى استخدام الخراسانيين في الجيش الخوارزمي[٣].

ويبدو لنا ايضا ان بعض سلاطين الخوارزميين استخدم المماليك لاغراض الحراسة ، كما فعل خوارزم شاه علاء الدين تكش[٤]، كما كان لابنه علاء الدين محمد جمع كبير من المماليك يقدر بعشرة آلاف مملوكا[٥]. ويبدو انه استخدمهم لاغراض مختلفة كالخدمة في البلاط ، والحراسة ، ولا يستبعد انه استخدمهم ايضا في جيشه ، يضاف الى ذلك فقد وردت الينا اشارة تظهر ان المماليك استخدموا في الدولة الخوارزمية بأعمال شبه عسكرية ، كحراسة

---

(١) ابو شامة ، ذيل الروضتين : ص ١٠١ . سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان : ق ٢ ، ٢ / ١٨٣ .
(٢) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٩٠ .
(٣) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٥٧ .
(٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : ١ / ٣٣١ .
(٥) ن . م . : ص ٣٣٠ .

القوافـــل التجاريـــــة[١]

اما عن عدد الجيش الخوارزمي ، فيبدو انه لم يكن ثابتا بل كان عرضة للزيادة والنقصان ، لان اغلب الظن أن الذين استخدمهم سلاطيـــــن الخوارزميين في حروبهم ، لم يكونوا جنودا نظاميين ، بل كانوا يجتمعـــون للمساعدة اثناء استنفارهم مدفوعين بعوامل دينية في حالة الحرب مع الكفار ، كحروبهم مع قبائل الخطا التركية ، او بعوامل مادية ، حيث يتطوعون في الجيش طلبا للغنيمة ، ثم يتفرقون بعد انتهاء المعركة التي استدعوا من اجلها ، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقولون عن الجيش الخوارزمي في زمن خوارزم شاه علاء الدين محمد بانهم " مجمّعة لا اخباز لهم ، بل يعيشون من النهب والغارة "[٢]

كذلك فان عدد جيش الخوارزميين كان يختلف باختلاف السلاطين والظروف المحيطة بالدولة ، فقد كان عدد افراد الجيش الخوارزمي المدونة اسماؤهم في ديوان الجيش قد بلغ على عهد السلطان علاء الدين تكش وفي سنة (٥٩٢ هـ) مائة وسبعين الف[٣] وقد ازداد هذا العدد على عهد ابنه خوارزم شاه علاء الدين محمد (٥٩٦ - ٦١٧ هـ) زيادة كبيرة حتّى " كانت عساكره عدد الحصا لا يعرف اولها من آخرها "[٤] وقد قدر عدد جيشه تقديرات مختلفة ، فاورد

(١) القزويني ، آثار البلاد واخبار العباد : ص ٥١٤ .
(٢) الديار بكرى ، تاريخ الخميس : ٢ / ٣٧١ .
(٣) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٣٤ .
(٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : ١ / ٣٣٠ .

النسوى عن عدد جيش خوارزم شاه علاء الدين محمد في سنة (٦١٤هـ) عندما اراد قصد دار الخلافة ، قوله " استملئت جريدة[١] ديوان الجيش على ما يقارب اربعمائة الف فارس "،[٢] وذكر الديار بكرى ان رسول صاحب اربل ذهب الى خوارزم شاه علاء الدين محمد فقال " كان عدة عسكر خوارزم شاه علاء الدين محمد ممّن هو داخل في طاعته ثلثمائة الف وخمسين الفا "،[٣] وعلى اية حال فان هؤلاء الجند يكونون الجيش النظامي للدولة تدفع لهم روايتهم بانتظام .

الوظائف العسكرية :

عرفت في الجيش الخوارزمي عدة وظائف عسكرية كان لها الدور الهام في تنظيمه وقيادته ، ومن تلك الوظائف التي لها اهمية كبيرة في الدولة الخوارزمية هي وظيفة (صاحب الديوان)[٤] ويقصد بها صاحب ديوان الجيش الذى كان ينظر في الامور المالية المتعلقة بالجيش والدليل على ذلك ان خوارزم شاه علاء الدين تكش عندما طلب من الخليفة الناصر لدين الله في سنة (٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م) ان يوافق على منحه ولاية خوزستان

(١) الجريدة : دفتر ارزاق الجيش في الديوان ، وهي صحيفة جردت لبعض الامور اخذت من جريدة الخيل وهي التي جردت . انظر : شهاب الدين احمد الخفاجي المصرى (ت ٩٧٧ هـ) ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ط١ (المطبعة المنيرية ، القاهرة ١٩٥٢) : ص ٩٥ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٤٩ .
(٣) الديار بكري ، تاريخ الخميس : ٢ / ٣٦٩ .
(٤) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٣٤ .

كتب الى الخليفة يقول له " لا استطيع ان ابقى بدون جيش وقد عرض صاحب الديوان ان مائة وسبعين الف فارس من اتباعنا لا يقوون على العمل باليسير من الخبز "(١)

ومن الوظائف الاخرى في الجيش الخوارزمي هي وظيفة (ناظر الجيش)(٢)، الذى يقوم بالاشراف على ديوان الجيش " وتجريد من يرى فيه المصلحة والكفاية والقدرة ... وعليه توزيع التجريدات "(٣)، والراجح ان وظيفة (ناظر الجيش) تقابل وظيفة (العارض) التي كانت معروفة في الدولة السلجوقية حيث كان العارض يقوم " بالاشراف على ديوان الجيش وتنظيم سجلات الجند وصرف مرتباتهم وتهيئة الجيوش وتسليحها وتموينها "(٤)

وهناك وظيفة اخرى في الجيش الخوارزمي هي وظيفة (السرهنك)(٥) ويبدو انها تقابل وظيفة القائد الذى يقوم في الاحوال الاعتيادية بادارة شؤون الجيش المختلفة كالاشراف على توزيع رواتب الجند والامراء ، كما يتولى امر ترقية الجند الى الرتب التي كانوا يستحقونها والامراء الى المناصب العسكرية العالية ، وربما اطلق على القائد اسم (المقدم) فقد ورد ان خوارزم شاه ايل ارسلان جعل المقدم على العساكر شمس الملك ابن حسين ، " وكان هذا من الامراء القرلقية من حشم ما وراء النهر ، وقد

---

(١) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٣٤ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٢٩٤ .
(٣) السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم : ص ٣٣ .
(٤) الدكتور حسين امين ، تاريخ العراق في العصر السلجوقي : ص ٢٠٥ .
(٥) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٠٧ ، ٢٤١ .

تقدم خوارزم شاه باعزازه واكرامه وزوجه باخته وجعله قائد جيشه"[(١)]

كانت صلاحيات القائد واسعة فيما يتعلق بالامور العسكرية مثل رسم الخطط للمعارك وهي تتمثل في الاوامر التي كان يصدرها بمباشرة الزحف او البدء في القتال او تطويق جيش الاعداء ، كما تتضمن هذه الخطط توزيع الجند على الامراء ثم السير بهم نحو جيش العدو وملاقاته ، او ضرب الحصار حوله او تجنب الاصطدام به او غير ذلك مما جرت عليه الجيوش حينذاك ، وقد كانت طاعة القائد واجبة كطاعة السلطان نفسه لانه يعتبر نائبه ، ومتى انتهى الفتح ووقف القتال اصبحت مهمة القائد مقصورة على النظر في امر الجند وتدريبهم وتحسين معداتهم واسلحتهم .

واوردت المصادر اشارات الى كلمات الجاويش[(٢)] ومقدم الجاويشية[(٣)] ، والجاويش جندى من رتبة بسيطة يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها[(٤)] ويطلق على رئيسهم اسم مقدم الجاويشية .

وترد عند المورخين كذلك كلمة (المستحفظ) ويبدو ان سلاطين الخوارزميين اتخذوا المستحفظين لحكم الولايات التابعة لهم فاودعوهم سلطات عسكرية ، فالمستحفظون الذين اقاموهم في قلعة سرخس[(٥)] ومرو[(٦)]

---

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٤٨ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ١٠٨ .
(٣) ن ٠م ٠ : ص ٢٩٤ .
(٤) المقريزى ، السلوك : ق ٣ ، ١ / ٨٧٠ ، حاشية ٢ .
(٥) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٠٧ .
(٦) ن ٠م ٠ : ص ١٦٤ .

وغيرهما ، كانوا بمثابة الحكام العسكريين فيها ،حيث كانوا يقيمون هناك ويتولون ضبط الأمن وتيسير متطلباته في الداخل .

ويبدو ان بعض المستحفظين كانوا يحرصون على ابقاء ولاياتهم بايديهم ، كما يتبين ذلك من انفصال مستحفظ قلعة سرخس عن سلطان شاه وانحيازه الى اخيه خوارزم شاه علاء الدين تكش بسبب ضعف صاحبه سلطان شاه ، فقد اورد ابن الاثير في حوادث سنة (٥٨٩ هـ) " ان رسولا من مستحفظ قلعة سرخس ورد على خوارزم شاه علاء الدين تكش يدعوه ليسلم اليه القلعة لانه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه فسار اليه مجدّا فتسلم القلعة وصار معه ، فلما بلغ ذلك سلطان شاه فتّ في عضده وتزايد كمده "(١).

الشحنة(٢) :

وهي وظيفة عسكرية اقرب ما تكون في عصرنا هذا الى وظيفة حاكم عسكري او مدير شرطة(٣)، ويقوم صاحبها بواجباته معتمدا على الشرطة في استتباب الأمن وحفظ النظام بالقضاء على حوادث الثورات والعصيان واعمال الشغب الخطيرة والقبض على الجناة والمفسدين ، "وكف ايدى الجند من التعدى على احد من الناس"(٤) وما الى ذلك من الاعمال الادارية التي

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢ / ١٠٧ .
(٢) الشحنة ، ومعناها (في البد من فيه الكفاية لضبطها من جهة السلطان الفيروزابادى ، القاموس المحيط ، مادة شحنة : ٤ / ٢٣٩ . الزبيدى ، تاج العروس : ٩ / ٢٥١) ثم اورد الزبيدى (ان قول العامة في الشحنة انه الامير غلط ، تاج العروس : ٩ / ٢٥١) .
(٣) الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين : ص ٧٥ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٣٣ .

تكفل سلامة الناس وطمأنينتهم ، لذلك ينبغي ان تتوفر في الشحنة القوة والتدبير والكفاية .

وبعد ان اصبحت الدولة الخوارزمية واسعة ، اخذ سلاطينها على ما يبدو يعينون شحنة لكل منطقة ومدينة كبيرة ، فمثلا عندما استولى عسكر خوارزم شاه ايل ارسلان على دهستان [١] ، في سنة (٥٦٠ هـ) ، عين فيها شحنة [٢] ، وورد ايضا ان خوارزم شاه علاء الدين تكش عندما سمع بوفاة اخيه سلطان شاه ارسل الى سرخس ومرو شحناء [٣] . وفي زمن السلطان جلال الدين منكبرتي كان تولي خان شحنة خراسان [٤] ، كما كان نصرة الدين محمد بن الحسن بن خرميل شحنة اصفهان ولاه اياها السلطان جلال الدين وعيّن له بها اقطاعا جليلا [٥] .

ويمكن ان نعلّل الاسباب التي دعت الخوارزميين الى الاهتمام بمنصب الشحنة ، بكثرة الاضطرابات التي قامت في ولاياتهم البعيدة عن حاضرتهم ، اضافة الى سعة دولتهم حيث يقتضي الامر حفظ النظام .

الأسلحة :

توفّر السلاح لدى الجيش الخوارزمي بأنواع كثيرة مثل المنجنيقات ،

(١) دهستان ، بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان (ياقوت ، معجم البلدان : ٢ / ٦٣٣).
(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣١٦ .
(٣) ن . م . : ص ٣٨٤ .
(٤) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٣٩ .
(٥) ن . م . : ص ٢٤٠ .

والمزاريق والسيوف والرماح والسهام[١]، ومعدات الجند الأخرى كالدروع[٢] والتروس وغير ذلك .

وقد خصص الخوارزميون اماكن خاصة لحفظ الاسلحة المختلفة اطلق عليها اسم (بيت السلاح) وكان يشرف عليه رجل عرف بـ(السلاح دار) وكان يقوم بالعمل في بيت السلاح عدد كبير من الصناع يشتغلون في صناعة واصلاح الاسلحة[٣]، هذا وتبقى هناك ناحية غامضة ، وهي هل ان الجندي كان يجهز نفسه بالسلاح أم ان الدولة كانت تقوم بتجهيزه ؟ ومن المرجح ان الدولة كانت هي التي تقوم بتجهيز الجنود بالسلاح .

ومن الجدير بالذكر ان الجند كانوا يتلقون التدريب على استعمال الاسلحة المختلفة ،كما كانوا يتدربون على ركوب الخيل والتسلق والرمي حيث استخدمت الخيول في الجيش الخوارزمي على نطاق واسع للاستفادة منها في الهجمات السريعة[٤]، واحتفظ سلاطينهم بنوع من الخيول الجيدة التي يطلق عليها اسم (فرس النوبة)[٥].

ويتبين ممّا ورد ان توفر السلاح بكمياته الكافية وانواعه المختلفة جعل جيش الخوارزميين من الجيوش القوية ، حيث صار بامكانه مواصلة الحملات العسكرية بعنف متزايد على المناطق المجاورة والاستيلاء عليها .

---

(١) انظر مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ١١ — ١٢ .
(٢) الراوندي ،راحة الصدور : ص ٥٥٠ .
(٣) القلقشندي ، صبح الاعشى : ٤ / ١١ — ١٢ .
(٤) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٤٨ .
(٥) النسوي ، سيرة جلال الدين : ص ١٧٨ .

التحصينـــــات العسكريـــــــة :

كان الجيش الخوارزمي يتكون من عدة فرق متباينـة الطباع، مختلفـــة اللغات متغايرة المزاج والأهواء ، اذ لـم تقتصر جيوشهم على الخوارزميـــن فقط ، بل اصبحت تتكون من عناصر أخرى من الشعوب الاسلامية الـــــتي انضوت تحت لواء الدولة الخوارزميـة ، فكانت جنسيـة الفرد تغلب عقيدتـــه الدينيـة ، فالفارسي يحاول أن يسود العربي ، والتركي يناضل لكـــي يستذل السابقيـن ويسيطر على نواحي الامبراطوريـة ، ولعلّ هذا يفسّـــر استمرار الفتن والقلاقـل والحروب الداخليـة بين تلك الأجناس ، مما دعـا الحكام الخوارزميـن الى بناء الاسوار واقامة القلاع المنيعة والحصون ، الـــتي تعتبر اقامتهـا ضربا من الفنون الحربيـة التي تدل على نشاط الخوارزميـن وولعهم بالحروب ، ولقد اهتم اولئـك السلاطيـن بانشاء قصورهم في داخل تلك القلاع وجلبوا فيها أسراتهـم وجعلوا فيها المخازن ومساكن الجنـــد ، ومحلات ايواء الاهالـي عند تهديد المدينة من الخارج ، ومن الامثلة الـــتي تذكر بهذا الصدد ان خوارزم شاه ايل ارسلان أمر بتحصيـن بخاري فبـــنى ربضا امام ربضها القديـم الذى يعود تاريخ بنائـه الى سنـــــة (٢٣٥هـ) واصبح كلاهما متصـلا ومحكمـا[1]، ومثل ذلك فعل خوارزم شاه علاء الديـن محمد بن تكش عندما استولى على بخاري سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م) فقـد

---

(١) ابو بكر محمد بن جعفر النرشخـي ، تاريخ بخاري ، تعريب الدكتـــور امين عبد المجيد بدوي ، نصر الله مبشر الطرازي (دار المعارف ، مصـــر القاهرة ، ١٩٦٥) ص ٥٧ .

عمّر قلعتها وأمر ببناء ربض وفصيل [(١)]

ويبدو ان الخوارزميين كانوا يخشون محاصرتهم في احدى القلاع فانشأوا لانفسهم قلاعا في المواصم التي اتخذوها لهم في مختلف الاقاليم حيث كان السلطان مرة في مرو ومرة في سمرقند ومرة أخرى في خوارزم .

هذا والجدير ذكره ان خوارزم شاه علاء الدين محمد عزم ان يبني سورا على مدينة سمرقند بكبرها ومحيطها ، وذلك عندما بلغه مسير جنكيزخان نحوه في عساكره ، ولتحقيق هذا الغرض فرّق عماله وجباته في جميع البلاد واستلفوا لسنة (٦١٥ هـ/ ١٢١٨ م) " خراجا تاما برسم عمارة سور سمرقند ، ولكن التتار عاجلوه عن ذلك المراد ولم يصرف شيء منها على عمارة السور " [(٢)]

وهناك ثمة ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي ان الخوارزميين كان لا بد لهم ان يدافعوا عن القلاع التي اتخذوها لانفسهم ، والراجح انهم كانوا يكلفون افراد الجيش الثابت الذى يخدم افراده بصفة دائمة بالدفاع عنها ، ولا بد انّهم كانوا يختارونهم عادة من اولئك الذين اعتادوا عيشة التقشف والخشونة وقدرة احتمال الاسفار والقتال .

أساليب الحرب :

كان اعلان الحرب يتم بناءً على اوامر السلطان للجيش بالتجهز ،

---

(١) أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي ، تاريخ بخارى : ص ٥٧ - ٥٨ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٨٩ .

ويسبق ذلك في العادة تعبئة الجيش واعداده وتجهيزه لمقاتلة العدو ، وكان بعض سلاطين الخوارزميين يستفتي كبار الفقهاء ومشايخ العلماء في شرعية القتال كما كان يفعل خوارزم شاه اتسز[١].

وبعد ان تتم التعبئة يتقدم الجيش بطلائعه التي يطلق عليها اسم (اليزك)[٢]، واليزك لفظ فارسي معناه الطلائع[٣]، وتستعمل للدلالة على الفرقة التي تكلف بعملية الكشف ويمّرن افرادها على جلب الاخبار من معسكر العدو ، ويبدو انهم كانوا من الخيالة . فقد اورد النسوي أن السلطان جلال الدين منكبرتي عبر نهر السند في سنة (٦١٩ هـ / ١٢٢٢م) هاربا امام المغول وكان معه اعيان خيله على رسم اليزك[٤].

وكان الجيش يتقدم بفرقه وجنده وطوائفه من الفرسان الذين يركبون الخيول ويرتدون الخوذ والدروع ، والمشاة الذين يحاربون مترجلين واسلحتهم السيوف والدروع والتروس والسهام .

والى جانب كتلة العساكر المقاتلة يشتمل الجيش الخوارزمي على جماعة من الخدم يقومون بنقل امتعته الضرورية مثل الخيام والاسلحة وخزائن الاموال والادوات الأخرى كالكوسات[٥] والنقارات[٦].

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ١١ ...... (٢) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص١٦٢ .
(٣) المقريزى ، السلوك : ق١ ، ١ / ١٠٥ ، حاشية ٣ . وانظر عبد الرحمن زكي ، السلاح في الاسلام : ص٦١ ..... (٤) سيرة جلال الدين : ص ١٦٢ .
(٥) الكوسات : (مر ذكرها في الفصل الثالث ، الحاشية) .
(٦) النقارات : جمع نقارة وهي من الآلات الملكية المختصة بالمواكب العظيمة وكانت تحمل في ركاب السلاطين الى الحرب فتستخدم في اصدار الاوامر وفي الايذان ببدء القتال . (المقريزى ، السلوك : ق١ ، ٣ / ٨١٩ حاشية رقم ٢) .

هناك اشارات تفيد ان الخوارزميين كانوا يصطحبون نساءهم واولادهم في بعض الحروب ، ومما يروى بهذا الصدد ان طائفة كبيرة من عسكر خوارزم تقدر بعشرة آلاف فارس ساروا باهليهم واولادهم الى بلد الجبل وذلك في سنة (٦٠٢ هـ / ١٢٠٥ م)[١].

وينبغي الاشارة هنا الى ان نظام العسكر الخوارزمي في المعارك الحربية لا يختلف فيما يبدو عما سبقه او لحقه من العهود الاسلامية على العموم ، اذ تألف الجيش من عسكر المقدمة ثم عسكر القلب حيث يكون السلطان بجنوده ، ثم عسكر آخر من ناحية اليمين عن موقف السلطان وعلى سمته ويسمى الميمنة ، ثم عسكر آخر من ناحية الشمال يسمى الميسرة ، ثم عسكر آخر من وراء العسكر كله يسمى المؤخرة ، وهذه هي الاصول التي اجمع عليها الخبيرون في ترتيب جيوش المسلمين ، وتلك الاصول في نظرهم كالأصول الواجبة[٢].

والتعبئة على هذه الصورة معناها ان يقف كل عسكر في موضعه بحيث تمتد الميمنة في مقابلة ميسرة العدو والميسرة في مقابل ميمنة العدو ، اما المؤخرة فتتكون عادة من المطبخ والخزينة والمدفعية والفائض من الخيول والاسرى والجرحى ، وتنطبق هذه الصورة لتعبئة الجيش على ما تواتر في الروايات المعاصرة عن التعبئة الخوارزمية[٣].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٢٣٨ .
(٢) الدكتور نظير حسان سعداوي ، التاريخ الحربي المصري على عهد صلاح الدين (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧) : ص ٢٢٥ .
(٣) النسوي ، سيرة جلال الدين : ص ٢٣٤ .

لقد كان سلاطين الخوارزميين يباشرون الحروب بأنفسهم ، وربما يعود ذلك الى عدم اطمئنانهم الى امرائهم ، ولا يفوتنا ان نذكر ان مشاركة السلطان بنفسه في الحرب يترك اثرا في نفوس جنده فيندفعون بحماس في القتال .

اما عن الاساليب التي اتبعها بعض السلاطين الخوارزميين في معاملة جنودهم في حالة هروب بعضهم اثناء الحرب او تقصيرهم في واجباتهم ، فهي غير واضحة ، وكل ما ورد بهذا الخصوص ان السلطان جلال الدين منكبرتي كان في تلك الاحوال يكلفهم الاخطار ويجشمهم المشاق الى ان يبدو منهم من الخدمة المرضية ما يرخص دنس تقصيرهم(١).

وقد سلك جيش الخوارزميين في معاركه التي خاضها طريقتين : الاولى الحصار العسكري والاقتصادي ، والثانية الاقتحام المباشر ، وتبدو الطريقة الاولى واضحة في محاصرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، قلاع بهرام الكنجي الذي اعتدى على نواحي كنجة التي خضعت للخوارزميين وقد استطاع جلال الدين ان يفتح قلعتي (شكان) و (عليا باذ) ، ولكن قلعتي (كـاك) و (كواريـن) امتنعتا عليه فحاصرهما ثلاثة اشهر حتى ضاق الحال بالكرج فاضطروا الى طلب الموادعة مقابل مبلغا من المال فقبل جلال الدين بذلك(٢).

ومثل ذلك فعل السلطان جلال الدين عند حصاره لخلاط فقد ضيق عليها حتى تغيرت صور اهلها من الجوع بحيث اصبح الأخ لايعرف أخاه

---

(١) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٧٤
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٢٩٣ ٠

ولا الوالد ولده ، ومات اكثرهم وتفرق الباقون[1] ، وتمكن من فتحها في سنة (٦٢٧ هـ / ١٢٣٠ م) .

وهكذا ايقن الخوارزميون ان استسلام المناطق المنيعة لهم لا يتأتى الاّ باتباع ابسط قواعد الحصار وهي تخريب القرى والحصون التي تموّنها بالعتاد والرجال وتحطيم مقاومتها المادية والمعنوية ، بالحصار الاقتصادى .

اما في الحروب المفتوحة ، فقد اتبع الخوارزميون الاسلوب الشائع آنذاك في الجيوش الاسلامية المعاصرة لهم ، حيث تقسم القوات الى عدة مجموعات: ميمنة ، قلب ، ميسرة ، مقدمة ، مؤخرة . وفي الحالات التي كانوا يرون فيها ان من الخطورة الدخول بمعارك مفتوحة مع العدو اما لقلة عددهم او لعدم ملائمة الظروف العسكرية والاستراتيجية لهذا النوع من القتال ، ففي هذه الحالات كانوا يلجأون الى شن الغارات على معسكرات العدو والانسحاب بسرعة ، وكانوا يستهدفون من ذلك اقلاق تلك المعسكرات ونشر الخوف والفوضى في صفوفها ، وذلك بما يحدثونه في اطرافها من قتل واختطاف ونهب وتخريب ، مما يؤدى ايضا الى اضطراب في تموين العدو وهو عامل هام لاضعافه ، ويبدو ان اكثر حروب الخوارزميين كانت تعتمد على شن الغارات بسبب تحكم الطبيعة البدوية فيهم ، وقد حققت تلك الاساليب انتصارات عديدة للخوارزميين .

ولا يفوتنا ان نذكر ان بعض سلاطين الخوارزميين اتبع اسلوب المخادعة

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣٣١ .

في ايهام العدو وايقاعه في كمائن الجيش الخوارزمي ، ومن ذلك ما فعله السلطان جلال الدين منكبرتي عندما قصد تفليس في سنة (٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) " فانه نزل بالقرب منها وسار في بعض الايام في طائفة من العسكر وقصدها لينظر اليها وينظر مواضع النزول عليها وكيف يقاتلها ، فلما قاربها كمن اكثر العسكر الذي معه في عدة مواضع ثم تقدم اليها في نحو ثلاثة آلاف فارس ، فلما رآه من بها من الكرج طمعوا فيه لقلة من معه ولم يعلموا انه معهم فظهروا اليه فقاتلوه فتأخر عنهم فقوى طمعهم فيه لقلة من معه فظنوه منهزما فتبعوه ، فلما توسطوا العساكر خرجوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتل اكثرهم وانهزم الباقون الى المدينة فدخلوها وتبعهم المسلمون "(١) يتبين لنا من هذا نجاح السلطان جلال الدين بخطته هذه في انزال خسائر كبيرة بعدوه بعد تطويقه وارباك صفوفه ومن ثم مطاردته .

الاستخبارات :

ومن اية جهة بحثنا في الجيش الخوارزمي فاننا نصادف ما نصادفه في العصر الحديث ، بما في ذلك نظام الاستخبارات الذى كان يطلق عليه في الدولة الخوارزمية اسم (الجواسيس) (٢).

وكان لهؤلاء الجواسيس اهمية كبيرة في الامور العسكرية لان " استطلاع

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٥٠ .

(٢) ن . م . ، ص ٢٦٢ .

خبر العدو واستعلام أمره من اهم الامور واكثرها نفعا "...(1) والراجح ان الجواسيس كانوا يرحلون الى البلاد المجاورة متنكرين في ازياء مختلفة وذلك لجمع الاخبار ونقلها الى دولتهم ، ويبدو ان الظروف المحيطة بالدولة الخوارزمية كانت تقتضي اليقظة والحذر ، اذ كان اعداؤها يحيطون بها من كل جانب يضاف الى ذلك طموح سلاطينها في توسيع دولتهم على حساب جيرانهم ومحاولتهم معرفة اوضاع (الجيران) قبل ان يبدأوا عملياتهم ، الامر الذى تطلب عناية كبيرة بأمور (الجاسوسية) .

ولم تشر المصادر الى السلطة العليا التي كان هؤلاء الجواسيس يرتبطون بها والمرجح انهم ارتبطوا بالسلطان الخوارزمي مباشرة نظرا لاهمية دورهم السياسي والعسكري ولانهم كانوا يتسلمون أوامرهم المباشرة منه .

الأسرى والغنائم :

اما فيما يتعلق بتوزيع الأسرى والغنائم ومدى خضوع ذلك للتنظيم والاحصاء ، فلا توجد عندنا معلومات لتوضيح ذلك ، ومن المحتمل أن كل جندى كان يمتلك ما يحصل عليه اثناء القتال من أثاث ودواب فيما عدا بعض انواع الاسلحة التي كانت تعود الى السلطان ، وكان افراد الجيش الخوارزمي يمتلكون ما يحصلون عليه عن طريق النهب(2)

---

(1) عمر بن ابراهيم الاوسي الانصاري ، تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق الدكتور جورج سكانلون (دار المعارف ، القاهرة ١٩٦١) : ص ١٢ .

(2) انظر ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٨٨ ، ١٢ / ٢٣٨ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٨ . ياقوت ، معجم البلدان : ١ / ٢٥٠ .

هذا ولا توجد هناك اشارات واضحة عن كيفيـة معاملة الأسرى وتبادلهم ومدى الاستفادة منهم في الاغراض العمرانيـة والاقتصادية ، وكل ما وصل الينا من اشارة عن موضوع الإسرى ان خوارزم شاه علاء الدين محمد أخرج فـي سنـة (٦٠٢ هـ/ ١٢٠٥ م) من الغوريين الذين اسرهم في المصاف علي باب خوارزم في سنـة (٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣ م)[١]، فخلـع عليهم واعطاهم الأمـوال ويروى عنه انه قال لهم : " ان غياث الدين اخي ولا فرق بيني وبينه فمـن احب منكم المقام فليقم ، ومن احبّ ان يسير اليه فانني اسيره ولو اراد منـي مهما اراد نزلـت له عنـه "[٢] وهناك حالة اخرى يتبيـن منها سوء معاملة الخوارزمييـن للاسرى بل وقتلهم ، فقد اورد (النسوى) ان تركان خاتـون والدة خوارزم شاه علاء الدين محمد أمرت بقتـل اثني عشر أسيرا من الملـوك وابناء الملوك وغيرهم من ذوى المراتب مثل ابني السلطان طغرل السلجوقـي وعماد الدين صاحب بلخ وابنـه الملك بهرام شاه صاحب ترمذ وعلاء الدين صاحب باميان وجمال الدين عمر صاحب وخش وغيرهـم[٣].

النقل فـي الجيـش :

استخدم الجيش الخوارزمـي في تنقلاتـه الجمال[٤] والبغال والخيـول[٥]،

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٨٦ .
(٢) ن . م . : ص ٢٢٩ .
(٣) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٩٤ .
(٤) ن . م . : ص ٧٥ .
(٥) الكامـل : ١٢ / ٤٥٠ .

وكانت الجمال تستخدم في المناطق المنبسطة والسهلية والصحراوية ، بينما كانت البغال تستخدم في المناطق الجبلية ، ويبدو ان قسما من تلك الدواب كانت تؤخذ من المناطق التي يستولون عليها والدليل على ذلك ان السلطان جلال الدين منكبرتي سار في سنة (٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م) الى بعقوبا وكان معه قلة من الدواب فغنم ومن معه من البلاد جميعها " واكثروا من اخذ الخيل والبغال فانهم كانوا في غاية الحاجة اليها "[(١)]

معسكرات الجيش الخوارزمي :

كان للجيش الخوارزمي نوعان من المعسكرات : الاول منهما معسكرات دائمية لاقامة الجند فيها والراجح انها كانت تتخذ في المدن المهمة والقلاع التي استولوا عليها .

اما النوع الثاني فهو معسكرات غير ثابتة توجد في الحالات الطارئة وتتخذ عادة من الخراكي والخيام[(٢)] اثناء غزواتهم . وفي الحالة التي يشارك فيها السلطان في تلك الغزوات كان يفرد له خيمة خاصة ، وينشر له الجتر[(٣)] الذى هو من شعار السلطنة .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٥٥ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٦٤ .
(٣) ن . م . : ص ٥٤ .
والجتر : بجيم مكسورة قد تبدل شينا معجمة : المظلة ، وقد كانت في ايام الفاطميين والايوبيين والمماليك في مصر من شعار السلطنة ، وهي عبارة عن قبة من الحرير الاصفر المزركش بالذهب في اعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في العيدين .
انظر: القلقشندى ، صبح الاعشى : ٤ / ٧ - ٨ .

معاملة الجند الخوارزميين لاهالي البلاد المفتوحة :

لم تكن معاملة الجند الخوارزميين لاهالي البلاد التي فتحوها حسنة ، اذ كانوا يعتدون على الاهالي على مرأى من سلاطينهم ، وتتفق اكثرية المراجع التي دونت عنهم في بلاد مختلفة تمام الاتفاق على ما امتازوا به من غلظة وعنف بحيث كان من ينجو برأسه من سيوفهم لا يستطيع ان ينجو من عسفهم وظلمهم ، وكانت قسوتهم وغلظتهم تزداد بازدياد نجاحهم ونفوذهم ، حتى لم نعد نسمع بحادثة واحدة اظهروا فيها قليلا من الرحمة والشفقة حيال سكان المدن البائسة التي وقعت تحت أيديهم وكأن رحمة الاسلام قد نزعت من قلوبهم عندما " كانوا يريقون دم الانسان كما يريقون الماء "(١)

وقد سلك الجند الخوارزميون طريق الظلم والتخريب واخذ اموال الناس وممتلكاتهم ، وان ما فعلوه في العراق العجمي بعد استيلائهم عليه في عهد خوارزم شاه محمد بن تكش يؤيد ذلك ، " فكانوا كلما نزلوا بقرية من القرى استولوا على ما بها من دواب وتركوا الفلاحين يسيرون من ورائهم في حسرة وحزن ونهبوا بهذه الطريقة جميع الاموال والمتاع والدواب من ولاية العراق "(٢)

ويبدو ان خوارزم شاه محمد بن تكش لم يظهر رضاه عن تصرفات جنده في العراق العجمي ، فعندما اغار (مياجق) نائبه فيه سنة

---

(١) الراوندي ، راحة الصدور : ص ٥٥٣ .

(٢) ن . م . : ص ٥٢٢ .

(٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م) على حيوانات القرويين ونهبها ، صادف ذلك قدومه (خوارزم شاه) الى العراق العجمي في السنة المذكورة فلم يقبل ذلك منه وقال للاهالي : " اذا ارتكب شخص من جندنا عملا غير لائق فاننا نأمر بقتله فاستبشر الناس وفرحوا "[١] ويبدو ان خوارزم شاه كان يرمي بذلك الى استمالة الاهالي واخضاعهم الى حكمه .

وفي عهد السلطان جلال الدين منكبرتي استمر جنده بمضايقة السكان فضجّوا بالشكوى منهم ، وقد روى ابن الاثير في حوادث سنة (٦٢٢هـ) ان اوزبك ابن البهلوان صاحب اذربيجان وأرآن سار من تبريز الى كنجة خوفا من جلال الدين ، وارسل جلال الدين الى من في تبريز من وال وامير ورئيس يطلب ان يتردد عسكره يمتارون فأجابوه الى ذلك واطاعوه ، فتردد العسكر اليها وباعوا واشتروا الاقوات والكسوات وغيرها ومدّوا ايديهم الى اموال الناس ، فكان احدهم يأخذ الشيء ويعطي الثمن ما يريد "[٢] وقد شكا اهل تبريز الى السلطان جلال الدين ما يعانوه من تصرفات جنده فأرسل اليهم شحنة " وامره ان يقيم بتبريز ويكف ايدى الجند عن اهلها ومن تعدى على احد منهم صلبه "[٣] وقد اقام الشحنة في تبريز ومنع الجند من التعدى على احد من الناس غير انه اخذ يكلف اهلها اكثر من طاقتهم وشكوه الى السلطان جلال الدين فأمر ان لا يعطى الا ما يقيم به لا غير[٤]

---

(١) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٣١ - ٥٣٢ .
(٢) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٤٣٣ .
(٣) ن . م . : ص ٤٣٣ .
(٤) ن . م . : ص ٤٣٣ .

ويبدو ان السلطان جلال الدين اراد ان يهون الأمر على اهل تبريز من جراء ما عانوه على ايدى جنوده وحاول ان يبرر ذلك بقوله : " اننا في هذا الوقت غزاة فاتحون للبلاد ولسنا مدبرين لشوؤنها ولا يشترط عند الغزو مراعاة شوؤن الرعية فاذا ما صرنا حكاما فاننا سوف نغيث الملهوفين ".(١)

يتبين لنا مما تقدم ان معاملة الجند الخوارزميين لاهالي البلاد التي أخضعوها كانت قائمة على القسوة والغلظة ، ويبدو ايضا ان قسوتهم كانت متعمدة يقصدون بها ايقاع الرعب في قلوب اعدائهم حتى يشل الفزع حركتهم فلا يقدرون على المقاومة او المدافعة .

وقد حاول اهل بعض المدن التي خضعت لهم ان يستغل انشغال الخوارزميين بمشاكلهم والحاق الاذى بهم والتخلص من سيطرتهم ، ومن ذلك ما فعله اهل اصفهان عندما خفي خبر السلطان جلال الدين منكبرتي عندما التقى بالتتار سنة (٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨ م) ، حيث " همت عامة اصفهان بمد الايدى الى عورات النساء الخوارزمية واموالهن ".(٢)

---

(١) رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، جامع التواريخ ، الترجمة العربية ، مج ٢ ، ١ / ٣٠١ — ٣٠٢ .

(٢) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٣٧ .

الفصل السابع

النظام الاداري في الدولة الخوارزمية

السلطنــــــــة :

تلقب حكام الدولــة الخوارزميــة ، بادئ الامر بلقب (خوارزم شــاه) ومعناه (ملك خوارزم) واول من تلقب بهذا اللقب ، هو قطب الديــــن محمد بن انوشتكيــن ، وذلك في سنة ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٧م [١].

ولما توسعت الدولة الخوارزميــة ، على عهد خلفائــه ، واستطاعــــت ان تحتل مكانها بيــن الدول الكبرى ، بعد ان غزت فارس واواســــط آسيا واستولت على ممتلكات السلاجقة ، اصبح لقب (خوارزم شاه) لايتناسب وهذه المكانة ، لذلــك خلع خوارزم شاه علاء الدين تكش (٥٦٨–٥٩٦هـ / ١١٧٢ – ١١٩٩م) على نفســه لقب السلطنــة ، بعد ان ازال ملـــك السلاجقــة في سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م [٢]، كما دوّن اسم (سلطـــــان) على السكة التي ضربهـــا [٣]، ومع ذلك فان علاء الدين تكش نفسه ظــــل يعرف في خارج دولتــه بلقب (خوارزم شاه) .

وبعد ان وصلــت الدولة الخوارزميــة اوج عظمتها في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد اطلق هذا على نفســه لقب(أسكندر) [٤].

---

(١) ابن الاثيــر ، الكامل : ١٠ / ٢٦٨ .
(٢) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥١٢ .
(٣) دائرة المعارف الاسلاميــة (الترجمة العربية) : ٩ / ١٦ .
(٤) انظر : ظهير الدين بن سعيد نصير الدين مرعشي ، تاريخ طبرستـــان ورويــــان ومازندران (تهران ١٣٣٣) : ص ١٨٧ . محمد عوفي ، لباب الالباب (تهران ١٣٣٣ هـ) : ص٣٦ . خوأندمير ، حبيب السيــــر : ٢ / ٦٤٦ .

لقد كانت سلطة السلطان الخوارزمي غير محدودة تتضمن تعيين وعزل الوزراء وحكام الولايات والقضاة واصحاب المناصب العسكرية العالية ، وهو المسؤول الاول عن السياسة العامة واعلان الحرب وقيادة الجيوش وهو الذى يأمر باقطاع الاراضي كما يأمر بوضع الضرائب او ازالتها .

ومن المناسب ان نذكر هنا نموذجا لتعيين احد حكام الولايات وهو عبارة عن فرمان اصدره خوارزم شاه علاء الدين تكش بتعيين شمس الدين مياجق نائبا عنه في العراق العجمي ، وقد قرئ هذا الفرمان في همذان في يوم الجمعة العشرين من رجب سنة ٥٩٤ هـ بحضور ائمتها وقد جاء فيه :

" ان الملك العادل ، الفاتح ، المظفر ، الحاجب ، الاعظم ، ملك امراء الشرق والغرب شمس الدين ظهير الاسلام والمسلمين ، قائد الجيش الغازى ومحافظ الثغور مياجق ظهير امير المؤمنين وعبدنا وقد اتضح لنا عدله ، فاستقر راينا على ان يكون نائبا على جميع العراق وان يباشر كل ما كان لنا من حقوق وقبل ذلك وان يخضع له الحكام والقضاء وغيرهم من العمال "(١)

واضافة الى كون صلاحيات السلاطين الخوارزميين واسعة ، فان بعضهم كان يشاور اصحاب الدراية ، في الامور الهامة ، ومن امثلة هذا ، ان خوارزم شاه علاء الدين محمد كان يشاور الفقيه الفاضل شهاب

(١) الراوندى ، راحة الصدور : ص ٥٥١ .

الدين ابو سعد بن عمران مفتي المذهب الشافعي[١] كما ورد عنه ايضا انه كان يشاور نظام الدين السمعاني في امور الملك وتدابيرها[٢]

نظام الوراثة :

كان نظام الحكم لدى الخوارزميين وراثيا . وجرت العادة ان يعين السلطان ولي عهده في حياته ، وفي هذا يذكر ابن الاثير في كلامه عن حوادث سنة ٥٩٣ هـ قوله : " وفيها توفي ملكشاه بن خوارزم شاه تكش بنيسابور ، وكان ابوه قد جعله فيها واضاف اليه عساكر جميع بلاده التي بخراسان وجعله ولي عهده في الملك "[٣]

وقد حرص سلاطين الخوارزميين على الا يرث السلطنة غير الاكبر من ابناء السلطان السابق ، واذا كانوا قد شذوا عن هذه القاعدة احيانا كما فعل خوارزم شاه ايل ارسلان عندما عهد الى ابنه الاصغر سلطان شاه بتدبير والدته ، فقد اساء ذلك ابنه الاكبر علاء الدين تكش فاستنجد بالخطا واخرج أخاه سلطان شاه ووالدته من خوارزم وذلك بعد وفاة والده ايل ارسلان في سنة ٥٦٨ هـ / ١١٧٣ م[٤]

وقد تكررت مثل هذه الحال على عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد

---

(١) النسوي ، راحة الصدور : ص ٥٥١ .
(٢) ن . م . : ص ١٢٣ .
(٣) الكامل : ١٢ / ١٣٠ - ١٣١ .
(٤) ابن الاثير ، الكامل : ١١ / ٣٧٧ . خواندمير ، حبيب السير : ٢ / ٦٣٣ - ٦٣٤ .

الذى عهد بالملك من بعده لابنه ازلاغ شاه متخطيا ابنه الاكبر جلال الدين منكبرتي ، مدفوعا بتأثير أمه تركان خاتون ونفوذها[١]، الا انه عدل عن رأيه وهو على فراش الموت فأوصى بالولاية لابنه جلال الدين منكبرتي حرصا منه على مصلحة الدولة[٢].

الولاة :

كان السلطان الخوارزمي يعين نوابا عنه في المدن والاقاليم التابعة له ، يقومون بادارتها ، وكان هؤلاء يقدمون المال اللازم لخزينة السلطان ، والقوات العسكرية المناسبة ، ولم تكن السلطة الممنوحة لهم كاملة ، بل كان السلطان يتدخل في شؤونهم ، اذا اقتضى الأمر ذلك ، ويعاقبهم اذا ظهر منهم عملا لا يرضاه ، وربما بلغت عقوبته لهم الى حد القتل اذا ما استغلوا مناصبهم لاغراضهم الشخصية ، ومثال ذلك ان شمس الدين مياجق ، نائب خوارزم شاه علاء الدين تكش في العراق العجمي ، كان منصرفا الى جمع المال بأية وسيلة كانت ، فاظهر لاحد الولاة وهو حسام الجاندار ، انه يرغب بزواج ابنته من ابنه ، فأحضر القضاة والأئمة ، ولم تكن له في الحقيقة بنت ، فعقدت الخطوبة على مجهولة ، وانفق حسام الجاندار في هذه الخطبة عشرة آلاف دينار ومائة حمل من انواع

---

(١) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٧١ .
(٢) ن.م. : ص ١٢٠ .

الملابس والمأكولات ، وفي اليوم التالي ارسل حملا من الذهب ، بمثابة مهر للبنت ، ولكن هذه المصاهرة كانت ضربا من المحال ، واستولى حسام الجاندار على اموال القضاة والأئمة واعطاها لشمس الدين ، وعندما أحس خوارزم شاه بـه ، قتله ونكل به ليكون عبرة للناس[1].

الـوزارة :

ظهر منصب الوزارة لاول مرة لدى الخوارزميين ، على عهد خوارزم شاه أتسز بن محمد بن انوشتكين (٥٢١ — ٥٥١ هـ / ١١٢٧ — ١١٥٦م) ، وقد وردت الينا اشارة الى اثنين من وزرائه ، هما : الفلكي ابو المظفر سعيد ابن محمد بن عبد الله النيسابوري المحدث[2] والآخر هو شمس الدين ابي الفتح محمد بن علي بن موسى[3].

(١) الراوندي ، راحة الصدور : ص ٥٥١ — ٥٥٢ .

(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ق ٣ : ٤ / ٤٩٦ . قال ابن الفوطي في ترجمته : " سمع بنيسابور ابا الحسن علي بن احمد بن محمد المديني المحدث المؤذن ، وقد كان الفلكي وزيرا لصاحب خوارزم ، ثم خافه ، فخرج عن خوارزم وحج ، وقدم الشام سنة (٥٣٣ هـ) ، وعمر خانقاه السميساطي ، وكانت وفاته في سنة (٥٦٠ هـ) بدمشق " . انظر تلخيص مجمع الاداب ، ق ٣ : ٤ / ٤٩٦ — ٤٩٧ .

(٣) تلخيص مجمع الاداب ، ق ٣ : ٤ / ٢٦٩ — ٢٧٠ . وقد ذكر ابن الفوطي ان هذا الوزير استشهد سنة (٥٥٠ هـ) ورثاه فخر الافاضل ابو حفص عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي القضاعي الشاعر بقوله :

لفقدك شمس الدين اظلمت الشمس	واشرق من لألاء غرتك الرمس
وذكرك في الدنيا جديد وقد مضت	عليك فابلت جسمك الحجج الخمس
فلا تعذلونا ان جزعنا لقتله	فقد جزعت من قتله الجن والانس
أحين جرى في الشرق والغرب امره	وعزت لديه العرب والترك والفرس
اصابته احداث الزمان وسلطت	على أسد الدنيا سراحينها الطلس

(تلخيص مجمع الاداب ، ق ٣ : ٤ / ٢٧٠)

وقد تبين لنا من دراسة نظام الوزارة في الدولة الخوارزمية ما يلي :

١ - كان تعيين الوزير وتفويض السلطة اليه من صلاحية السلطان الخوارزمي باعتباره المشرف الفعلي على شؤون دولته ، لهذا كانت سلطة الوزير محدودة لان بقاءه في مركزه يتوقف على رضا السلطان عنه .

٢ - ان عدد الوزراء الخوارزميين كان يتباين في عهود سلاطينهم ، فبينما اكتفى خوارزم شاه اتسز (٥٢١ - ٥٥١ هـ / ١١٢٧ - ١١٥٧ م) وعلاء الدين تكش (٥٦٨ - ٥٩٦ هـ / ١١٧٣ - ١١٩٩ م) باتخاذ وزير واحد ، كما جرت عليه العادة في الدول الاسلامية الاخرى ، نجد ان خوارزم شاه علاء الدين محمد قد شذّ عن هذه القاعدة فاتخذ اكثر من وزير في آن واحد ، فنسمع مثلا بوزير له في نسا[1] ، وآخر في نيسابور[2] ، وثالث في بلاد الترك[3] ، وهكذا .

ومن المحتمل جدا ان يكون مدلول كلمة (وزير) قد تطور في ايام خوارزم شاه علاء الدين محمد ، وصار يطلق في معناه على ما يقابل (الوالي) أو (نائب السلطان) .

٣ - ان الوزراء كانوا يعيشون من اقطاعات مقررة يمنحهم السلطان اياها ، فتكون لهم بمثابة ضيعات خاصة ، الى جانب مرتباتهم بحكم الوظيفة ، ومثال ذلك ان السلطان جلال الدين منكبرتي ، أقطع وزيره في نسا ، ضياء الملك

---

(١) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٦٧ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٧٦ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ٩٧ .

علاء الدين محمد بن مودود العارض النسوى" اقطاعا بعشرة آلاف دينار ، مضافة الى منافع الوزارة ومعايشها "(١)

٤ ـ عزل بعض الوزراء من مناصبهم ، بسبب ابتزازهم اموال الناس وقضاء حاجاتهم عن طريق الرشوة ، ومثال ذلك ان خوارزم شاه علاء الدين محمد عزل وزيره بنيسابور ، نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ، عن الوزارة لهذا السبب(٢).

٥ ـ تدخل (تركان خاتون) ، والدة خوارزم شاه علاء الدين محمد في تعيين الوزراء ، ومن ذلك انها اشارت عليه باستيزار ناصر الدين محمد بن صالح ، بنيسابور بالرغم من عدم رغبته فيه(٣).

ومع ذلك كله فقد اسندت مقاليد الوزارة الى كثير من مشهوري الوزراء ، نذكر منهم : الوزير نظام الملك بن مسعود بن علي وزير خوارزم شاه علاء الدين تكش ، وكان هذا الوزير صالحا كثير الخير ، حسن السيرة ، ومن اعماله الجليلة بناؤه جامعا للشافعية بمرو ، ومدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامعا ، وجعل فيها خزانة كتب ، كما له اثار حسنة بخراسان(٤).

وقد لقي هذا الوزير مصرعه على ايدى الاسماعيلية في سنة (٥٩٦ هـ/ ١١٩٩م)(٥)

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٥١ .
(٢) ن ٠م٠ : ص ٧٦ .
(٣) ن ٠م٠ : ص ٧٦ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل : ١٢ / ١٥٨ . ذكره خواندمير في دستور الوزراء ، باسم نظام الملك سعد الدين مسعود بن علي الابهري . (انظر غياث الدين بن همام الدين ، دستور الوزراء ، طهران ١٣١٧هـ ، ص ٢٣١).
(٥) الكامل : ١٢ / ١٥٨ . خواندمير ، حبيب السير : ٢ / ٦٤٠ ـ ٦٤١ .

وخلف بعده ولدا صغيرا استوزره خوارزم شاه تكش ، تقديرا منه لحق ابيه ، ولكنه طلب من خوارزم شاه ان يعفيه من هذا المنصب الجليل لصغر سنه ، فلم يجبه الى طلبه ، ثم ان الصبي لم تطل ايامه فتوفي قبل وفاة خوارزم شاه تكش بيسير وذلك في سنة (٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م) .(١)

واشتهر من وزراء خوارزم شاه علاء الدين محمد ، وزيره في نسا ، ظهير الدين مسعود بن المنوّر الشاشي (٢) ، والوزير نظام الملك مسعود بن صالح الفرّاوي (٣) كذلك اشتهر وزيره بالري عماد الدين عرّاق الذى قال له عند انهزامه امام المغول ودخوله الري : " يا مولانا ، المصلحة ان تنهزم وانا اكسرهم لك " .(٤)

واشتهر من وزراء السلطان جلال الدين منكبرتي ، وزيره محمد بن احمد النسوى ، (موءلف سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) الذى تولى منصب الوزارة في مدينة (نسا) ، وشرط عليه السلطان عندما قلده هذه الوظيفة ان يبقى الى جانبه وان ينيب عنه فيها احد ثقاته (٥) .

وبالرغم من اشتهار كثير من الوزراء في الدولة الخوارزمية ، فاننا نجد ان البعض الآخر منهم ، كان لا يهمه من منصب الوزارة الا مصلحته الخاصة ، ومثال ذلك ان الوزير علاء الملك العلوى ، وزير خوارزم شاه علاء الدين محمد ،

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ١٥٩ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٦٧ .
(٣) ن . م . : ص ٦٩ .
(٤) الحموى ، التاريخ المنصورى : ص ٢٨٧ .
(٥) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٥٢ .

التجأ الى جنكيزخان بعد هزيمة سيده ، فاكرمه جنكيزخان وجعله عنده من جملة خواصه[١]، ويلغ من قدره عنده ، انه عندما استولى المغول على بلاد العجم وخربوا وقتلوا ، توجهت طائفة منهم الى هراة ، وهنا تقدم علاء الملك الى جنكيز خان وسأله ان يعطيه امانا لاولاد الشيخ فخر الدين محمد بن العمر بن الحسين الرازى خطيب الرى ، الذين كانوا في هراة ، وسبب شفاعته لهم يعود الى انه كان متزوجا من ابنة الشيخ فخر الدين ، وقد اجابه جنكيزخان الى طلبه ووهب الامان لهم ، فلما دخل المغول الى هراة وقتلوا فيها اخذوا اولاد الشيخ فخر الدين وهم ضياء الدين وشمس الدين واختهم وتوجهوا بهم الى جنكيزخان الذى كان حينئذ في سمرقند[٢].

هذا وان من يستقصي اخبار الوزراء الخوارزميين ، يجد ان سلطة الوزير كانت تقوى وتضعف تبعا لقوة السلاطين ، فالسلطان علاء الدين محمد ، الذى عرف بقوة شخصيته استطاع ان يحد من نفوذ وزرائه اذا احسّ منهم شيئا لا يرضاه ، ومثال ذلك انه عزل وزيره بنيسابور ، نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح عن الوزارة لانه " كان ينقم عليه احداثا ، ويحقد عليه عادات منها شرهه بالبراطيل وتعريضه المهام للتعطيل "[٣] وكان نظام

---

(١) موفق الدين بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجي ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء : ٣ / ٣٩ (مطبعة الاقبال ، بيروت ، ١٩٥٧) .

(٢) ن ٠م ٠ : ٣ / ٣٩ .

(٣) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٧٦ .

الملك ناصر الدين هذا قد شغل منصب الوزارة مدة سبع سنوات وكان من اسباب عزله ايضا اتهامه بابتزاز اموال الدولة[١].

ومن الجدير بالذكر ان خوارزم شاه علاء الدين محمد لم يعين وزيرا بعد عزل نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ، ويبدو انه تشكك بوزرائه وخشي انفرادهم بالحكم ، وهداه تفكيره الى طريقة جديدة لاشغال منصب الوزارة فنصّ على ستة من الوكيلدرية وشرط عليهم ان لا يصدر امرا منهم بالا باتفاق ، وهؤلاء الستة هم : نظام الدين كاتب الانشاء ، ومجير الملك تاج الدين ابا القاسم ، والأمير ضياء الدين البيابانكي ، وشمس الدين الكلاباذى ، وتاج الدين بن كريم الشرق النيسابورى ، والشريف مجد الدين محمد النسوى[٢]. ويبدو ان خوارزم شاه علاء الدين محمد لم يكن موفقا في عمله هذا " اذ كان ارضاء واحد على العلات أسهل من ارضاء ستة " ، كما يقول النسوى[٣].

وقد تلقب وزراء الدولة الخوارزمية بالقاب جديدة مضافة الى اسمائهم ، ويبدو انهم اقتدوا بالسلاجقة في هذا الشأن ، فبعد ان كانوا يخاطبون وزراءهم بلقب خواجه[٤] و (صدرجهان)[٥] ، اصبحوا يخاطبونهم

---

(١) خواندمير ، دستور الوزراء : ص ٢٣٣ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٨٢ . خواندمير ، دستور الوزراء : ص ٢٣٣ .
(٣) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٨٢ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ١٨٦ . وخواجه : كلمة فارسية تعني كبير (انظر الدكتور محمد التونجي ، المعجم الذهبي ، دار العلم ، بيروت ١٩٦٩) ص ٢٤٣ .
(٥) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٦٩ .

بالقاب معظمة ، فقد تلقب الوزير ناصر الدين وزير خوارزم شاه عـــلاء الدين محمد ، بـ (المثال العالي ، الصاحبي ، المعظمي ، الصدري ، الاعظمي ، العالمي ، العادلي ، المؤيدى ، المظفرى ، المنصوري ، المجاهدى ، المرابطي ، القوامي ، النظامي ، العمدتي ، العدتي ، الكهفي ، الخالصي ، القطبي ذى المناقب والمناصبي قطب الميامن ، والسعاداتي ، قدوة صدور العرب والعجمي ملك وزراء الشرق والمغربي دستور ايران ، وبوارى اينانج قتلغ الغ ملكا ، اعظم خواجه جهان لازال عاليا)[1]

لم تتوفر لدينا معلومات عن كيفية تعيين الوزير ، في الدولة الخوارزمية ، ومن المحتمل ان يكون الخوارزميون قد ساروا في هذا الشأن على نفس القاعدة التي سارت عليها الدول الاسلامية الأخرى ، وهي انه عندما يقع نظر الخليفة او السلطان على شخص اتفق معه على ذلك ، يسجل حينئذ عقدا يوقعه كل من الطرفين المتفقين ، وتختلف صيغة العقد باختلاف درجة المنصب[2].

الدواويـــــن[3] :

كانت الدواوين في البلاد الاسلامية تمثل اهم مظهر من مظاهر التنظيم

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٨١ - ٨٢ .
(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى : ١١ / ١٠١ .
(٣) اتخذت الادارة الاسلامية كلمة (ديوان) لتدل على سجلات الحساب العامة ، وفيما بعد اطلقت على المكان الذى يعمل فيه ارباب الوظائف المالية ، واخيرا اطلقت على جميع فروع الادارة الاسلامية سواء المدنية منها او العسكرية او الادارية . انظر :
Encyclopadia of Islam, Art Diwan vol.1 , P.979 , (1913) .

الاداري ، ففي الدولة العباسية وخاصة في عصورها الاخيرة كانت بغداد مركزا لدواوين عديدة تشرف على ادارة شؤون العراق العامة كديوان الزمام وديوان الانشاء وديوان عرض الجيش وديوان التركات وديوان الابنية وديوان الحسبة وديوان العقار وديوان المقاطعات [1] .

وقد اتخذت الدول والممالك الاسلامية بغداد حاضرة الخلافة العباسية قدوة لها في هذا الشأن فاوجدت الدواوين المناسبة لها لكي تشرف على ادارتها ، ويبدو ان الخوارزميين قد تأثروا بهذا النوع من التنظيم الاداري فادخلوه في بلادهم فاوجدوا ديوان الجيش [2] ، الذي يسمى احيانا (ديوان العرض) [3] وهو نموذج لما كان عليه ديوان عرض الجيش في الدولة العباسية .

ولديوان الجيش اهمية كبيرة خاصة في دولة واسعة الاطراف ، وكان هذا الديوان يضم اسماء القواد ومناصبهم والجند وطوائفهم ، ورواتبهم واعطياتهم واقطاعاتهم ، وما يتعلق باحوالهم الأخرى .

وكان ديوان الانشاء في الدولة الخوارزمية من الدواوين المهمة ، لان مهمته تظهر في اذاعة المراسيم وتحرير الرسائل السياسية ، ومراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية ، لذلك تعتبر وظيفة كاتب الانشاء من الوظائف الرئيسية لدى الخوارزميين ، يختارون لها الاشخاص الذين عرفوا بالكتمان وسعة الاطلاع في الكتابة واللغة وفنون

---

(١) الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين : ص ٦٦ - ٦٧ .
(٢) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٤٩ .
(٣) ن . م . : ص ٢٥١ .

الادب الأخرى لكي يضفي ذلك على وظيفتهم البهاء والكفاءة •

ومن تولى كتابة الانشاء في الدولة الخوارزمية ، رشيد الدين محمد العمري الكاتب البلخي المعروف بـ(رشيد الدين الوطواط) وذلك على عهد خوارزم شاه اتسز (٥٢١ - ٥٥١ هـ/ ١١٢٧ - ١١٥٦م) وكان في الوقت نفسه يعتبر كاتبه الخاص ، واكبر كتاب الدولة وقد صاحبه في اغلب الاوقات •

وكانت المودة والالفة موكدة وثيقة الاساس بينه وبين مولاه ، وكان (اتسز) يحسّ بكثير من المتعة في محاوراته لكاتبه ومحادثاته ، ولم يكن يبتعد عنه ساعة من الساعات(١)

وبعد وفاة خوارزم شاه أتسز دخل رشيد الدين الوطواط في خدمة ابنه خوارزم شاه ايل ارسلان (٥٥١ - ٥٦٨ هـ) واشتغل بنفس العمل الذى كان له على أيام ابيه •

ويبدو ان رشيد الدين الوطواط اعفي من منصبه في اواخر ايام (ايل ارسلان) اوفي ايام ابنه علاء الدين تكش ، كما يوءخذ ذلك من احدى رسائله(٢) وانصرف بعد ذلك الى الاشتغال بالطاعة والعبادة ، وهناك احتمال قوى أن الذى اعفى رشيد الدين من عمله هو السلطان تكش(٣).

(١) انظر : محمد عوفي ، لباب الالباب : ص٣٦ • ومقدمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي لكتاب رشيد الدين الوطواط (حدائق السحر في دقائق الشعر) ط١ (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥) ص٥•
(٢) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط : ٢ / ٢٨ •
(٣) الدكتور ابراهيم الشواربي ، مقدمة حدائق السحر في دقائق الشعر : ص١٦•

وهناك اسماء اخرى لاشخاص تولوا كتابة الانشاء في الدولة الخوارزمية نذكر منهم نظام الدين كاتب الانشاء لخوارزم شاه علاء الدين محمد (١)، ومحمد بن احمد النسوى الذى عهد اليه السلطان جلال الدين منكبرتي بوظيفة كاتب الانشاء فتقلدها كارها في بادىء الأمر ثم تعلق بها بعد ان هم عليه نفسها وصار يقاتل - على حدّ تعبيره - من يزاحمه عليها (٢).

الحجابة :

الحاجب موظف كبير كان يقف بباب السلطان ويخبره باسماء من يريدون مقابلته ، وينظم دخولهم الى مجلسه مراعيا في ذلك مقامهم واهمية اعمالهم ، وتقابل وظيفته عمل مدير التشريفات اليوم .

ويبدو ان اغلب سلاطين الخوارزميين ، اتخذوا عددا من الحجاب (٣)، ربما لانهم كانوا يبدلونهم ، أو انهم كانوا يتناوبون الوظيفة اثناء الليل والنهار ، لان واحدا لا يكفي لهذه المهمة .

ويبدو ايضا ان من اختصاصات الحاجب ، الاتصال بالسلاطين والملوك وعرض وجهات نظر السلطان الذى يقوم الحاجب بخدمته ، ومثال ذلك ان شهاب الدين مسعود الذى كان حاجبا لخوارزم شاه علاء الدين تكش ، راسل السلطان طغرل السلجوقي سرا ونصحه أن ينزل لسيده عن الري

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٨٢ .
(٢) ن ٠م ٠ : ص ١٩٤ - ١٩٥ .
(٣) ن ٠م ٠ : ص ١٨٦ .

من اجل ان تنحفظ الدماء[١] ولم يكن الحاجب ليتخذ من قصر السلطان مقرا دائما له بل كان على ما يبدو يساهم مع السلطان في حروبه خارج عاصمته .

الوكيلدرية :

وكانت هناك وظيفة اخرى في الدولة الخوارزمية ، شبيهة بوظيفة الحاجب تعرف بـ(الوكيلدرية)[٢] ، ويبدو ان صاحبها ، كان يلازم السلطان ويحادثه في اوقات فراغه بما يذهب عنه الملل والضجر ، ولعل المؤهلات التي يجب توافرها فيمن يتولى هذه الوظيفة ، هي نفس المؤهلات التي عرفت لدى السلاجقة ، ومنها ان يكون (الوكيلدر) عارفا باخلاق السلطان في وقت رضاه وسخطه وقبضه وبسطه ، فاذا وجده منقضبا تلطف في تنشيطه مما ينفق عليه من الحديث الرائق ، حتى اذا رأى منه سيماء القبول حدثه بمقصوده ، والا جرى في الامساك على معهوده ، فان السلطان لا يثبت على حالة ، ولا بد له من ضجر وملالة "[٣]

الطغراء :

ومن وظائف الدولة الخوارزمية المهمة وظيفة (الطغراء) ، والمقصود به رئيس الديوان السلطاني ، وكان يلقب بالطغرائي[٤] ، وقد كانت منزلة

(١) الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : ص ١٩١ - ١٩٢ .
(٢) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٨٢ .
(٣) الراوندي ، تاريخ دولة آل سلجوق : ص ٨٦ .
(٤) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٤٧ .

الطغرائي في الدولة الخوارزمية دون منزلة كاتب الانشاء ، اى عكس ما كانت عليه الحال عند السلاجقة[1] ، وكانت مهمة الطغرائي في الادارة الخوارزمية هي حمل الاختام الموكل بالتوقيع فيها ويتولى تبليغ الاوامر السلطانية الى الجهات ومدن الممالك[2].

وقد ورد الينا نموذج لصيغة توقيع طغراء خوارزم شاه علاء الدين محمد تحمل عبارة " السلطان ظل الله في الارض أبو الفتح محمد بن السلطان تكش برهان امير المؤمنين "[3].

وكان للطغرائي منزلة مهمة في الدولة الخوارزمية ، ومما يدل على ذلك ، ان صاحبه كان كثيرا مما يؤهل لمنصب الوزارة ، فقد ولي (صفي الدين محمد الطغرائي) وزارة خراسان نقلا من الطغراء على عهد السلطان جلال الدين منكبرتي[4].

هذا ولم تتوفر لدينا اشارة الى وجود ديوان الطغراء في الدولة الخوارزمية ، الامر الذى يحتمل ان وظيفة الطغراء كانت جانبا ثانيا من ديوان الانشاء ، وهو الديوان الذى يتولى تحرير الكتب والرسائل والتبليغات ، ولعل مما يؤيد ذلك ان المنشيء محمد بن أحمد النسوى كان قد طلب اذن السلطان جلال الدين منكبرتي بجعل طغراء تواقيعه مثل تواقيع

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٥٧ - ٥٨ .
(٢) ن ٠م ٠ : ص ٣٢٤ .
(٣) ن ٠م ٠ : ص ٣٢٤ .
(٤) ن ٠م ٠ : ص ٢٤٨ .

والده علاء الدين محمد ، فلم يرض جلال الدين بذلك[1].

الاستيفـــاء :

وكان صاحب هذه الوظيفة من كتاب الاموال بالدواوين ، وعمله ضبط اموال الدولة والعمل على حفظها ويلقب صاحبها بلقب (المستوفي) ومقامه اشبه ما يكون بمقام وزير المالية[2] - في وقتنا هذا - .

ويبدو انه كان لكل مدينة مستوف ونائب عنه ، فمثلا كان فخر الدين علي بن ابي القاسم الجندى قد ناب عن المستوفي في ديوان جند مدة ، ثم تولاه بعده استقلالا[3].

ويظهر ان منصب الاستيفاء كان سبيلا الى الوزارة ، فقد قلد السلطان جلال الدين منكبرتي ، المستوفي فخر الدين علي بن ابي القاسم الجندى ، وزارة جند اربع سنوات[4].

ولما كانت اختصاصات المستوفي خطيرة وكثيرة فلا بد أن تتوفر فيه شروط معينة ، كأن يكون شخصا معروفا بحسن السيرة والسداد والتقوى ، عارفا باسرار المعاملات واساليبها ، ليناط به حفظ اموال الدولة [5].

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣٢٤ .
(٢) الدكتور حسين امين ، العراق في العصر السلجوقي : ص ١٩٨ .
(٣) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٨٣ .
(٤) ن . م . : ص ١٨٤ .
(٥) عباس اقبال ، وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوقي (طبع طهران ١٣٣٨ هـ) : ص ٢٦ .

الخـــــازن :

ووظيفتـه الاشراف على بيت المال فيما يتعلق بالوارد والمنصرف مـن الأموال ، ويبدو ان بعض الذين تولوا هذه الوظيفـة في الدولة الخوارزمية لم يكونوا أمناء فيها ، بل كانوا يتلاعبون بالواردات بغية الاثراء ، فقـد أورد النسوى حادثـة طريفـة بهذا الخصوص ، تتلخص ان الخازن حميـد الدين استغل عزل صفـي الدين الطغرائـي عن وزارة خراسان من قبـل السلطان جلال الدين منكبرتـي ، واظهر للطغرائـي المذكور على لسـان السلطان انه ان كان يريد ان يعفو عنه فعليـه ان يبعث ما جمعه مـن الجوهـر ، فاحضر الطغرائـي اربعـة آلاف دينار وسبعين فصا ثمينـا فأخذها الخازن ولـم يسلّم شيئا منها الى الخزانة ظنّا منه ان السلطـان لا بدّ ان يقتـل الطغرائـي لسخطه عليه ، وحينذاك يحتفظ لنفسه بتلـك الجواهر ، ولكن السلطان لـم يقتل الطغرائـي بل اعاده الى الابواب السلطانية فلما عاد فتّش عن دفاتر كتاب الخزانـة فلم يجد للفصوص والذهب فيهـا ذكرا ، فاخذ يراسـل الخازن حميد الدين مهددا ، فخشي الخازن علـى نفسـه ، واتفقا اخيرا على ان يكتم الصفـي جنايتـه ويأخذ منه كل شهـر مائتي دينار الى ان وفي اربعة آلاف دينار ، اما الجوهر فقد تعذر ردّه [(١)]

---

(١) النسـوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

استاذيـــة الـــــــدار :

ويتولـى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشـــراب خاناه والحاشيـة والغلمان ، كما كان لـه تصرف مطلق وتصرف تام فـــي استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكســـاوى[1]، وممّـن تولى هذه الوظيفـة للسلطان جلال الدين منكبرتي شخص يعـــرف بـ (جمال الزرّاد) وذلك في سنة (٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م) ، ولقبـــــه السلطان بلقـب (اختيار الدين)[2]، واطلق له التصرف في رواتـــب المخابز والمطابخ والاصطبلات وجرايات الحاشية وجامكياتهـم وغيرهـا ، كما كان يأخذ علامة الوزير والمستوفـي والمشرف والناظر والعارض وغيرهـم من علامات اصحاب المناصـب[3]، غير ان اختيار الدين هذا كان مبذرا في المصروفات حتى جاءت البواقـي عليه من الحساب مائة وخمسين الف دينـار في سنة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م) ، ولما احسّ السلطان جلال الدين بذلـك أمر بالقبض عليـه ومطالبتـه بالمال ، ومن اجل ان يدفع اختيار الدين الخطـر عن نفسـه اراد ان يشرك غيره من المسؤوليـن في ذلك ، فزعم انه رشـا الوزير وسائـر ارباب المناصب منها ستيـن الف دينار ، فلما سمع هـؤلاء بذلك حاولوا دفع التهمـة عنهم وهددوا اختيار الدين ، ولكنهم يأســوا

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشـى : ٤ / ٢٠ .
(٢) سيرة جلال الديـن : ص ١٦١ .
(٣) ن ٠م ٠ : ص ٢٩٤ .

من ارجاعه عن ذلك ، فاتفقوا على اسقاط ستين الف دينار من الجملة الباقية فاسقطوها ، وأنهوا الى السلطان ان الذى يبقى عليه مبلغ تسعين الف دينار ، فصودرت املاكه وكان من موجوده سبعة وعشرين مملوكا واثنتين وعشرين جارية وخيلا وجمالا ، ولم يوجد له غير ذلك فصودرت[١]، ثم عزل عن استاذية الدار ، وولى السلطان جلال الدين مكانه شهاب الدين مسعود بن نظام الملك محمد بن صالح ، فتولاها في السنة المذكورة (٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م) الى وقت انقراض الدولة الخوارزمية .

القضاء :

تعتبر وظيفة القاضي من ارفع الوظائف الدينية ، واعلاها قدرا واجلها رتبة[٢]، وكانت القضايا التي يتناولها القاضي للفصل فيها كثيرة ومتنوعة منها : قضايا السرقات وشرب الخمر والزنا والمواريث والوصايا والمناكحات والطلاق ، وربما كان القاضي يقوم ايضا بوظيفة المحتسب لان هذه الوظيفة كانت شديدة القرب من وظيفته ، حتى انه كان يكلف بها في كثير من الاحيان[٣].

وبالاضافة الى ذلك كان القاضي يقوم بتدريس العلوم الدينية في المدارس والمساجد ، ومثال ذلك ان القاضي عز الدين القزويني ، كان قد

(١) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٢٩٥ .
(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى : ٤ / ٣٤ - ٣٥ .
(٣) الدكتور جعفر خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين : ص٧٢ .

درّس بمدرسة تبريز وعدة مدارس اخرى[1]، ثم تقدم في عهد السلطان جلال الدين منكبرتي وحصل له الجاه والمال[2].

وكان القضاة يعيّنون عادة من قبل السلطان الخوارزمي ، كما يتبين ذلك من تعيين خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش للقاضي صدر الدين الجندى قاضيا في نيسابور وتوابعها[3].

اما عن تخصيص القضاء في مدينة او منطقة معينة ، فليس هناك معلومات توضّح ذلك ، ولا يعرف فيما اذا كان الخوارزميون يعينون في المدن الكبيرة التي يظهر فيها الاختلاف المذهبي واضحا ، أكثر من قاض للنظر فيما يعرض عليه من قضايا ليقضي فيها وفق مذهبه ، ومثل ذلك ايضا لا توجد معلومات عن تحديد القضاء بمدة معيّنة ، لم يجز للقاضي ان يحكم بعد انقضائها ، كما لا نعلم فيما اذا كان القاضي يأخذ على القضاء أجرا لان القضاء علم ، والعلم لا يباع وانما يتبرع به لوجه الله ، ولكن القاعدة جرت ان يكون للقاضي رزق يجرى عليه من بيت المال ليفرغ من همّ المعيشة الى همّ القضاء .

وكانت هناك الى جانب وظيفة القاضي ، وظيفة اخرى ، هي وظيفة (قاضي العسكر)[4]، وكان هذا يفصل في الخصومات الناشئة بين

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٠٨ .
(٢) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الاداب ، ق ١ : ٤ / ٢٧٤ .
(٣) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٢٠٨ .
(٤) ن . م . : ص ٧٧ . وانظر عن واجبات قاضي العسكر ، محمود بن محمد ابن عرنوس ، تاريخ القضاء في الاسلام (القاهرة ، المطبعة الاهلية) ص ٨٠ .

الجند ، لذلك فهو يصاحب الجيش اثناء الحروب[١].

وترد هناك اشارة الى وجود (مفصّل الظلامات)[٢] في الدولة الخوارزمية ، ووظيفته غير واضحة ، ومن المحتمل انه كان يقوم بوظيفة (قاضي المظالم) الذى تعرض عليه القضايا في حالة عجز القاضي عن تنفيذ حكمه في قضية رجل من علية القوم ، او اذا لجأ اليه المتقاضي في حالة اعتقاده ان القاضي لم يحكم له بالعدل ، وتشبه وظيفة (قاضي المظالم) المحاكم العليا الخاصة في وقتنا هذا ، والتي تقوم بمحاكمة كبار اصحاب النفوذ في المجتمع او عمال الدولة والموظفين اذا اعتدوا على الناس ، كذلك تمتد وظيفة قاضي المظالم الى الفصل فيما استعصى من الاحكام على القاضي والمحتسب[٣].

ويبدو ان الغرض من ايجاد هذه الوظيفة هو وقف تعدى ذوى الجاه والحسب[٤]، ومن هنا كانت وظيفة قاضي المظالم أهم شأنا واعظم اثرا ، لذلك اشترط فيمن ينتصب لها " ان يبدأ بنفسه فينصف فيها وينصف من ولده واهله وخواصه ، وينبغي ان لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يحابي ولا يتجامل ولا يجلس الاّ وعنده قاضي او فقيه متشرع ، يذكره اذا نسي ويدلّه اذا اخطأ ، وليكن عنده شهود معدّلون ،

---

(١) محمود بن محمد بن عرنوس ، القضاء في الاسلام : ص ١٩٩ .
(٢) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٨٤ – ٣٦٤ .
(٣) الدكتور حسن ابراهيم حسن ، الدكتور علي ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ط١ (القاهرة ١٩٣٩) : ص ٣٥٤ .
(٤) الدكتور حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي : ٤ / ٣٨٣ .

يشهدون على الاقرارات ويحضرون المحاكمات "[١]

الحسبة :

وهي وظيفة دينية موضوعها التحدث في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة المعايش والصنائع ومعاقبة من يخرج عن الطريق السوى في معيشته وصناعته[٢] ويطلق على متولي هذه الوظيفة اسم (المحتسب) ، وكانت وظيفته من الوظائف ذات الشأن عند الخوارزميين كما يظهر ذلك من المكانة العالية التي تمتع بها الفقيه الفاضل عالي الدين الخياطي[٣] محتسب خوارزم على عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد ، وكان السلطان يحترمه لفضيلتي العلم والعمل[٤] ، فقد كان الخياطي جلدا معتبرا لا تأخذه في الله لومة لائم ، كما كان عارفا بالفقه والحديث عالما بامور الناس[٥].

ومن الشروط التي يجب توافرها في المحتسب في الدولة الخوارزمية " ان يكون موصوفا بالديانة معروفا بالصيانة ، معرضا عن مراصد الريب

(١) الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم ، آثار الأول في ترتيب الدول ، (بولاق ١٢٩٥ هـ) : ص ٧٥ .
(٢) القلقشندى ، صبح الاعشى : ٤ / ٣٧ .
(٣) واسمه الكامل عند ابن الفوطي : طاهر الخياطي الخوارزمي علاء الدين ابو علي سديد بن محمد بن ابي سابق طاهر المحتسب (تلخيص مجمع الآداب ، ق ٢ : ٤ / ١٠١٨).
(٤) النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين .
(٥) ابن الفوطي ، تلخيص مجمع الآداب ، ق ٢ : ٤ / ١٠١٩ .

بعيدا عن مواقف التهم والعيب لابسا مدارع السداد سالكا مناهج الرشاد"[١]

اما واجبات المحتسب فعليه ان " يقيم حدود الشرع على موجب النصوص والاخبار ومقتضى السنن والآثار من غير ان يتسور الحيطان ويتسلق الجدران ، ويرفع الحجب المسدولة ويكسر الابواب المسدودة ، ويسلط الاوباش على دور المسلمين وحرم المؤمنين"[٢] وعليه ايضا "ان يبالغ في تعديل المكاييل والموازين على وفق احكام الشرع والدين فان وجد تفاوتا في شيء منها سواه وعدله وغيّره وبدّله وأدّب صاحبه على رؤوس الاشهاد لينزجر عن مثله اهل الخيانة والفساد "[٣] يتبين لنا من هذا النص ان التأكيد على الاوزان والمكاييل كان ضرورة ملحّة لان الدولة الخوارزمية بعد اتساعها كان لا بد من حدوث مشاكل تتعلق باختلاف الموازين والمكاييل ، لذلك كان على المحتسب ان يتأكد من صحة المكاييل والمقاييس والاوزان المستعملة في الاسواق لكي يجرى التعامل بها من غير غبن على الوجه الشرعي .

وكانت للمحتسب واجبات اخرى اضافة الى واجباته آنفة الذكر تتعلق في مجال الخدمة الاجتماعية والصحية فقد كان يطلب منه ملاحظة نظافة الاسواق والطرق ومنع كل ما من شأنه مضايقة المارة فيها[٤]

---

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ٨٠ . (انظر ملحق - ٣ -)
(٢) ن . م . : ص ٨١ .
(٣) ن . م . : ص ٨١ .
(٤) عبد الرحمن بن نصر الشيزرى ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة (نشره الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦) ص٢٩ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ .

ولما كانت مسؤولية المحتسب كبيرة ومهمة متعبة فينبغي ان يكون له اعوانا ومساعدين يحيطون علما بما يحصل في الاسواق من مخالفات وفي بعض الامور التي لا يستطيع كشفها بنفسه .

وينبغي على كافة الرعايا ان يحترموا المحتسب وان "يتوفروا على تعظيم قدره وتفخيم امره ويبالغوا فيما يرجع الى تمهيد قواعد حرمته وتشييد اركان حشمته ولا يعترضوا عليه في شغل الاحتساب فان ذلك أمانة هو حاملها ووديعة هو قابلها "(١)

الوظائف الخاصة :

وهناك بعض الوظائف الأخرى في الدولة الخوارزمية ، يمكن اعتبارها وظائف خاصة لان معظمها يختص في خدمة السلطان . واهم هذه الوظائف هي : -

أمير اخور :

وهو المشرف على الاصطبلات السلطانية وما فيها من الخيل والجمال وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات ، ويسكن غالبا في اصطبل السلطان(٢)، وممن تولى هذه الوظيفة للسلطان جلال الدين منكبرتي ، الأمير

(١) مجموعة رسائل الوطواط : ١ / ٨١ .
(٢) عبد الرحمن زكي ، السلاح في الاسلام (دار المعارف ، مصر ١٩٥١) ص ١١ .

(اختيار الدين كشكي)[1] ، و (كجيدك)[2] ، و (اودك)[3].

وكان (امير آخور) يرافق السلطان في حروبه ، ومما يدل على ذلك ان (أودك امير اخور) شارك السلطان جلال الدين في حرب التتار بظاهر اصفهان[4].

أمير شكار :

وكان صاحب هذه الوظيفة يتحدث عن امور الصيد ، ويكون مسؤولا عن الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها ، وعلى سائر امور الصيد الأخرى[5].
وممن تولى هذه الوظيفة في الدولة الخوارزمية ، (سيف الدين طرت ابه)[6] ، وذلك في عهد السلطان جلال الدين منكبرتي .

الجلاّب :

ويتولى صاحب هذه الوظيفة أمر شراء المماليك الذين يشتريهم السلطان لنفسه ، وممن تولى هذه الوظيفة في الدولة الخوارزمية ، (محمود بن سعد الدين الجلاّب)[7] ، وذلك في عهد السلطان جلال الدين منكبرتي .

---

(١) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٩٠ .
(٢) ن ٠م ٠ : ص ١٣٧ .
(٣) ن ٠م ٠ : ص ٢٣٦ .
(٤) ن ٠م ٠ : ص ٢٣٦ .
(٥) تاج الدين عبد الوهاب السبكي ، معيد النعم ومبيد النقم (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨) ص ٣٧ . القلقشندى ، صبح الاعشى : ٤ / ٢٢ .
(٦) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣١٩ ، ٣٧٩ .
(٧) ن ٠م ٠ : ص ٣٧٩ .

الجمقدار[1]:

وهو أحد موظفي ديوان الخاص السلطاني ، وكان موكولا به توزيع الجوامك على المماليك السلطانية[2].

الشربدار:

وتعني هذه الوظيفة الخدمة بشرابخاناه[3] السلطان ، وهذه الوظيفة كانت من وظائف الخدم ، وممن تولى هذه الوظيفة سعد الدين علي الشربدار للسلطان جلال الدين منكبرتي[4].

وهناك على ما يبدو اختلاف بين وظيفة الشربدار والساقي ، اذ كان الساقي يتولى سقي السلطان على مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب بعد رفع السماط[5].

الطشت دار:

وهو أحد الموظفين الذين يعملون في (الطشت خاناه) اي المكان الذى يحوى الطشت الذى تغسل فيه الايدى ، والطشت الذى تغسل

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٣٦٥ .
(٢) المقريزى ، السلوك ، ق ٣ ، ١ / ٦٦٩ ، حاشية ١ .
(٣) الشرابخاناه ، ومعناه بيت الشراب وتشتمل على انواع الاشربة المرصدة لخاص السلطان (صبح الاعشى : ٤ / ١٠) .
(٤) سيرة جلال الدين : ص ١٦٠ .
(٥) القلقشندى ، صبح الاعشى : ٥ / ٤٦٩ .

فيه الاقمشة ، وكان (الطشت خاناه) يحوى ملابس السلطان وكذا المقاعد والمخاد والسجاد الذى يصلّي عليه السلطان[١] وكثيرا ما كان صاحب هذه الوظيفة يحظى بتقدير السلطان له ، فأياز طشت دار خوارزم شاه علاء الدين محمد ارتفع من حضيض الطشت دارية الى مرتبة الملوكية وتقدّم على عشرة آلاف فارس[٢]

مشرف المماليك :

وهي احدى الوظائف المعروفة في البلاط الخوارزمي ، فقد كانت قصور السلاطين الخوارزميين مليئة باعداد كبيرة من المماليك الذين اشتروهم من اسواق النخاسة ، وكان اكثرهم من الاتراك الذين اشتهروا بجمال الخلقة ، وهناك اشارات عن كثرة المماليك لدى الخوارزميين فيقال انه " كان لخوارزم شاه علاء الدين محمد عشرة آلاف مملوك كل منهم يصلح للملك "[٣] وكان يقوم بالاشراف على هؤلاء المماليك رجل سمي بـ(مشرف المماليك) يتولى النظر في مشاكلهم والحكم فيهم وكل ما يتعلق بهم[٤] وممن تولى هذه الوظيفة في بلاط السلطان جلال الدين منكبرتي ، تاج الملك نجيب الدين يعقوب الخوارزمي[٥]

---

(١) القلقشندى ، صبح الاعشى : ٤ / ١٠ - ١١ .
(٢) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٦٨ .
(٣) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : ١ / ٣٣٠ .
(٤) القلقشندى ، صبح الاعشى : ٤ / ٢١ .
(٥) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ٢٤٣ .

القصـــــــة دار :

وهو الذى يرفع اليـه القصص بالحاجات والظلامات ايام الاسبـــــوع فيجمعها ويوصلها الى موقف العرض ليلـة الجمعة عند فراغ السلطان لهـا ، فيأخذ اجوبتهـــا .

وكان هذا المنصب من المناصب الجليلـة عند الخوارزميين ، وممّن تولـى هذه الوظيفـة نجيب الدين الشهرزورى الذى صحب السلطان جلال الديـن منكبرتي وخدمـه في هذا المنصب ، فنال حظوة كبيرة عنده ، حتى ولاه السلطان فيما بعد وزارة جنـد(١).

الاقطـــــــــاع :-

كان الاقطاع اسلوبا من اساليب الادارة الخوارزميـة ، فقد اختـــار سلاطين الخوارميـن طريقة سهلة في نظرهم لدفع رواتب الوزراء والـــولاة والأمراء والجند ، وهي توزيـع الاقطاعات عليهم ، لان المفروض بكـــل اقطاع ان يدر مبلغا معينا من المـال(٢).

وكانت اهداف الخرارزميـن من توزيع الاقطاعات مشابهة لاهداف السلاجقة التي تتمثل في "" توفير المال اللازم لتعمير البلاد ، وتوفير القوى الحربيـــة

---

(١) النسـوى ، سيرة السلطان جلال الدين : ص ١٨٣ .

(٢) Lambton: The intermal sturcture of the Saljuq Empire (Cambridge history of Persia, vol.5) P.236 .

المنظمة ، وايجاد شيء من اللامركزية لضبط امور الدولة المترامية الاطراف"..[١]

ولعل مما دعّم النظام الاقطاعي في الدولة الخوارزمية وقوّاه هو بقاء الخوارزميين في حالة حرب طيلة ايامهم ضد منافسيهم ، وظهور الخطر المغولي ، والراجح ان الاقطاع الحربي السلجوقي انتقل كاملا الى الخوارزميين شأنه في هذا شأن الدول التي قامت في احضان السلاجقة وعلى انقاضهم وهي الدولة الزنكية ثم الايوبية فالمملوكية التي انتقل اليها النظام الحربي كاملا "..[٢]

وتحتمل اقطاعات السلاطين الخوارزميين لاصحاب الوظائف من الوزراء والولاة وأمراء الجيش عدة وجوه ، اما انهم وهبوها لهم نتيجة لخدمات سياسية ، او اعطيت لهم نتيجة لظروف سياسية لصرفهم عن التآمر ضد السلطة العليا باشغالهم في قضايا الامور الادارية ، او ان الدولة كانت بحاجة الى اموال لكي تستطيع مواجهة المصاريف المتزايدة ، او ان السلاطين استخدموا الاقطاع لأغراض ادارية وهو قيام المقطع (بالفتح) بادارة امور ولايته كوال من قبل السلطان على تلك المنطقة .

تقدم المصادر عددا ضئيلا من أسماء المقطعين (بالفتح) من قبل السلاطين الخوارزميين ، دون اشارة الى ظروف ذلك او شروطه ، وفيما

---

(١) الدكتور ابراهيم علي طرخان ، الاقطاع الاسلامي : اصوله وتطوره دراسة مقارنة ، مقالة في المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٦ ، ١٩٥٧ ، ص٧٣ .

(٢) ن ٠ م ٠ ، ص ٧٤ .

يلي جدولا باسماء الامراء والقواد المقطعين :

١ - دكجك السلاح دار مقطع كبودجامة وهي من نواحي مازندران (١)

٢ - الاتابك زنكي صاحب فارس شرط عليه السلطان علاء الدين محمد ان يحمل كل سنة الى الخزانة السلطانية من بلاده فارس ثلث الخراج (٢)

٣ - امين ملك ، والي هراة ومقطعها (٣)

٤ - بهاء الدين سكر مقطع ساوه (٤)

٥ - نور الدين جبرييل ، مقطع قاشان (٥)

٦ - دكتك مقطع سمنان (٦)

٧ - سلطانشاه بن شروانشاه ، مقطع موقان من قبل السلطان جلال الدين منكبرتي (٧)

٨ - نصرة الدين محمد بن الحسن بن خرميل شحنة اصفهان على عهد السلطان جلال الدين منكبرتي ،كان قد عيّن له بها اقطاعا جليلا (٨)

٩ - عماد الملك عارض جيش خوارزم شاه علاء الدين محمد ، كان قد اقطع ساوة في سنة (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) (٩)

---

(١) النسوى ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : ص ٥٦ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٦٢ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ١٣٣ .
(٤) ن ٠ م ٠ : ص ١٤٥ .
(٥) ن ٠ م ٠ : ص ١٤٥ .
(٦) ن ٠ م ٠ : ص ١٤٥ .
(٧) ن ٠ م ٠ : ص ٢٨٧ .
(٨) ن ٠ م ٠ : ص ٢٤٠ .
(٩) ابن الأثير ، الكامل : ١٢ / ٣١٧ .

هذه هي أسماء المقطعين التي وردت الينا من كبار الامراء والقواد ، والراجح ان عددا من المقطعين لم تشر اليهم المصادر ، امّا لغفالا منها ، او ربّما لعدم اشتهار المقطعين انفسهم ، فقد وردت اشارات أخرى عن وجود مقطعين آخرين في قزوين وزنجان وأبهر وهمذان، دون ان تذكر اسماءهم[1].

هناك ملاحظة جديرة بالذكر وهي ان المصادر المتوفرة لم توضح الفرق بين الاقطاع العسكري والاقطاع الاداري ، ومن المحتمل انهما متشابهين كما كانت عليه الحال في الدولة السلجوقية حيث يصعب التمييز بينهما[2].

هذا وبالرغم من قلة المعلومات المتوفرة عن الاقطاع الخوارزمي فيمكن تمييز الخصائص التالية فيه :

أولا :

كان الاقطاع اسلوبا شائعا من اساليب الادارة الخوارزمية يتم احيانا بشكل ضمان يقبله المقطع (بالفتح) ويحتفظ لنفسه بما يبقى من ايرادات اقطاعه ، فالنسوي يذكر ان زنكي صاحب فارس كان يحمل كل سنة الى الخزانة السلطانية ثلث الخراج[3].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل : ١٢ / ٣١٧ .

(٢) Lambton : The internal sturcture of the Saljuq Empire (Cambridge history, vol.5) P. 234

(٣) سيرة السلطان جلال الدين : ص ٦٢ .

ثانيـــا :

ان السلطان الخوارزمي هو (المقطــع) (بالكسر) الوحيد وهو الــذى يكتب بذلــك توقيعــا [١].

ثالثــــا :

ان الاقطاعات لم تكن وراثيــة لدى المقطعيــن (بالفتح) بل كان السلطــان الخوارزمي كلما أحسّ ميلا من احدهم للانفصال عنه اصدر امره بعزله وتوليــة اميرا آخر غيــره .

رابعــــا :

كان المقطعون (بــالفتح) يحملون الى الخزانــة السلطانيــة الأموال الــتي يحصلون عليها من اقطاعاتهــم شهريا [٢] واحيانا سنويــا [٣].

خامســــا :

كان (المقطَــع) يمارس سيطرة كاملــة في اقطاعه الاداري او العسكــري ، ولكنه كان حاميا للذيــن هم في اقطاعــه من الاستغلال من قبل جيرانــه .

سادســـا :

لم تتوفر لدينا معلومات فيما اذا كان للمقطَــع حقوقا قضائيــة علــــى الناس في اقطاعيتــه أم لا ؟ والراجح انه لا توجد له مثل تلك الحقوق لأن

---

(١) النسوى ، سيرة جلال الدين : ص ٢٨٢ .
(٢) ن ٠ م ٠ : ص ٢٥٨ .
(٣) ن ٠ م ٠ : ص ٢٨٢ .

التقليد جرى أن امتلاك الاقطاعيـة قانونا لا يعطي المقطع (بالفتح) اى حقـوق قضائيـة على السكان[1].

ومع ذلك فان كثيرا من مشاكل الاقطاع وتنظيماته في الدولة الخوارزمية اغفلت من قبـل المؤرخيـن ، لذلك بقيـت الجوانب الاخرى غامضـة وخاصة فيما يتعلق بالنسبـة التي كان الاقطاعـي يستحصلها من الضرائـب ، وطبيعـة العلاقـة بين الامراء والجند المقطعيـن من جهـة ، وبين الأمراء والفلاحيـن من جهـة أخـرى .

اما من ناحية علاقـة المقطـع (بالفتح) بالسلطان ، فالراجح انهـا شبيهـة بالحال التي كانت عليـه لدى السلاجقـة والتي تتمثـل بان (المقطَع) كان مدينا بالطاعـة للسلطان وتزويده بالجند والمال عندما يطلب منه ذلك[2] .

---

(١) Lambton : The internol Sturcture of the Saljuq Empire Empire (Canbridge history , vol.5 . P. 237 .

(٢) Opcit . P.237 .

الملاحق

الملاحـــــــق

ملحق رقم (١) : " نماذج من رسائل الخوارزميين الى الخلفاء العباسيين " -

(أ)

((كتاب من خوارزم شاه اتسز الى الخليفة العباسي))
" المقتفي لامر اللـه "(١)

الحمد للـه كاشف غمة النم عن عباده ، ومزيل ظلمة الظلم عن بلاده ، قاهر من يترك حجته ، وناصر من يسلك محجّته ، معمر من يعمر العالم بالعدل والاحسان ، ومدمّر من يسفك دماء بني آدم بالظلم والعدوان ، قدمت جبروتـه وعظمت ملكوتـه لا مرد لقضائه ولا مفرّ عن نازل بلائـه ، هو العظيم الذى لا يقهر سلطانه ، الحكيم الذى لا يبهر(٢) برهانـه ، كل امير في قبضـة قدرتـه أسير ، وكل عسير مع بسطة رحمتـه يسير ، يدور بحكمتـه الفلك الدائـر ، ويسير بأمره الكوكب السائر الا لـه الخلق والامر تبارك اللـه رب العالميـن ، والصلوة على من دعا الخلـق الى المنهج القويـم ، وهداهم الى الصراط المستقيم ، بعدما كانـوا متورطيـن في مهلكة الجهالة متخبطيـن في مهواة الضلالـة يعبدون الاوثان ويتبعون الشيطان ، لا حاجز يحجزهـم عن الاباطيل ، ولا زاجر يزجرهـم

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط : ١ / ٤ - ١٣ .
(٢) لا يغلـب .

عن الاضاليل ، فبلّغ الرسالة وبيّن الدلالة ، واظهر شعار الدين ، حتى اهتدوا بانواره ، واوضح منار اليقين ، حتى اقتدوا بآثاره ، وانهدّ بظهوره رواق دولة الاصنام ، واتّسع بوجوده نطاق ملة الاسلام ، محمد سيد البشر ، والشفيع المشفع في المحشر ، وعلى آله مصابيح الظلم ، ومفاتيح الحكم ، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ، ثم الحمد لله الذى احيا معالم الاسلام ، وابدى مراسم الشرائع والاحكام ، وهي مندرسة الآيات منتكسة الرايات ، منهدمة البنيان ، منحطمة الاركان ، بسيدنا ومولانا امير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رب العالمين ، المقتفي لامر الله ادام الله جلاله ، ومدّ على الخافقين ظلاله ، فهو اليوم خليفة الله عز وجل في ارضه ، والامام المقتدى به في سنّة الدين وفرضه ، تهتز بوصفه اعطاف المفاخر وتختال بذكره اعواد المنابر ، ساعة خدمته اشرف الساعات للمؤمنين وطاعة حضرته انفع الطاعات للمسلمين ، من اعتصم بحبل مشايعته ، وانتظم في سلك مبايعته نال في الدارين مناه ، وحاز في المحلّين مبتغاه ، وصار من القوم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، "وبعد" : متّع الله خدم المواقف المقدسة المكرّمة النبوية ، وعبيد المقارّ المعظمة المشرّفة الامامية ، بنيل السعادات وبلغهم اقصى الاماني والارادات ، ولا اخلاهم من عزة يتمهّد اساسها ونعمة يتجدد لباسها ، وحشمة يرتفع شراعها ، ودولة يلتمع شعاعها ، فقد علم الاداني والاقاصي والاذناب والنواصي ، احوال اسلاف العبد في سلوك مناهج الرشاد

والتزام مذاهب السداد ، والمحاماة عن خطة الدين وبيضته ، والمراماة عن حريم الحق وحوزته ، وخاصة حال ابيه رحمه الله عليه فانه عاش في الاسلام ثمانين سنة وكان اغلب امواله موقوفا ، واكثر اعماله مصروفا ، على تمهيد قواعد الخيرات وتشييد اركان الحسنات ، وتجديد معالم الطاعات ، ومنذ قضى العشرين من عمره وعرف موارد الخير والشر من امره ، ما مرّت عليه سنة الآ واجلت عاقبتها وافرجت خاتمتها ، عن غزوة له مشهورة ، ووقعة مذكورة في بلاد الترك ومواطن الشرك تفض قبائلها ، وتهدّ معاقلها ، وتذل صعابها ، وتفلّ[1] انيابها ، وتترك نسوانها ايامى ، وتغادر صبيانها يتامى ، حتى نام اهل خراسان وخوارزم بحسن اعتقاده ، ويمن اجتهاده في مضاجعهم آمنين واطمأنوا في منازلهم ساكنين ، وبقيت دماؤهم محقونة ، واموالهم مصونة مخزونة ، لا يمسّهم شر الكفر ومضرّته ، ولا يصدمهم فساد الشرك ومعرّته ، وكانت مدة حياته رحمه الله عليه اذا عنّ لاولاد سلجوق مهم حادث واعرض ملم كارث[2] فزعوا اليه فزع الطفل الى والديه ، يستدرون النجح من عزائمه الباقية ويستمدون الفتح من صوارمه القاضية وهو يشمر في دفع ما يرهبونه عن ساق جدّه ، ويستفرغ في تحصيل ما يطلبونه اقصى وسعه وجهده ، حتى صار مشارع[3] الملك لديهم صوافي ومدارع العز عليهم ضوافي وخلا لهم جو الدنيا من كل خصم يجاذبهم وينازعهم ، وقرن يحاربهم ويقارعهم ، ولم يتيسّر له

---

(١) تثلم ... (٢) شديد ... (٣) موارد الماء

رحمة اللــه عليه ما تيسّر من هذه المقامات المشهوده والمساعي المحمودة بعــد فضل الله تعالى وطولــه وقوته وحوله الا ببركات الانتماء الى طاعة مواقــف العزة النبويــة والاستسعاد بعبودية مقارّ العظمة الامامية لا زالت محفوظــة بالعزّة الابديــة ، مكفوفة بالكرامة السرمدية ، ولما انتقل رحمة الله عليــــه من فناء الفنا الى دار البقا وارتحل من جوار الخلائــق الى جوار الخالق، قام العبد مقامــه وناب منابــه وسدّ مسدّه وركب مركبه وذهب مذهبـــــه ، واقتفى اثره ،واتبع اخلاقــه وسيره في رأب الثـأى[1] وضم النشـــــــر ، واماطة الاذى ودفع الضــر ، والذب عن حريم آل سلجوق والرفع لدعائـــــم دولتهم حتى جاوزت العيّوق[2]، ولو سأل سائل عن موقف العبد فـــــــي مساعدتهم ووقائعــه في معاضدتهــم لحكتهــا خطة جند[3] ووجهــا بقعــة سمرقند ، وخبّــرت بهــا ارض العراق وحدثت عنها ألسنة الافاق ، ولمـــــا حان وقت المجازاة قابــل هذا الذى هو اليوم اكبر تلك القبيلة سنـــــــا وحرمة واعظم تلك العشيرة جاها وحشمــة حسنات العبد واسلافه بما قابــــل من استئصال بقاعــه واستباحة دماء اتباعه واشياعــه واحترام رعاياه الذيــــن هم ودائــع اللــه تعالى عند الرعاة ، واماناتــه الواجب صونها على الــولاة وتسليط الاسماعيليــة عليه وبعث فتاكهم اليــه كما فعل بالامامين الهماميـــن السعيدين الشهيدين التقييــن النقيين من كبار الخلفاء الطاهرين، المسترشد

---

(١) اصلاح الفساد ... (٢) بالتشديد وفتح العين ،نجم احمر مضـــــــي، يتلوا الثريا لا يتقدمهــا ... (٣) بلد على سيحــون .

والراشد تغمدهما الله بغفرانه ، وأسكنهما رياض جنانه ، والبسهما مدارع رضوانه ، ومن كانت هذه عادته وسيرته وعقيدته وسريرته ، فأى خير يرجى من جانبه ، واى صلاح يتوقع منه لمصاحبه ومجانبه ، ولو كان له لب ناجح وعقل راجح واذن سامعة بالايات والنذر وعين مبصرة للمثلات والعبر لصحا من جهلاته وانتبه من غفلاته واتعظ بما سيب الله عليه من اسياف الكفرة اباد هم الله واعتبر وازدجر بذلك عن السيئات واعتذر ، ولكن عميت عين اعتباره ، وعييت لسان اعتذاره ، وضرب على باصريته بالاسداد [1] وعلى سامعيه بالانسداد وعلى قلبه بالاغطية ، وعلى فؤاده بالاكنة والاغشية وهذه هي غاية الشقاوة في الدين والدنيا ، ونهاية الخذلان في الآخرة والاولى ، وما الم باعلامه وبنوده ، واحاطت باعوانه وجنوده ، تلك الواقعة الشنيعة والنازلة الفظيعة ، الا لشؤم فعالهم ، ولؤم خصائلهم وكثرة ظلمهم على البرايا وقلة شفقتهم على الرعايا ، وابرازهم السنن الضائرة [2] في الايام ، واحداثهم الرسوم الجائرة في الاسلام ، ومدهم الايدى الى محارم المؤمنين وشنهم الغارات على اموال المسلمين ، وما اقبح فراره يوم التقت الفئتان وتقابلت الطائفتان من قتال الكفار الملاعين ومحاربة اعداء الدين واحزاب الشياطين ، قبل ان يتصافح الصفاح ، ويتشاجر الرماح ويتصادم الصفوف ويتزاحم الزحوف مقصوص الجناح ، راكد الرياح ، قد فل عرشه ، وقل جيشه وانطفأت ناره وانهتكت استاره

---

(١) الحمس ... (٢) الضارة .

لا يحميه جار ولا يؤويه جار[1] ، وكذلك عاقبة حال الظالمين وخاتمة امر الفاسقين ، وبعدما خرج بنفسه من تلك البلايا ونجا برأسه من مخالب المنايا كان من الواجب عليه ان يتوب من جرائمه وجرائره ، ويستغفر لصغائره وكبائره ويغيّر ما تعوّده اتباعه في الايام الماضية والاعوام الخالية من الاخلاق الذميمة والافعال اللئيمة من تعذيب العباد وتخريب البلاد وارتكاب الظلم واحتقاب الاثم واستذلال النفوس المكرّمة واستحلال الدماء المحرّمة ، فما وفق والتوفيق عزيز ولكن تركهم حتى عادوا الى عمايتهم وزادوا في غوايتهم ، واجتمعت معه لذلك طائفة كثيفة من الظلمة الفجرة وعصابة كثيرة من بغاء اسياف[2] الكفرة ، فسار باستظهارهم الى ديار العبد وبلاده ، مصمم العزيمة على قتاله وجلاده واغترارا بالغلطة التي وقعت للايام بان سلطته على خوارزم مرّة ، وألقت اليه أزمّة اعمالها كرة ، وهيهات طالما اذنبت الايام ثم تابت واخطأت الليالي ثم اصابت فجاء والادبار قائده والخذلان رائده :—

وشرّ من الكفّار من فرّ منهم وكرّ على اهل الهدى ليحاربا

ونزل في اوائل شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وخمسمائة بباب قلعة هزاراسف وهي قلعة من امهات قلاع خوارزم حرسها الله منيعة الاركان ، رفيعة البنيان ، بروجها تناطح بروج السماء ومناكبها تزاحم كواكب الجوزاء لا ترقى الطيور اليها وان علت ولا توقى[3] الغيوم عليها وان سمت ،

---

(١) حجر الصنيع وغيرها ... (٢) احزاب ... (٣) تشرف .

سكانها ولدوا على طالع الحرب وارتضعوا لبان الطعن والضرب ، وبعدما ضربت حول القلعة خيام غدره ، ونصبت اعلام مكره ، امتنع خمسة ايام متواليات من مقارعة كماتها [١] ومواقعة حماتها يخلبهم بمواثيق باطلة ويخدعهم بمواعيد عن الانجاز عاطلة ، طمعا في سل سخائمهم [٢] وحل عزائمهم واستنزالهم من القلعة من غير نار للوغى تشب ومنية على اصحابه تصب ، فأبى اهل القلعة عند ذلك الا خلوص نيّة في ولاء العبد وودّه ، ورسوخ قدم في حفظ ذمامه وعهده ، وصدق رغبة في طلب ما هو مقرون برضاه ، وشدة حرص على تحصيل ما هو مضمون لمبتغاه ، واتفاق كلمة على موالاة من يواليه ، ومعاداة من يعاديه ومحالفة من يحالفه ومخالفة من يخالفه ، ولما عرف الخصم انهم لا يستمعون لاباطيله ، ولا ينخدعون بمزخرفات اقاويله ، مال عن المخادعة الى المقارعة وآل عن المخاتلة الى المقاتلة ، وقامت الحرب بين الطائفتين عشرين يوما يقتل كل يوم في جانب الخصم خلق كثير ، ويطرح من اتباعه جم غفير ، حتى هلكت وجوه رجّالته [٣] وآذنت الايام بسوء حالته وتحقق له ان افتتاح تلك القلعة منية لا تملك وغاية لا تدرك وطول المقام بها لا يورث الا العناء والتعب ، ولا يعقب الا الفناء والعطب وكيف تضاع امة تشملها عصمة الله وعنايته ، ويكنفها كلاءه ورعايته ، وكيف تباح بقعة تحفظها السيوف

---

(١) لابس السلاح ... (٢) جمع سخيمة وهي الحقد ... (٣) جمع راجل وهو الذى لا ظهر له يركبه .

البواتر وتحرسها الاسود الخوادر[١] ، فارتحل منها على يأس مولّد للحسرات وهمّ مصعد للزفرات ، متوجها الى البلدة العظيمة التي هي للعبد مسقط رأسه ، ومنبع بأسه ومقطع سرّته ومجمع اخوانه واسرته ، ودار مقامته ومأوى عزّه وكرامته ، بلدة ساكنوها متمسّكون بعروة التوحيد ، منتزهون عن عار التقليد ، يدّرعون التقوى ويبتغون الهدى ، لا يعرفون غير الديانة والرشاد ، ولا يألفون غير الصيانة وإلسداء بحور العلم الا انهم اطواد الحلم ، ونجم الورى الا انهم آساد الشرى[٢] ورجال الوفاء ، الا انهم ابطال اللقاء ، لو كانت العفة طرفا لكانوا نوره ، ولو كانت العصمة قلبا لكانوا سروره ، ولو كانت الفضائل عقودا لكانوا دررها ، ولو كانت المحامد وجوها لكانوا غررها ، ولو كانت الحمية بدرا لكانوا سناه ، ولو كانت الشجاعة غصنا لكانوا جناه ، ما منهم الا سخي لا يحرم ضيفه وكميّ لا يثلم سيفه ، وجواد لا يخشى عثاره ، وفارس لا يشق غباره ، اخلاقهم حرّة ونفوسهم مرّة يصبرون على الرمح والسيف ، ولا يصبرون على الضيم والحيف ، ويرضون بالهلك والحين ، ولا يرضون بالعار والشين ، يناضلون عن دينهم بالايدى والألسنة ويقاتلون عن حرماتهم بالاسياف والاسنّة ظنا منه بان امر البلدة أسهل ، وان اهلها باسرار الكفاح اجهل ، ولم يدر انها كالأم وهذه البقاع كالاطفال ، وانما كالليث وهذه القلاع كالاشبال ، فلما قرب من البلد وسمع خبر ما فيه من تكثر العدد وتوفر العدد حيّره بلوغ

---

(١) جمع خادر وهو الساكن في أجمته ... (٢) محل كثير الأسد .

ذلك الخبر ، ولاحت له دلائل ما في السير اليه من البلاء والخطر ، فوقف في الطريق يردد رأيه بين ثلاث خطط ، فرار يورث شينا ، وقرار يحدث حينا ، وتطواف في المواضع البعيدة من البلد بحيث لا يعرف شأنه ، ولا يعلم مكانه ، ليكون اقرب من السلامة ، وابعد من موارد الندامة ، فاختار ايسر الثلاث ، وآثر اهون الاحداث ، وجعل يطوف حول القرى ، من قرية الى اخرى يهدم بيوت الصلحاء ، ويخرب مدارس العلماء ، ويثير دفائن الضعفاء ، ويغير على ذخائر الفقراء ، لا الدين يزجره ولا الحياء يحجره ولا الشفقة تمنعه ، ولا خشية الله تردعه ، وفي اثناء ذلك شبان غلمة العبد وشجعان فتيته يبرزون اليه ، ويطرحون انفسهم اليه ويقتلون من مشاهير رجاله ومغاوير[1] ابطاله ، ويظفرون بغرائب رغبائه ونفائس اموالـه حتى نفذ زاده وقل عتاده ، ويظفرون بغرائب رغبائه ونفائس اموالـه حتى نفذ زاده وقل عتاده وصفرت[2] وطاب جيشه ، وكدرت مناهل عيشه ، وضاق الامر على قومه ، فصار كل منهم رهين قوت يومه ، فدعته الضرورة الى المكابرة بجسّه[3] والمخاطرة بنفسه ، فجاء في منتصف شهر الله المبارك رمضان عظم الله بركته بكثره رقله ، وجزئه وكله ، الى باب البلد كالمودّع لحياته ، والمستقبل لمماته ، فدعا العبد في الحال كبار الفقهاء وجمع مشايخ العلماء وسألهم عن قتال العدو ليبينن هل فيه

(١) كثير الغارات ... (٢) خلت مواضعه لقلته ... (٣) الجسّ تفحص الاخبار .

من الشرع رخصة ، وهل لمن يباشره من ثواب الله حصة ، فأفتوا متوافقين واجابوا متطابقين ، بان المجد في قمعهم من جهة الشرع معذور ، والمبالغ في دفعهم عند الله تعالى مأجور ، فخرج العبد باذن الله وعونه معولا على حفظه وصونه ومعه خيول كالسيول ورجال كالجبال وافواج كالامواج وقروم[1] كالنجوم ، شاهرا حسامه رافعا اعلامه ، رابطا جأشه[2] ، سابقا جيشه ، خائضا غمرات الحرب ، مذكيا حجرات الطعن والضرب ، لا يصده الليل ولا يرده السيل ، فلما خفقت الخوافق وبرقت البوارق ونصبت المجانيق وذريت المزاريق واشتد الهياج ، وامتد العجاج واشتعل الضرام وتطايرت السهام ، وتكثرت الجراح ، وتكسرت الرماح ، واطلقت الأعنة ، واسرعت الاسنة ، وتضايق المجال ، وتسابق الأجال وحمي الوطيس ، ودمس المرؤوس والرئيس ، والتفّت الساق بالساق ، وتلاعبت الاسياف بالاعناق ، وخضبت الدماء الخناجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، حمل العبد على العدو واتباعه زمر الشقاق وعصب النفاق ، حملة الليث الخادر وسطا عليهم سطوة الاسد الزائر ، رافعا عقيرته[3] بالتهليل والتكبير ، منتظرا النصر من الله العزيز القدير . فمنّ الله بالظفر على عبده وايده بنصر من عنده ، وشتت في الحال شمل العداة وبتت حبل العصاة ، فزلّت اقدامهم وولت اعلامهم واحرقت

---

(١) جمع قرم وهو الفحل او السيد ... (٢) الجأش : رواع القلب اذا اضطرب عند الفزع ونفس الانسان ... (٣) الصوت .

بنود هـم واغرقت جنود هم وحل بهـم الصغار والذلـة والدثار والقلــــة والانخترام والفنــاء والاصطدام والعفــاء ، فلم تقع عيني الا على اشـــلاء[1] طريحـة ، واعضاء جريحة وموتى بلا لحود واسرى بلا قيود ، وقد كثــر عويلهم ورنينهــم وارتفع اليلمــم[2] وانينهم فانهزموا وهذه حالهــــم ، وشر من هذه مآلهــم ، وذهبوا الى قلعة اسكنه وهي قلعة في اقصـى ديار خوارزم حرسها الله سامية الذرى راسية الاصل في الثرى شمــــاء الارتقاء لطالب عذراء تابـى على كل خاطب فيها مطاعين كالشياطيـــن هذبتهم مطاردة الاقران ومجالدة الفرسان وحنكتهم مباشرة الملاحـــم ومساورة الضراغـم ، غرّ المساعي شـم الانوف يصبون على الاعادى وقــت ازدحام الصفوف بسمر العوالى وبيض السيوف ، حمر المنايا وسود الحتــوف وخيموا حــول القلعة خمسين يوما يقاتلون اهلها ليلا ونهارا ، ويخاتلونهــم سرا وجهارا ، فلم يفوزوا ببغيـه ، ولم يظفروا بمنيـه ، ورجعوا عنها آخـر الامر عاجزيــن حائرين خائبيــن خاسرين ، قد طلت دماؤهم وسبيــت حرائرهــم واماؤهــم ، وانحل عقدهم وانفل حدهــم وانتكس تدبيرهــم ، وانعكس تقديرهــم وخابت امالهم وضاقــت احوالهم ، وبعدما رجعوا عنهـا على هذه الحالة التي شرحت ، والصفة التي ذكرت ، لم تثبت في بقعـــة اقدامهم ولم تخفق لوقعة اعلامهـم ، بل رأوا نجاتهم من ايدى الرزايــا

---

(١) اعضاء الجسد ٠٠٠ (٢) اى ارتفع صوتهم بالدعــاء .

وخلاصهم من حبائل المنايا في الخروج عن الولاية ، فخرجوا عنها خائبين يقطعون المنازل ويطوون المراحل ، ويتركون الدواب والرحال ويطرحون الاسلحة والاثقال ، لا تمنعهم الجبال العامية ولا تعوقهم البحار الطامية ، يعدون فراسخ الفرار وان امتدت خطوة ، ويعدون ايام الهرب وان طالت لمحة ، وما هذه السعادات التي ترادفت على العبد امدادها ، وتضاعفت لديه اعدادها الا ببركة موالاة الدولة القاهرة الامامية ، النبوية المقتفيّة ، شيّد الله اركانها ومهد بنيانها ، ويرجو العبد من حسنات تلك الحضرة الزاهرة ان يصدر عنها باسمه منشور برسمه على ولاية خوارزم جانبيها ، شرقيها وغربيها ، وما ينضاف اليها وينعطف عليها من بلادها وديارها وجبالها وقفارها وسهولها وحزونها وبحارها وعيونها واغوارها ونجودها واطرافها وحدودها ، وان يوشح ذلك العهد ويحلى بالتوقيع الاشرف الاعلى ليكون ذلك مرغمة لانوف الحاسدين ، ومكسرة لقلوب القاصدين ، وتنقطع بيمن ذلك العهد اطماع العدو من ديار العبد وبلاده ، وتندفع عنها اسباب شره وفساده ، ويبقى بذلك العبد واخلافه فخر مؤبد ، وذخر مخلّد ، ويزداد لايام امير المؤمنين وامام المسلمين اعلى الله كلمته وضاعف عظمته ، به ثناء فائح يدوم على امتداد الدهور والايام ، ودعاء صالح يطرد على اختلاف الشهور والاعوام ، لا زالت اوامره في مشارق الغرب ومغاربها نافذة ، وعزائمه

باعراف النصرة ونواحيها آخذة ، ولا حرّم الله هذه الامة خلال عاطفته وعدله ، ولا سلبهم اردية رأفته وفضله ، بحق النبي محمد وآله الطيبين واصحابه الطاهرين ٠

ا ٠ هـ ٠

* * * * * *
* *
*

(ب)

((كتاب من خوارزم شاه ايل ارسلان بن أتسز))
الى
" الخليفة العباسي المستنجد بالله"

سلام الله على مولانا وسيدنا الامام المستنجد بالله امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وتحياته الزاكيات الفائحات وبركاته الغاديات الرائحات والعبد يحمد الله الذى لا اله الا هو ناصر الدين واصحابه وقاهر الكفر واحزابه وعامر الارض ذات الطول والعرض بخلفائه الاخيار وامنائه الابرار انصار الحق ، واعصار الخلق الذين توشحوا بجوهر الكرامة وترشحوا لمنابر الامامة ويسأله ان يصلي على نبيه الطيب شيمه الصيب ديمه محمد وعلى آله منابع الجود ومطالع السعود واصحابه معادن الكرم ومواطن الحكم ويسلم تسليما .

وبعد فلا يخفى على ارباب الحجى واصحاب النهي من ساكنة الوبر وقاطنة المدر ، ان مولانا وسيدنا الامام المقتفي لامر الله تغمده الله بغفرانه الاوفى ورضوانه الاصفى ، وجعل جنة الخلد منزله ومأواه ومسكنه ومثواه واحله في جوار آبائه الأكرمين واجداده الاقدمين الذين شادوا الدين وسادوا المهتدين صلوات الله عليهم اجمعين ، كان ظل الله الممدود على عباده وخليفته المحمود في بلاده وامينه الموثوق به في امور الاسلام ، ومكينه المرجوع اليه في التفصلة بين الحلال والحرام ، اقواله

في جبهات الصدق غرر شادخة[1] وافعاله في هضاب الحق فلك شامخة ، والخلافة في عهده رفيعة البنيان منيعة الاركان ، والامامة راسية الاوتاد سامية الاطواد ، والملة مشددة السواعد مشيدة القواعد ، والشريعة عالية المباني ، مالية المغاني ، والطرق ساكنة المسالك آمنة المهالك ، والثغور مبتسمة الثغور منتظمة الامور ومصيبة المسلمين فيه سقى الله روضته وافاض عليه رحمته مصيبة عمت مشارق الدنيا ومغاربها ، وجبت كواهل العليا وغواربها ، وغادرت الضلوع ملتهبة والدموع منسكبة والاجفان باكية والاحزان ذاكية والجيوب مشققة والقلوب محرّقة فلم ير احد من المسلمين الاّ وقد طال سهاده وزال رقاده وجل عناوءه وقل عزاوءه وفارقه سكونه وقراره وجانبه سكينته ووقاره فالقلق اليفه والارق حليفه والهم جليسه والغم انيسه وحين انتشر نبأ وفاته الذى تطاير في المجامع شرره وتقاطر على المسامع ضرره كادت السماء تنفطر مناكبها وتنكدر كواكبها وكادت الارض تنهدم اطرافها وتنحطم اكنافها وكادت الملة تجمد انهارها وتخمد انوارها وكادت الشريعة تنفلّ ظباها[2] وتنحل حباها ، لكن بركات نهوض مولانا وسيدنا الامام المستنجد بالله امير الموءمنين وخليفة رب العالمين اعلى الله كلمته وزاد في الدين والدنيا عظمته باعباء عهده وسعادات جلوسه على سرير الخلافة ثبته الله من بعده ، اطفأت ذلك الجمر وتداركت ذلك الأمر وفرغت القلوب المشتغلة وسكنت الكروب

---

(١) منتشرة ... (٢) جمع ظبة وهي حدّ سيف او سنان .

المشتعلـه ، واعادت الى عود الاسلام ماءه والى وجه الايام رواءه فانسدت بمكانه الثلمـة[1] وانكشفـت بطلوعه الظلمة وحالت المحنة على البرايـــا منحة والرزيـة على الرعايـا عطيـة ٠

فان ساءنا فقد الامام الذى مضى فقد سرّنا عهد الامام الذى بقى

وان في بقاء مولانا وسيدنا الامام المستنجد بالله امير المؤمنين وخليفـة رب العالميـن ادام الله جلالـه ومدّ على الخافقيـن ظلاله لعوضا من كـل ما يفوت وخلفا من كل من يموت لا زأل عامرا للديار وارثا للاعمار مزينّـا لسرير الخلافـة عاصما للعباد من طرق المخافة مجمّعا لشمل الخيـرات منظما لعقد الحسنات ما سبح فلك وسبّـح ملك وناحت حمامة وصاحـت غمامـة ٠

ولولا مواظبـة العبد على حفظ خوارزم التي هي خطة متصلـة ببلاد الترك ملتصقـة بديار الشرك يهجم عليها ان غاب العبد عنهـا اهل الكفر وينالونها لا نالوا المنى بالناب والظفر لكان هو اسبق وافـد واسرع وارد على المواقف المقدسة الامامية النبويـة قدسها الله ماشيـا اليها برأسـه دون قدمـه مقيما فيها رسم التعزية والتهنئة بنفسه لا قلمه ، لكن العذر لائح والمانع واضح وكرم مولانا وسيدنا المستنجد بالله اميـر المؤمنيـن وخليفـة رب العالميـن ادام الله دولته وعقد بالخلود مدتـه ،

---

(١) الفرجـة ٠

خليق لقبول الاعذار ، حقيق باسترقاق الاحرار ، وحين وصل الخبر الى
خوارزم امر العبد جميع اهل الولاية بعقد مجلس العزاء والمبالغة
في عدّ تلك المناقب والآلاء ، كما كان الدين يقتضيه والاسلام يرتضيه
فجلسوا ثلاثة ايام كأنها ثلاثة اعوام لان مدة المصائب وان قصرت طويلة
ووطأة النوائب وان خفت ثقيلة ، فكم من عبرات مصبوبة وزفرات مشبوبة
ثم بعد ذلك طويت مفارش التعزية ونشرت اعلام التهنية ، واصبح
الناس يتباشرون بجلوس مولانا وسيدنا الامام المستنجد بالله امير المؤمنين
وخليفة رب العالمين ، ادام الله ايامه ونصر ألويته واعلامه ، فزينت
الخطبة بميامن اسمه وحليت السكة بمحاسن رسمه واقام المسلمون رسم
النثار واعلنوا من صدق النية وفرط العبودية احسن الآثار ، هذا والعبد
مع تنازح الديار وتباعد المزار منتظر لوصول الاوامر العالية متطلع الى
ورود الاشارات السامية نفّذها الله في اقطار الارض شرقا وغربا
وبعدا وقربا ، ليظهر في امتثالها شعار الاخلاص ويبرز في الجرى على
مقتضياتها شواهد الاختصاص ، وللآراء المشرقة الامامية النبوية زادها الله
اشراقا في ذلك مزيد العلوّ والسلام .

ا . هـ .

ملحق رقم (٢)

((كتاب كتبه ضياء الدين بن الاثير الى الامير حسام الدين))
((النائب عن الملك الاشرف موسى بن ابي بكر بن ايوب في))
((بلاد ارمينية عند نزول السلطان جلال الدين منكبرتي على))
((خلاط في ذى القعدة سنة (٦٢٣ هـ) بربط جأشه وتثبت))
((جنانه))(١)

ادام الله ايام المجلس السامي الحسامي ، ولا زالت المناقب من ذخائره والصنايع من تجايره والاقدار من عشائره ، والأقران من عساكره والاقلام من بواتره ، وألسنة الايام من خطبائه وشواعره ، قارعة الحصار قد سمّاها الله زلزالا شديدا ، وجعلها لكتاب الحرب بريدا ، وجعل قائم الاسوار فيها حصيدا ، ولا يصبر عليها الا مثل المولى الذى يقوم بقهر ذوى القهر ، ويطاعن خيلا من فوارسها الدهر ، واذا ألمّ به الملم ولاه صدرا واسعا وجأشا جامحا وعزما قاطعا ، وصبرا يكون في آخره كهو في اوله فلا يرى الا دارعا . وهو اولى بقول القائل :-

فتى لم يقم فردا بيوم كريهة ولا نائل الاّ كفى كل قاعد
ولا اشتدت الايام الاّ ألانها أشم شديد الوطء فوق الشدائد

وبلغ الخادم نزول العدو الخوارزمي على حصاره بمدينة خلاط ، ولو عرف حزمه وعزمه لتبين له الرشد من الغيّ ، ولما ترك الرأى بالرى ، وهذا رجل استقدمت رحالته ، واستطارت جهالته ، وسيلقى من المولى

---

(١) رسائل ابن الاثير : ص ٢٤ - ٢٥ .

ما يبصر معه قصده ، ويتحامس به ورده ، ويجد عقله الذى فقده بعد ان لم يكن احسّ فقده ، واذا مارسه وذاق مراسه رأى قَدْما وقُدُما [1] ، وعلم ان لكل رجل طمعا ، واين بلاد العجم وما بها من المدن المنفرجة التي كلما نعق بها ناعق رفعت حجابها ، وطأطأت رقابها ، من بلاد ارمينية التي قراها حصون مانعة ، وحصونها نجوم طالعة ، وفيها مدينة خلاط وهي عروسها حسنا ، وعقيلتها البكر التي اذا رامها خاطب لا تعطي اذناء وقد نيطت بالمولى فبات من دونها محنقا ، وجهز لها من حميته فيلقا ، ومدّ عليها من غيرته سورا وخندقا ، ولولا ان اراد الله منع جانبها لما جعله لها كنانة ، وجعلها في يده أمانة ،

وهي الوديعة لا يؤمّل حفظها حتى تصح حفيظة المستودع

وليس للناس اليوم حديث الا في خلاط وحصارها ، وكيف تفك اليد عن اسارها وقالوا هذا امر يخشى منه بعد الآماد ، وضرب الثلج عن الطرق بالاسداد ، وهذا العجمي هو ابن الثلج الذى نشأ في حجره ، ولا يخاف المخوف من ضره ، ولم يعلموا ان للمولى من نفسه مددا وانه قد جعل الدرع والدة والسيف ولدا ، ومن شأنه ان يقي دم وجهه بدم وريده ، واذا سلم له ذلك فلا يبالي أن فارقت روح جسدا ، وبمثله يمحى الوصم ويدفع الخصم ، ويرد السهم بعد مروقه ولا ارتداد السهم ، والخادم مصغ بسمعه الى واحدة توسع الوجوه سفورا ، والقلوب سرورا ، والعدو الباغي ثبورا ، والملك الاشرفي ظهورا . ا ه .

---

(١) القدم : الشرف القديم . والقدم : الشجاع الجرىء .

ملحـــق رقم (٣)

((كتاب بتقليد أمر الحسبة في الدولــة الخوارزميــــة))[1]

ان اولى الامور بان تصرف اعنة العناية الى ترتيب نظامه ، وتقصر غايـات الهمم على تنميـة اتمامه ، امر يتعلق به ثبات الدين ، وينعطف عليه صــلاح المسلميـن ، وهو امر الاحتساب ، فان فيه تثقيـف الزائغين عن الحــق وتأديب المنـهمكيـن في الفسق ، وتقويـة اعضاد ارباب الشرع وسواعد هـــا ، واجراء اعمال الدين على قوانينها وقواعدها ، وينبغي ان يكون موصوفــــا بالديانة ، معروفا بالصيانـة ، معرضا عن مراصد الريب ، بعيدا عـــن مواقف التهم والعيب ، لابسا مدارع السداد سالكا مناهج الرشاد والشيخ الامام فلان ادام اللــه فضلــه متحلّ بهذه الخصائص المذكورة والفضائـــل المشهورة ، ومستظهر في دولتنا بالحقوق المرعيـة والسوابق المرضيــــة فقلدناه هذا الامر الذى هو من مهمات الاعمال ومعظمات الاشغال، واعتمدنا في التقليد والتقلد على دينه المتيـن وفضله المبين ، وامانته الظاهـــرة وعقيدته الطاهرة وامرناه اولا ان يجعل الزهد شعاره والتقوى دثاره والعلم معلمه والدين مناره ، ثـم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقيم حـــدود الشرع على موجب النصوص والاخبار ومقتضـى السنن والآثار من غيـــران يتسور الحيطان ويتسلق الجدران ويرفع الحجب المسدولة ويكسر الابـــواب

(١) مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط : ١/ ٨٠ – ٨١ .

المسدودة ، ويسلط الاوباش على دور المسلمين وحرم المؤمنين حتى يغيروا على اموالهم ويمدوا الايدى الى عوراتهم واطفالهم ويظهروا ما امر الله تعالى بستره واخفائه ونهى عن اشاعته وافشائه ، فان عبادة الاوثان خير من ذلك الاحتساب ، والعقوبة الابدية اولى بمباشره من الاجر والثواب وامرناه ان يبالغ في تعديل المكاييل والموازين على وفق احكام الشرع والدين فان وجد تفاوتا في شيء منها سواه وعدله وغيّره وبدله وادب صاحبه على رؤوس الاشهاد ، لينزجر عن مثله اهل الخيانة والفساد وليعلمن انه في عهدة ما يطوى وينشر ، وينهي ويأمر يوم ينشر الديوان وينصب الميزان يوم لا ينفع لا مال ولا بنون الآ من اتى الله بقلب سليم ، وسبيل الأئمة والعلماء وكافة الرعايا حاطهم الله ان يتوفروا على تعظيم قدره وتفخيم امره ، ويبالغوا فيما يرجع الى تمهيد قواعد حرمته وتشييد اركان حشمته ، ولا يعترضوا عليه في شغل الاحتساب فان ذلك امانة هوحاملها ووديعة هو قابلها والسلام .

مصادر ومراجع الرسالة

مصادر ومراجع الرسالة

أولا - المخطوطات :-

ابن الدبيثي ، ابو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) :

١ - التاريخ المذيل به على تاريخ ابن السمعاني ، ج ١ ، ٢ (نسخة مصورة غير كاملة موجودة في مكتبة معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد تحت رقم ٣٥٠ ، ٤٤٦) .

ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم ، (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م) :

٢ - الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة - قسم الجزيرة (نسخة الدكتور صالح أحمد العلي) .

الخزرجي ، ابو الحسن علي بن الحسن بن وهاس (ت ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م):

٣ - المسجد المسبوك في تاريخ دولة الاسلام وطبقات الخلفاء والملوك ج ٢ (نسخة مصورة في مكتبة معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد) .

الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م) :

٤ - تاريخ الاسلام ، (نسخة مصورة في مكتبة معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد) .

الصفـدى ، صلاح الدين بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م) :

٥ - الوافي بالوفيات ، ١٥ جزء (نسخة مصورة محفوظة في المكتبـة المكتبة المركزيـة لجامعة بغـداد) .

الغيـاث ،عبد الله بن فتح الله (كان حيا سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨م) :

٦ - التاريخ الغياثـي (نسخة مكتبة معهد الدراسات العليـا) .

مجهـول ،

٧ - انسان العيون في مشاهير سادس القرون ، (نسخة مكتبة معهـد الدراسات العليا في جامعة بغداد تحت رقم ٦١) .

النصيـبي ، ابو القاسم بن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م) :

٨ - خلاصة اخبار المسافر والعجم في معرفة بلاد عراق العجم ، (مخطوطة مصورة في المجمع العلمي العراقي تحت رقم ٣٣٥) .

ثانيـا - المطبوعـات العربيـة :-

ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة بن يونـس السعدى الخزرجي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٢٩م) :

٩ - عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ٣ أجزاء (دار الفكر العربـي ، بيروت ١٩٥٧) .

ابن ابي الحديـد ، عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة اللـه المدائني (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) :

١٠ — شرح نهج البلاغة ، خمسة اجزاء ،(دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣م) .

ابن الاثير ، ضياء الديـن (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩م) :

١١ — رسائل ابن الاثير ، تحقيق انيس المقدسي (بيروت ١٩٥٩) .

ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م) :

١٢ — الكامل في التاريخ ، ١٢ جزء (دار صادر — دار بيروت ، بيروت١٩٦٦) .

١٣ — التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القـــادر طليمات ، (نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٣٦) .

ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابكي ، (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م) :

١٤ — النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزء (منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهـرة ، ١٩٦٣) .

ابن الجـوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) :

١٥ — المنتظم في تأريخ المولوك والامم ، ١٠ أجزاء (مطبعة دار المعـارف الاسلامية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٩) .

ابن حسول ، ابو العلاء محمد بن علي بن الحسن (ت٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م) :

١٦ — تفضيل الاتراك على سائر الاجناد ، باعتناء عباس العزاوي ، استانبول ، ١٩٤٠) .

ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م) :

١٧ — العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ط ٢ ، سبعة مجلدات (بيـــــروت ، ١٩٥٦ — ١٩٦١) .

ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م) :

١٨ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، ستة اجزاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ١ (نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨) .

ابن دحية ، مجد الدين عمر بن حسن بن علي (ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) :

١٩ - النبراس في تأريخ بني العباس ، صححه وعلق عليه المحامي عباس العزاوي (مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦م) .

ابن الساعي ، ابو طالب علي بن انجب تاج الدين (ت٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م) :

٢٠ - الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، عنى بنشره الدكتور مصطفى جواد ، جـ ٩ (المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٩٣٤) .

ابن شاكر الكتبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م) :

٢١ - فوات الوفيات ، جزءان ، (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١) .

ابن الشحنة ، ابو الوليد مجد الدين محمد بن محمود (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢م) :

٢٢ - روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر ، بهامش الكامل لابن الاثير ، جـ ٧ ، ٨ ، ٩ (دار الطباعة ، القاهرة ، ١٢٩٠ هـ) .

ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م) :

٢٣ - الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة - قسم الشام ، نشر

وتحقيق الدكتور سامي الدهان (دمشق ١٩٦٢) .

ابن الطقطقى ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠١ هـ/ ١٣٠١ م) :

٢٤ - الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (مطبعة محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة ١٩٦٢) .

ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) :

٢٥ - مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، ٤ أجزاء (ليدن ، ١٨٥٢ م) .

ابن العبري ، غريغورس ابو الفرج اهرون الطبيب (ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م) :

٢٦ - تاريخ مختصر الدول (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٠ م) .

ابن العديم ، كمال الدين ابو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) :

٢٧ - زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ اجزاء ، تحقيق الدكتور سامي الدهان (المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٨) .

ابن عربشاه ، احمد بن محمد (كان حيا سنة ٨٥٥ هـ) :

٢٨ - فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (مطبعة بولاق ، القاهرة ١٢٩٠ هـ) .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :

٢٩ - شذرات الذهب في اخبار لمن ذهب ، ٨ أجزاء (مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ) .

ابن عرنوس ، محمود بن محمد :

٣٠ - تاريخ القضاء في الاسلام (المطبعة الاهلية المصرية الحديثة ، القاهرة) .

ابن الفوطي ، كمال الدين عبد الرزاق (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م) :

٣١ - تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، ج ٤ ، ق ١ - ٤ ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، (دمشق ، ١٩٦٢ - ١٩٦٧ م) .

٣٢ - تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، ج ٥ ، تصحيح وتعليق الحافظ محمد عبد القدوس القاسمي ، ١٩٤٠)

ابن قطلوبغا ، ابو العدل زين الدين قاسم (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) :

٣٣ - تاج التراجم في طبقات الحنفية (مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٢) .

ابن القلانسي ، ابو يعلى حمزه (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) :

٣٤ - ذيل تأريخ دمشق (مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨) .

ابن كثير ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

٣٥ - البداية والنهاية في التأريخ ، ١٤ جزء (مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣٢) .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) :

٣٦ - مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، طبعة جمال الشيال ، جزءان ، (القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٧) .

ابن الوردي ، زين الدين عمر (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) :

٣٧ - تتمة المختصر في اخبار البشر ، جزءان (مطبعة النجف ١٩٦٩) .

ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) :

٣٨ — الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ق ١ ، ج ٩، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠) .

٣٩ — تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين ، ط ١ (القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م) .

ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

٤٠ — تقويم البلدان (باريس ١٨٤٠ م) .

٤١ — المختصر في اخبار البشر ، ٦ أجزاء (دار الكتاب اللبناني ، بيروت) .

ابن محاسن ، الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (من اهل القرن الثامن الهجري) :

٤٢ — اثار الأول في ترتيب الدول (بولاق ١٢٩٥ هـ) .

الاربلي ، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) :

٤٣ — خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ط ٢ (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤) .

ارنولد ، سير توماس ٠ و ٠

٤٤ — الدعوة الى الاسلام ، ترجمة ونشر الدكتور حسن ابراهيم حسن وآخرين (نشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٧) .

الاصطخري ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤١ هـ/ ٩٥٢م) :

٤٥ - مسالك الممالك (مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٢٧م) .

٤٦ - الاقاليم (مصور بالاوفست ، مكتبة المثنى ، بغداد) .

أميـن ، الدكتور حسين ،

٤٧ - تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، (مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥م) .

الانصاري ، عمر بن ابراهيم الاوسي ، (الفه بين ٨٠١ - ٨١٤ هـ/ ١٣٩٩- ١٤٢١م) :

٤٨ - تفريج الكروب في تدبير الحروب ، تحقيق الدكتور جورج سكانلـون (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦١) .

بارانسكـي ،

٤٩ - جغرافيـة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية ، الترجمة العربيـة ، (موسكـو ، ١٩٦٠) .

بارتولـد ، فازيلـي فلاديمير وفتـش :

٥٠ - تأريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد السعيد سليمـان ، (الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٨هـ/ ١٩٠٨م) .

البدليسـي ، شرف خان ، (الفـه بالفارسية في اواخر سنة ١٠٠٥ هـ) :

٥١ - شرفنامـه ، ج ١ ، ترجمة محمد علي عوني ، (دار احياء الكتـب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨) .

براون ، ادوارد جرانفيل :

٥٢ — تاريخ الادب في ايران ، ترجمة الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) .

بروكلمان ، كارل :

٥٣ — تأريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ، منير بعلبكي (دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٥) .

٥٤ — البنداري الاصفهاني ، الفتح بن علي بن محمد (ت٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠ م) :

٥٤ — تأريخ دولة آل سلجوق (مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣١٨ هـ/ ١٩٤٥ م) .

التطيلي الاندلسي ، بنيامين بن يونه (ت ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣ م) :

٥٥ — رحلة بنيامين ، ترجمها عن الاصل العبري وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد (المطبعة الشرقية ، بغداد ، ١٩٥٤) .

التونجي ، الدكتور محمد :

٥٦ — المعجم الذهبي ، (دار العلم ، بيروت ١٩٦٩) .

جواد ، الدكتور مصطفى ، والدكتور احمد سوسه :

٥٧ — دليل خارطة بغداد المفصّل في خطط بغداد قديما وحديثا ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٨) .

حسن ، الدكتور حسن ابراهيم :

٥٨ — تأريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٤ أجزاء ، (نشر مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ — ١٩٦٧ م) .

حسن ، الدكتور حسن ابراهيم ، الدكتور علي ابراهيم حسن :

٥٩ — النظم الاسلامية ، ط ١ ، (القاهرة ١٩٣٩) .

حسنين ، الدكتور عبد النعيم محمد ،

٦٠ — سلاجقة ايران والعراق ، (مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩) .

الحسيني ، صدر الدين ابو الحسن علي بن ناصر ، (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) :

٦١ — اخبار الدولة السلجوقيـة ، (لاهور ١٩٣٣) .

حمدى ، حافظ احمد :

٦٢ — الدولة الخوارزمية والمغول ، (دار الفكر العربي ، القاهرة١٩٤٩) .

٦٣ — الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ،(دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠) .

الحموى ، محمد بن علي (ت ٦٤٤ هـ/ ١٢٤٦م) :

٦٤ — التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمـــان ، عني بنشره بطرس غريازينويج (دار النشر للآداب الشرقية ، موسكو ، ١٩٦٠) .

الحنبلـي ، القاضي مجير الدين :

٦٥ — الانس الجليل بتأريخ القدس والخليل ، جزءان ، (المطبعة الحيدرية النجف ١٩٦٨) .

٦٦ — الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المنســوب خطأ لعبد الرزاق بن الفوطـي ، تحقيق الدكتور مصطفى جـــواد ، (مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٣٥١ هـ) .

خصباك ، الدكتور جعفر حسين :

٦٧ - العراق في عهد المغول الايلخانيين ، ط ١ (مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨) .

الخضري ، محمد بك :

٦٨ - محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ، (الدولة العباسية) ، ط ٣ ، (مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٩٥٩) .

الخفاجي المصري ، شهاب الدين أحمد (ت ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م) :

٦٩ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ط ١ (المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٥٢) .

٧٠ - دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، للشنتناوي وآخرين .

الديار بكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٩٠ هـ / ١٥٨٢ م) :

٧١ - تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، جزءان (المطبعة الوهبية ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ) .

الذهبي ، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

٧٢ - دول الاسلام ، جزءان ، ط ٢ (مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٦٥ هـ) .

٧٣ - العبر في خبر من غبر ، ٥ أجزاء (الكويت ١٩٦٣) .

الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) :

٧٤ - راحة الصدور وآية السرور ، نقله الى العربية الدكاتره : ابراهيم امين

الشواربي ، عبد النعيم محمد حسنين ، فؤاد عبد المعطي الصياد ، (دار القلم ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م) .

زامباور ، ادوارد فون :

٧٥ — معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرجه الدكتور زكي محمد حسن ، وحسن احمد محمود ، جزءان (القاهرة ١٩٥١) .

الزبيدى ، محب الدين ابو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٥ هـ) .

٧٦ — تاج العروس من جواهر القاموس ، ط ١ ، عشرة اجزاء (المطبعة الخيرية بجمالية مصر ، ١٣٠٦ هـ) —

زكي ، عبد الرحمن .

٧٧ — السلاح في الاسلام (دار المعارف ، مصر ١٩٥١) .

زكي ، محمد أمين :

٧٨ — خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني ، ط ٢ (مطبعة صلاح الدين ، بغداد ١٩٦١) .

سبط بن الجوزى ، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله البغدادى (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) :

٧٩ — مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ — ٢ (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م) .

السبكي ، ابو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) :

٨٠ — طبقات الشافعية الكبرى ، ستة اجزاء ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح الحلو (مطبعة عيسى البابي ، القاهرة ١٩٦٤ — ١٩٦٨ م) .

٨١ ـ معيد النعم ومبيد النقم ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨) .

سعداوي ، الدكتور نظير حسان :

٨٢ ـ التأريخ الحربي المصري على عهد صلاح الدين ، (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٧) .

السمرقندي ، احمد بن عمر النظام عروضي ، (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٥م) :

٨٣ـ جهار مقالة (المقالات الاربع) ، نقله الى العربية الاستاذان عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، ط ١ ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٩) .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :

٨٤ ـ تأريخ الخلفاء امير المؤمنين القائمين بأمر الامة ، ط ٣ ، (القاهرة ١٩٦٤) .

الشبيبي ، محمد رضا :

٨٥ ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي ، جـ ٢ ، (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٨) .

شفق ، الدكتور رضا زاده :

٨٦ ـ تأريخ الادب الفارسي ، ترجمة محمد موسى هنداوي ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧) .

الشيزري ، عبد الرحمن بن نصر ، (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م) :

٨٧ ـ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، (نشره الباز العريني ، القاهرة ، ١٩٤٦) .

الصفـدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك ، (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

٨٨ ـ نكت الهميان في نكت العميان ، (المطبعة الجمالية ، مصر ١٩١١) .

٨٩ ـ الوافـي بالوفيات ، ج ٢ ، (استانبول ١٩٤٩) .

الصيـاد ، الدكتور فؤاد عبد المعطي :

٩٠ ـ المغول في التأريخ من جنكيز خان الى هولاكو خان ، (دار القلـم ، القاهرة ١٩٦٠) .

طليمـات ، عبد القادر احمد :

٩١ ـ مظفـر الدين كوكبري امير اربل ، (منشورات وزارة الثقافة والارشـاد القومي ، القاهـرة) .

عاشـور ، الدكتور سعيد عبد الفتاح :

٩٢ ـ الحركة الصليبية ، جزءان ، (مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهـرة ، ١٩٦٣) .

العـزاوي ، عباس :

٩٣ ـ تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ١ ، (مطبعة بغداد ، ١٩٣٥) .

فامبـري ، ارمينيـوس :

٩٤ ـ تاريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، (شركة الاعلانـات الشرقية ، القاهرة) .

فضل اللـه الهمدانـي ، رشيد الدين :

٩٥ ـ جامع التواريـخ ، المجلد الثاني ، ج ١ ـ ٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، (القاهرة ، ١٩٦٠) .

الفيروزآبادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) :

٩٦ ـ القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، (مطبعة شركة فن الطباعة ، القاهرة ١٩١٣) .

القرماني ، احمد بن يوسف الدمشقي ،:

٩٧ ـ أخبار الدول وآثار الاول ، (بغداد ١٣٨٢ هـ) .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) :

٩٨ ـ آثار البلاد واخبار العباد ، (دار صادر ، دار بيروت ١٩٦٠) .

القلقشندى ، احمد بن علي بن ابي اليمن القاهرى الشافعي ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) :

٩٩ ـ صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ١٤ جزء ، (المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٩١٧) .

١٠٠ ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ج ٢ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، (الكويت ١٩٦٤) .

الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) :

١٠١ ـ مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهى دولة بني العباس ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٧٠) .

كرد علي ، محمد :

١٠٢ ـ خطط الشام ، ٦ أجزاء ، (طبع الجزءان الاول والثاني في المطبعة الحديثة بدمشق ، والاجزاء الاربعة الباقية في مطبعة الترقي بدمشق أيضا ، ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) .

لامب ، هارولد :

١٠٣ ــ جنكيز خان امبراطور الناس كلهم ، ترجمة بهاء نوري ، (مطبعة السكك الحديدية العراقية ، بغداد ١٩٤٦) .

محمد احمد ، الدكتور محمد حلمي :

١٠٤ ــ الخلافة والدولة في العصر العباسي ، ط ١ ، (مطبعة النهضة ، مصر ١٩٥٩) .

المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ، (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) :

١٠٥ ــ السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٦ أجزاء ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦) .

المنجم ، ابو اسحق بن حسين ، (من اهل القرن الخامس الهجري) :

١٠٦ ــ آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة بكل مكان ، .

المنذري ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ، (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) :

١٠٧ ــ التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف (رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد ، مطبوعة بالالة الكاتبة " الرونيو ") .

الموصلي ، القس سليمان صائغ ،:

١٠٨ ــ تأريخ الموصل ، ج ١ ، (المطبعة السلفية ، مصر ١٩٢٣) .

النرشخي ، ابو بكر محمد بن جعفر ، (ت ٣٤٨ هـ / ١٩٥٩م) :

١٠٩ ــ تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية الدكتور امين عبد المجيد بدوي ، ونصر الله مبشر الطرازي ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥) .

النسوي ، محمد بن أحمد ، (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م) :

١١٠ — سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، تحقيق حافظ احمد حمدى ، (نشر دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٣) .

النصيبي ، ابو القاسم بن حوقل ، (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) :

١١١ — صورة الارض ، ج ٢ ، (مطبعة بريل ، ليدن ١٩٣٩) .

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

١١٢ — نهاية الارب في فنون الادب ، (صدر منه ١٨ جزءا ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٩ — ١٩٥٥) .

هازارد ، هاري :

١١٣ — اطلس التاريخ الاسلامي ، ترجمة ابراهيم زكي خورشيد ، (القاهرة ١٩٥٤) .

الهروي ، ابو الحسن علي بن ابي بكر ، (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) :

١١٤ — الاشارات الى معرفة الزيارات ، عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل — طرمين ، (دمشق ١٩٥٣) .

الوطواط ، رشيد الدين محمد العمري ، (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م) :

١١٥ — حدائق السحر في دقائق الشعر ، نقله الى العربية عن الفارسية ابراهيم امين الشواربي ، ط ١ ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٤٥) .

١١٦ — مجموعة رسائل رشيد الدين الوطواط ، جزءان ، (مطبعة المعارف ، مصر ١٣١٥ هـ) .

ياقوت الحموي الرومي ، شهاب الدين أبو عبد الله ، (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :

١١٧ ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، ط ٢ ، باعتناء مرغليوث ، (مطبعة هندية ، القاهرة ١٩٣٠) .

١١٨ ـ معجم البلدان ، ٦ أجزاء ، (لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ م)

اليونيني ، موسى بن محمد الحنفي ، (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م) :

١١٩ ـ ذيل مرآة الزمان ، ٤ أجزاء ، ط ٢ ، (مطبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٥٤) .

ثالثا ـ الكتب الفارسية : ـ

اقبال ، عباس :

١٢٠ ـ وزارت در عهد سلاطين بزرك سلجوقي ، (طبع طهران ، ١٣٣٨ هـ) .

الجويني ، علاء الدين عطا ملك ، (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

١٢١ ـ تاريخ جهانكشاى ، ٣ أجزاء ، (ليدن ، ١٩١١ ـ ١٩٣٧) .

خواند مير ، غياث الدين بن همام الدين ، (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) :

١٢٢ ـ تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر ، ٤ أجزاء ، (طبع طهران ، ١٣٣٣ هـ) .

١٢٣ ـ دستور الوزراء ، باتصحيح ومقدمة سعيد نفيسي ، (طهران ١٣١٧ هـ) .

عوفي ، محمد :

١٢٤ ـ لباب الالباب ، (طهران ، ١٣٣٣ هـ) .

المستوفي القزويـني ، حمد الله بن ابي بكر أحمد بن نصر (ت ٧٣٠ هـ) :

١٢٥ - تاريخ كريدة (تهران ، ١٣٣٩ هـ) .

مرعشـي ، ظهير الدين بن نصير الدين :

١٢٦ - تاريخ طبرستان ورويان ومازندران ، (تهران ١٩٥٤) .

ميرخوانـد ، محمد بن برهان الدين خاوند شاه بن محمود البلخـي (ت ٩٠٤ هـ/ ١٤٩٨م) .

١٢٧ - روضة الصفا (طبع تهران ١٣٣٩ هـ) .

رابعـا - المجـــلات :-

١٢٨ - المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٦ ، ١٩٥٧ ، مقالة للدكتـور ابراهيم علـي طرخان بعنوان " الاقطاع الاسلامي ، اصوله وتطوره "

١٢٩ - مجلة العربي الكويتيـة ، العدد ١٥١ ، حزيران ١٩٧١ ، مقالـة للدكتـور حسين مؤنس بعنوان " المغول والاسلام " .

١٣٠ - مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٦ ، ١٩٥٩ ، مقالة للدكتـور مصطفى جواد بعنوان " مؤرخ العراق ابن الفوطـي " .

خامسـا - المصـادر الاجنبيـة :-

Bartold, Vasilii Vladimirovich:

١٣١- Turkestan down to the Mongol invasion, 3rd ed., (London 1968).

Bosworth, C. E. :

١٣٢- The political and dynastic history of the Iranian world, (A. D. 1000 - 1017), (Cambridge history of Persia, vol. 5, 1968).

The Encyclopaedia of Islam, Leiden, E. J. Brill, 1913. — ١٣٣

Howorth, Sir Henry Hoylc :

History of the Mongols, from the 9th to the 19th Century, (London 1876-1927) . —١٣٤

Lambton, A. K. S. :

The Internal Structure Of The Saljuq Empire, (Cambridge History of Persia, vol. 5, 1968). —١٣٥

خلاصـــة البحـــــث

((خلاصة البحث))

تبين لنا في هذه الرسالة ان الدولة الخوارزمية نشأت كولاية صغيرة عن الدولة السلجوقية ، وكان لطموح حكامها المغامرين ومواتاة الظروف لهم ، من ضعف السلاجقة والدول الاسلامية الاخرى ، وحالة الفوضى السياسية التي كان عليها الشرق الاسلامي ، اثر كبير في توسيع دولتهم حتى غدت تضاهي امبراطورية السلاجقة .

اما على النطاق العسكري ، فقد تهيأ للدولة الخوارزمية ان تلعب دورا مهما وحاسما فيه ، حيث تمكنت من القضاء على الدولة السلجوقية والدولة الغورية ، وانتزعت بعض الممتلكات من الايوبيين ، ووجدنا ايضا كيف ظل الخوارزميون يثيرون القلاقل والاضطرابات في بلاد الشام والجزيرة بعد سقوط دولتهم في سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م) ، وذلك عندما استعان بهم الامراء الايوبيون ضد بعضهم البعض .

ثم تعرّفنا على علاقة الخوارزميين بالخلافة العباسية ، وتوصلنا الى ان تلك العلاقة كانت حسنة تقوم على اعترافهم بشرعية الخليفة العباسي ، ولكن هذه العلاقة ساءت في عهد الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ / ١١٧٩ - ١٢٢٥ م) ، حيث دخلوا معه في عداء سافر ، عندما طلب حكامهم ان يذكر اسمهم الى جانب اسم الخليفة في الخطبة ، ولكنهم عجزوا عن تحقيق ذلك . اما عند دراستنا لنظم الجيش

الخوارزمي ، فقد وجدنا ان الدولة الخوارزمية كانت دولة عسكرية من الدرجة الاولى ، وتمكنت بفضل قوتها العسكرية من توسيع ممتلكاتها .

وتبين لنا من دراسة النظم الادارية ، ان الدولة الخوارزمية قد ورثت الكثير من الوظائف الادارية عن السلاجقة ، وكان لهذه الوظائف اثر كبير في ادارة هذه الدولة الواسعة .

ومن الامور المهمة التي يمكن استنتاجها في هذا البحث ايضا : ان حقيقة الدولة الخوارزمية كانت تناقض عظمتها الظاهرية من حيث سعة ممتلكاتها وقوتها ، فقد كان لها مشاكلها الكثيرة التي هددت كيانها وجعلت سلطانها يستند على دعائم واهية مضطربة .

ومن أهم هذه المشاكل : ان توحيدها للمناطق التي دانت لها كان سطحيا لانها لم تتمكن من هضم العناصر والاجناس التي ضمّتها ، يضاف الى هذا أنه لم يكن بامكان الحكام الخوارزميين الاعتماد على عنصر واحد سليم من العناصر التي كانت تكوّن جهاز الحكم عندهم ، بل خضع حكمهم لسيطرة طبقة عسكرية ، كان يعوزها الخبرة السياسية ، ففي الداخل اثارت كراهية الناس لتعسفها فيهم ونهبها اموالهم ، وفي الخارج اثارت عداء الخلافة العباسية والدول الاسلامية الاخرى ، ودولة القره خطاى ، بل وحتى المغول الذين استفزهم خوارزم شاه علاء الدين محمد بسايسته .

ثم وجدنا ان الدولة الخوارزمية كانت تعاني من مشكلة النزاع على

العرش بين افراد الاسرة الحاكمة مما اضعف قوة الدولة .

وتبين لنا ان الدولة الخوارزمية ابتليت بمشكلة اخرى وهي المتاعب الكثيرة التي سببتها لها طائفة الاسماعيلية التي كانت قوة لا يستهان بها ، وقد اغتالت هذه الطائفة بعض الشخصيات المهمة في الدولة .

وقد وجدنا ايضا ان سياسة الخوارزميين ازاء الخليفة العباسي خاصة في عهد الخليفة الناصر لدين الله ، كانت عدائية اعتمدت على القوة مما بعث في نفس الخليفة احاسيس النقمة ودفعه الى مناهضتهم بالتحالف مع اعدائهم من الغوريين والاسماعيلية والخطا ، اما بشأن اتهام الخليفة الناصر لدين الله بمراسلة المغول واثارتهم ضد الخوارزميين فلم تتوفر لدينا مستمسكات تؤيد صحتها .

ومن الامور الاخرى التي توصلنا اليها في بحثنا هذا : ان الحروب الكثيرة التي خاضت الدولة الخوارزمية غمارها مع السلاجقة والخلافة العباسية والدولة الغورية والايوبيين وقبائل الخطا التركية ، قد استهلكت الكثير من الجهود والامكانيات ، لان كثرة هذه الحروب وتعدد ميادينها كان يستلزم ان يكون للخوارزميين جيش كبير على استعداد تام لان يخوض الحرب في كل ساعة ، وكان يقضي له من النفقات الباهظة ما تنوء به قدرة ابناء البلاد التي خضعت لهم ، كما ادت كثرة الحروب ايضا الى استنزاف قوة الدولة الخوارزمية والعالم الاسلامي معا . فعند زوال الدولة الخوارزمية انهار السور الامامي للجبهة الاسلامية الشرقية ،

ومهـــد ذلك لوقوع اكبـر كارثـة اصابت المسلميـن وعمتهم باعظم الشـرور ،
واعني بها كارثـــة الغزو المغولــــــــي .

+ + + + + +
+ + + +
+ +
+

required that there should be a big army for Al-Khwarizmis ready to enter war any moment. This army needed heavy expenditure which burdened the capacity of the people dominated by them . Moreover, the numerous wars led to exhausting the strength of Al-Khwarizmi state and the Islamic world as well. When Al-Khwarizmi state disappeared, the front wall of the Eastern Islamic front collapsed, and prepared the way for the greatest catastrophe that befell the Moslems, which diffused evil among them : I mean the catastrophe of the Mongolian invasion.

of the state.

Al-Khwarizmi state was encumbered with another problem. This is the trouble caused by the Ismaili sect, who were a power not to be disregarded. This sect assassinated some important personages of the state. Also, Al-Khwarizmi policy towards Al-Abbasid Caliph in the reign of Al- Nasir Li-Din Allah was aggressive and it was based on force, which aroused vengefulness in the Caliph who repelled him by seeking alliance with their enemies : Al-Ghuri ians Al-Ismailis, and Al-Kara Khitai . As to the accusation that the Caliph Al-Nasir Li-Din Allah safe- guarded and aroused the Mongols against Al-Khwarizmis, no evidence has been available to confirm its truth.

Among the other points concluded from this study is that the numerous wars in which Al-Khwarizmi state was involved against Al-Seldjuk Al-Abbasid Caliphate, Al-Ghurid state, Al-Aiyubis, and the Kara Khitai tribes, used up much effort and possibilities. For the great number of these wars and their numerous fields

state contradicts its apparent greatness of power and property. This state had its many problems which threatened its existence and made its rule stand on shaky and weak pillars. Among the most serious problems was that the unification of the territories which succumbed to it was shadowy since the state did not succeedin integrating the groups and races it included. In addition to this, among the groups which constituted the adminstrative body, there was no single sound group on which Al-Khwarimis could rely. So their rule was in the hand of a military class which lacked political experience. Inside, this class aroused the hatred of the people for its arbitrariness and exappropriation. Outside, it aroused the enmity of Al-Abbasid Caliphate and other Islamic states, besides Al-Kara Khitai state, and even the Mongols, who were provoked by Khwarizm Shah Ala al-Din Muhammad's policy.

Moreover, we find that Al-Khwarizmi state suffered from the problem of rivalry for the throne among the members of the ruling family, which weakened the power

based on their recognition of the legitimacy of Al-Abbasid Caliph. But this relationshipdetiorated in the reign of the Caliph Al-Nasir Li-Din Allah 1179-1225 . A.D (575- 622 Islamic calendar) with whom they were involved in an overt enmity, for their rulers demanded that their names should be mentioned besides the Caliph's name in the oration (Al-Khutba), but they failed to fulfill that demand.

As to the study of Al-Khwarizmi military system, it was found that Al-Khwarizmi state was a first-class military state, and it managedto expand its territories through its military power.

Also, it was found through the study of the administrative system that Al-Khwarimis inherited a considerable number of administrative offices from Al-Seldjuks and these offices had a great effect in running this vast state.

Among the important points that could be concluded from this study , too, is that the reality of Al-Khwarimi

Synopsis of the Research

This study reveals that Al-Khwarizmi state had its origin in a small province of Al-Seldjuki state. The ambition of its daring rulers, the favourable circumstances, namely the weakness of Al- Seldjuks and other Islamic states and the chaotic political condition in the Islamic East, had such a great effect in expanding their state that it came to match Al-Seldjuki Empire.

At the military level, Al - Khwarizmi state played an important and decisive role; it managed to destroy Al- Seldjuki ,and Al- Ghurid state, and to wrest some properties from Al-Aiyubis.Moreover, Al-Khwarizmis continued rousing troubles and disturbances in Al- Sham and Al- Djazira after the fall of their state in 1231 A.D. (628 Islamic Calendar). when Al- Aiyubi emirs used them against each other.

We are also acquainted with the relationships between Al-Khwarizmis and Al-Abbasid Caliphate; it was concluded that therelationship was sound and